جمال قنان

نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830_1914

ديوان المطبوعات الجامعية

الدكتور جمال قنان

نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر

1830 - 1914

ديوان المطبوعات الجامعية

رقم النشر: 4.07.3162
رقم ر.د.م.ك (ISBN): 978.9961.0.1076.1
رقم الإيداع القانوني: 1919 /2007

تقديم

ان تاريخ الجزائر في القرن التاسع عشر لا يزال لم يستكمل بعد، ملامحه البارزة بالرغم من الأدبيات* التاريخية الكثيرة التي تناولت موضوعاته المختلفة خلال هذه الفترة. ان من بين الأخطاء المنهجية الكبيرة التي وقعت فيها مدرسة التاريخ الاستعمارية هو معالجتها لتاريخ البلدان المستعمرة اعتمادا على مصادرها وحدها دون اخضاع هاته الى النقد والتمحيص وابراز جوانب الصواب والخطاء في تقييمها للمسيرة التاريخية لهاته البلدان. ولقد أدت هاته المعالجة، اعتمادا على مصادر متحيزة الى أخطاء كبيرة لا ترضى المعرفة التاريخية الموضوعية النزيهة.

ليس هنا مكان تفصيل هذه الأخطاء والكشف عن جذورها والدوافع التي تسببت فيها، وانما يكفي أن نشير فقط بكون المعرفة التاريخية لهذه الفترة من تاريخ الجزائر لا يمكن أن ترقى الى مستوى أعلى ما لم يتم أولا، سدّ النقص في اثبات الوقائع والأحداث التاريخية، وهذا بالنسبة لكل الأطراف المتواجدة على مسرح الأحداث مهما كان دورها وتأثيرها فيها.

وليس صحيحا ما ادعاه بعض مؤرخي مدرسة التاريخ الاستعمارية المتأخرين، بكون الشعب الجزائري قد فقد التأثير على الأحداث بعد انهيار المقاومة المسلحة وانه لم يعد له أي دور فيها؛ وكأنه أصبح من منطلق هذه النظرة كيانا جامدا تحركه وتوجهه إرادة خارجية وفق مشيئتها وحسب أهوائها ومخططاتها. لقد أكدت الأحداث التاريخية نفسها خطأ هذه النظرة، ولكنها من ناحية أخرى ترتبت عنها نتائج مادية ومعنوية تمثلت على الخصوص في نقص المعرفة الوقائعية الخاصة بالطرف

الجزائري لهذه الفترة من جهة، والاضرار بمصداقية ونزاهة مدرسة التاريخ الاستعماري من جهة أخرى. وبالفعل، لقد تجاهلت هاته في معالجتها لتاريخ الجزائر، المبادىء الأوليية في منهج البحث التاريخي، عندما أهملت تماما، وعبر ثلاثة أجيال من تلامذتها، مصادر طرف من الطرفين في الوقت الذي جعلت من مصادر الطرف الآخر المرجع الوحيد وصاحب القول الفصل.

وإذا كان هذا الموقف بالنسبة للجيل الأول من مؤرخي هذه المدرسة، قد يجد ما يبرره أو على وجه الدقة ما يفسره، ولكنه لا يفهم بالنسبة للجيلين التاليين اللذين توفرت فيهما شروط تكوين المؤرخ المحترف كما توفرت لديهما المادة العملية الضرورية لعمل المؤرخ. وقد نجم عن هذا الخلل في عمل هذه المدرسة، أن أصبح تاريخ الجزائر في حاجة الى استكمال في جانبه الوقائعي الذي هو أدنى المراحل في المعرفة التاريخية. وقد يرد على هذا، ان مصادر الطرف الثاني غير متوفرة وان المؤرخ لا يمكنه أن يبني عمله على افتراض وعلى تصور، فهو بالتالي مضطر الى استخدام المادة المتوفرة لديه. ان هذا التبرير لا يعكس كل الحقيقية في نظرنا، فتجاهل هذه المدرسة لمصادر الطرف الجزائري كان تجاهلا منظما مبنيا على موقف متعمد. فهي لم تظهر أي اهتمام في أي وقت للبحث عن هذه المصادر ولا حتى بالسؤال عنها إن هي موجودة؛ فأقل ما يمكن عمله في حالة مثل هذه أي عند فقدان مصادر الطرف الآخر، هو الاشعار على الأقل بكون العمل المنجز يشكو نقصا من هذا الجانب هذا من جهة، ومن جهة أخرى فان تعاملها مع مصادرها كان تعاملا انقياديا واستسلاميا عوض ان يكون نقديا واستجوابيا، يضاف الى هذا أنه في الحالات القليلة التي استعرضت فيها بعض المصادر الجزائرية حول أحداث معينة، فان جهدها لم ينصب على الاستفادة منها بقدر ما كان يتجه الى التقليل من قيمتها ومحاولة نزع كل مصداقية عنها.

ان المطالبة باعادة النظر فيما كتب عن الجزائر، تحت الاحتلال وفي ما كتبه تلامذة مدرسة التاريخ الاستعماري عن تاريخ الجزائر العام، ليس

شعارا سياسيا أجوفا وانما هو تعبير عن شعور بنقص ولمس لحالة تخلف في مجال من أهم مجالات البنية الثقافية في مجتمعنا. لقد ورثت الجزائر المستقلة حالة التخلف في الميادين المختلفة والتاريخ واحد منها.

إن عملية التقييم لانجازات مدرسة التاريخ الاستعماري تبدو ضرورة ملحة من أجل انطلاق الدراسات التاريخية على أسس منهجية سليمة بهدف تجديد المعرفة التاريخية لهذه الفترة من جهة وترقية مستواها من جهة ثانية. وبهذا الصدد، فمن المفيد التذكير بأن تجاوز هذه المدرسة لن يتم إلا بجهود جادة ورزينة تعتمد المنهج العلمي في عملها وتتحلى بالنزاهة والموضوعية في سعيها المجرد لمعرفة الحقيقة. فهذا الأسلوب هو وحده الكفيل بأن يحول هاته الجهود الى تيار جديد يفرض نفسه على ساحة الدراسات التاريخية.

وغنيّ عن التذكر بالأخطاء التي يمكن أن ترتكب في حق المعرفة التاريخية إذا ما اعتمد أسلوب التحليل والتنظير بناءا على وقائع جزئية معروفة معرفة محرفة أو معرفة غير كاملة، ونعتقد أن من الشروط الأساسية لتحليل الوقائع وتفسيرها هو ان يتم الاحاطة بها احاطة شاملة بقدر الامكان واستجوابها من الداخل وليسن بناءا على قوالب جاهزة أعدت مسبقا. فالأخطاء الناجمة عن مثل هذا النوع من المعالجة هي اليوم أوضح للعيان من أن تحتاج الى برهان ودليل.

ان هدفنا من وراء هذا العمل المتواضع، هو أن نضع بين أيدي القارئ نماذج من النصوص تعبر عن مواقف سياسية أو تعكس وجهات النظر لثلاثة أجيال من الجزائريين حول عدد من القضايا الهامة التي واجهتهم منذ بداية عهد الاحتلال وردود فعلهم امام عدد من المسائل الهامة التي جابهوها في ظل هذا الاحتلال حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى. ان التعرف على مواقف الرأي العام الجزائري وردود فعله أمام قضايا مصيرية بالنسبة إليه تكتسي ولا شك أهمية كبرى وتمثل شرطا أساسيا لمعرفة تاريخ

هذه الفترة. ولقد حرصنا في انتقائنا لهذه المجموعة من النصوص على أن تكون لها صفة تمثيلية بمعنى كونها تعبر عن وجهات النظر لها أهميتها وتأثيرها على الساحة. كما حرصنا من جهة أخرى على ابراز التعددية في وجهات النظر حول قضايا معينة عندما تسمح المادة الوثائقية بذلك مسترشدين في ذلك بمبدأ التنوع والتعدد قبل مبدإ الكم.

وإذا كنا لا ندعي بكوننا قد سجلنا مواقف جميع اتجاهات الرأي العام الجزائري حول القضايا المصيرية التي كانت تجابهه فإننا نعتقد بكوتنا قد ألممنا على الأقل من خلال هذه النصوص ببعض الاتجاهات الرئيسية التي عبرت عن نفسها خلال هذه الفترة. كما نأمل أن تشكل هذه المحاولة حافزا للانجاز دراسات أعمق وأشمل عن الفترة تتسم بالجدية والجدة في نفس الوقت وتخرج بنا من المعالجة التقليدية ــ التي نعتقد بكونها قد استنفذت أغراضها ــ نحو أفاق جديدة وطرح جديد لقضايا التاريخ الوطني تحت الاحتلال.

وقبل أن نستعرض الملامح البارزة للمسائل التي تناولتها هذه النصوص، فأنه يبدو لنا أنه من الضروري التوقف عند مسألة طالما تعملت مدرسة التاريخ الاستعماري طمسها ونكرانها على مدى أجيالها المتعاقبة وحتى اليوم، وهي موضوع الوطنية الجزائرية.

ان الذي يستعرض تاريخ الجزائر منذ القرن السادس عشر حتى عهد الاحتلال سيلاحظ أن فكرة الوطنية كانت من بين العناصر المحركة للأحداث التاريخية في هاته البلاد وأنها كانت لا تقل بلورة ووضوحا في الأذهان وتأثير على سير الأحداث عما كانت عليه في فرنسا في نفس هذه الفترة. وفرنسا كما هو معروف تعتبر من البلدان الرائدة التي ظهرت فيها هذا الفكرة وتمت في فترة العصور الحديثة ــ ويمكننا أن نمدد هذه المقارنة مع تطور التاريخ الفرنسي الى مجالات أخرى ــ وقد يبدو أن في هذا التأكيد

نوعا من المبالغة ولكن هذا التشكك سيتبدد إذا ما قمنا باستعراض بعض النصوص الجزائرية المتصلة بهاته الفترة وربطناها ببعض الوقائع والأحداث التي عاشتها البلاد في نفس الوقت. إننا سنجد صدى لهذا الشعور في بعض الكتابات الأدبية لهذا العصر وإذا ما اعتبرنا أن هؤلاء هم لسان حال مجتمعاتهم، فاننا لا نخشى المبالغة إذا قلنا بكونه كان شعورا عاما يتقاسمه جميع أفراد المجتمع.

ويجب أن نلاحظ بهذا الخصوص ان يجب التميز بين مفهوم كلمة الوطنية والوعي بها، وبين الاحساس بالمهام الوطنية المنوطة بأفراد المجتمع حسب طبيعة الظروف ونوع التحديات المفروضة على البلاد. فهذا العنصر الأخير يحتاج للتعبير عن نفسه الى وسائل واداوات ليصبح قابلا للتعبئة، فاعلا ومؤثرا. ومن بين الوسائل التي يجب أن تتوفر لتمكين هذا العنصر من ا لتعبير عن نفسه هو وجود مركزية محركة ومنظمة من جهة، وسهولة ويسر انتقال الأخبار والمعلوما الى مختلف مناطقالوطن من جهة أخرى، وليس من قبيل الصدفة ان نلاحظ ان السكان الذين يقطنون المناطق الساحلية والقريبة من العاصمة هم الذين كانوا يهرعون للدفاع عن البلاد والتصدي للخطر الأجنبي قبل غيرهم من مناطق البلاد الأخرى، لسهولة وصول الأخبار اليهم من جهة ولتوفر قوة مركزية تؤطرهم وتجهزهم بما هم في حاجة اليه من جهة أخرى. وأنه لمن الخطاء في اعتقادنا الاستخلاص من انعدام توفر وسائل تمكن الشعور الوطني من التعبئة والتعبير عن نفسه، نتائج بكون هذا الشعور لم يكن موجودا. وإذا ما أقرت هذه النتيجة كمبدإ عام وبالنسبة لتاريخ جميع البلدان فانها ستثير الاستهجان وتدفع الى السخرية منها بدون شك.

ومع ذلك فان هذه النتيجة المهزوزة والتي تعوزها لأسس والأدلة المقنعة هي التي تبنتها مدرسة التاريخ الاستعماري عند تناولها للمسألة الوطنية والشعور الوطني في الجزائر. ولقد بالغت الى حد الغلو في هذا الاتجاه الى

درجة انها تشككت في وجود هذا الشعور الوطني حتى في الفترة ما بين الحربين العالميتين، مبرزة من جانب آخر أن نشدد المستوطنين الغلاة وتعنتهم وإصرارهم على عدم السماح «للأهالي» ببعض الحقوق هو الذي دفع بهؤلاء الأخيرين، كحل يائس ليس لهم خيار آخر أمامهم، الى ارتياد طريق الوطنية الذي أدى الى النتائج المعروفة. فالتحاليل من هذا القبيل هي التي قد تثير الدهشة اليوم، فليس معقولا الاعتقاد بأن هذا الشعور الذي عبر عن نفسه منذ وقت طويل كان قد اختفى وانطمس في ضمير الأجيال أثناء عهد الاحتلال. بل على العكس، لقد ازداد تيلوراو نضجا حين عبر عن نفسه في أرقى صور التعبير في شكل مواجهة مسلحة ضد العدو استمرت عشرات من السنين.

ان الأثار السّياسية القليلة التي وصلتنا عن الجيل الأول الذي عاصر الاحتلال في مراحله الأولى لا تترك مجالا للشك في وجود هذا الشعور وتبلوره. ولقد اثبتنا عددا من النصوص التي تعبر عن هذه الفكرة بوضوح لا يشوبها أي لبس أو غموض: رسالة الداي حسين الى ملك فرنسا كتابات حمدان بن عثمان خوجة، عريضة سكان مدينة الجزائر لقائد قوات الاحتلال، عريضة سكان قسنطينة للبرلمان الانجليزي رسالة الخليفة بن علال الى صديقه آغا حجوط ورسالتي الطفلين ابن سالم وبن رويلة الى وزير الدفاع الفرنسي وغيرها.

وحتى بالنسبة للجيل الثاني فان التعبير عن الوطنية والشعور الوطني لم يختف تماما من الأدبيات السياسية الجزائرية بالرغم من القيود الشديدة المفروضة على حرية التعبير وعنف المؤسسات القمعية القائمة التي انشئت خصيصا للاجتثاث هذا الشعور من أعماق الضمير الجزائري، ويكفي للادراك ذلك، التعمق قليلا في محتوى بعض العرائض وبعض المواقف والكتابات السياسية التي تعود لهذا العصر؛ مع الملاحظة أنه ما بين أيدينا حتى الآن هي بعض من تلك الأثار التي سمح لها بالظهور، وأما تلك

المحضورة والتي يجوز أن تفترض بكونها موجودة ولكنها لم تصلنا لحد الآن، فليس هناك شك في انها ستكون أكثر صراحة ووضوحا في التعبير عن فكرة الوطنية لدى الجيلين الثاني والثالث من الجزائريين. ومِمَّا تجدر الاشارة اليه أن الجيل الثالث هذا، هو الذي سيأخذ على عاتقه مهمة طرح هذه الفكرة علانية وبشكل صريح على الساحة السياسية الجزائرية عند نهاية الحرب العالمية الأولى مباشرة. وهذا الجيل كان قد تتامذ على يد الجيل السابق ولكنه عاصر في نفس الوقت أحداثا كبرى أدت في مجملها الى تخفيف قيضة الدول الاستعمارية على مستعمراتها نسبيا، بالمقارنة الى ما كانت عليه قبل عام 1914 وأصبح الجزائريون يتنقسون في ظروف أفضل من التي كانت سائدة في السابق وأصبح بالامكان طرح فكرة الوطنية طرحا سياسيا وبصورة علنية بعدما كانت شبه مستحيلة قبل هذا التاريخ.

ان تاريخ المقاومة لا يزال يشكل موضوعا خصبا للأبحاث التاريخية، فمستوى المعرفة التي لنا على هذا الموضوع لا تزال أولية وكلما إزداد الاحساس بهذا النقص كلما اتضح مدى الترابط القائم بين موضوع المقاومة وتاريخ الجزائر العام خلال القرن التاسع عشر. فليس هناك من شك أن كل السياسات التي اتبعتها فرنسا وكل الاجراءات التي اتخذتها خلال الفترة الأولى من عهد الاحتلال (1830 ــ 1871) كانت تسعى أساسا الى تحقيق هدف استراتيجي والذي يرمي الى تصفية المقاومة واقتلاعها من جدورها. وهو الهدف الذي تحقق على مراحل: فمن العمل من أجل تفتيت حركة المقاومة ثم محاصرة مراكزها وضربها واحدا بعد الآخر وفي المرحلة الثالثة والأخيرة دك قواعدها والأسس التي تستند عليها. ولقد نجم عن تطبيق هذه الخطة أثارات وانعكاسات كان لها تأثيرها على مسيرة المجتمع الجزائري للفترة التالية.

ان القاء نظرة على وضعية المقاومة من الداخل سيساهم بدون شك في تفهم الظروف وإدراك العوامل التي تظافرت من أجل تمكين المخطط

الفرنسي من النجاح. لقد جمعنا عددا من النصوص تتصل بهذا الموضوع سعيا منا الى ألفات الانتباه الى ضرورة معالجة تاريخ المقاومة من الداخل للتعرف على عناصر الضعف والقوة فيها وعلى الكشف على الأسبلب العميقة التي دفعت بها في النهاية الى الفشل.

وإنه لمما يثير الانتباه ان نلاحظ ظهور فكرة الوحدة وضرورة تعبئة الجهود وتوحيدها ضد العدو المشترك منذ هذا الوقت المبكر؛ وهي الفكرة التي أطلقها الداي حسين من منقاه والتي حث عليها من خلال عدد من الرسائل التي أرسلها الى بعض أعيان البلاد في هاته الفترة. وإذا كانت هذه الفكرة مقبولة مبدئيا من طرف الجميع ولكنه لا يبدو انه كان هناك سعيا حثيثا ومتصلا من أجل تجسيدها على ساحة الواقع. فما هي الأسبلب والظروف الى حالت دون تحقيقها؟ ان الحرص على الرد على هذه التساؤلات تشكل إحدى الموضوعات الرئيسية التي يجب تسليط الضوء عليها في أية دراسة جادة لتاريخ المقاومة ومن المؤكد أن العدو كان قد أعد مخططا مضادا لمواجهة هذا الاحتمال منذ الشهور الأولى من تواجده على أرض الجزائر ولقد كان من بين أهداف هذا المخطط هو العمل على احتواء عدد من العناصر التي قد تشكل قوة الدفع لتجسيد هذا الاحتمال. وليس من قبيل الصدفة إذا مالا حظنا أن بعضا من هؤلاء الأشخاص الذين راسلهم الداي حسين كانوا في طليعة العناص التي مالت الى صف الاحتلال في بدايات عهده. ولا يستبعد أن تكون هناك عناصر أخرى قد عمدت من جهتها الى تجسيد فكرة الاتحاد على الساحة في الفترة نفسها. لقد بذلت جهود في هذا الاتجاه في الوسط وفي شرق وغرب البلاد ولكنها لم تؤد الى تحقيق الهدف المنشود. فما هي العقبات وما هي المصاعب الموضوعية التي حالت دون ذكل؟ لقد كان هناك اجماع وطني ضد الاحتلال ولكنه لم يكن هناك اتفاق على أسلوب المواجهة؛ وهذا الاختلاف كان قائما حتى بالنسبة للمواجهة السياسية. ويكفي للادراك ذلك أن نعود بالذاكرة

الى تلك العراقيل والصعوبات التي كان يواجهها حمدان بن عثمان خوجة وزملائه أثناء إقامتهم في فرنسا، من بعض الجزائريين أنفسهم. والأخطر من هذا هو ما يلاحظ من بداية تفتت الجبهة الداخلية وتشرذمها وهذا منذ الشهور الأولى من بداية الاحتلال. لقد عمدت فرنسا الى استغلال هذه الوضعية والتحرك في وسطها بكيفية بارعة الى درجة انها استطاعت تفتيت جبهة المقاومة عن طريق الجزائريين انفسهم، الذين مكنوها من الأمساك بزمام المبادرة وافتكاكها من بين أيدي المقاومة بعد وقت قصير من بداية المجابهة.

ان دور الأعوان الجزائرين في تدعيم الاحتلال وارساء قواعده وفي توسيع رقعته والوصول به الى أقصى حدود البلاد هو دور أساسي. فهؤلاء هم الذين شكلوا القوة الرئيسية التي اعتمد عليها العدو في التعرف على البلاد وعلى سكانها وفي النفاذ الى أعماقهما واستغلال بعض التناقضات القائمة فيهما بينهم. هذا الموضوع لم يحظ، على الرغم من أهميته، بأي اهتمام لحد الآن، حتى من طرف مؤرخي مدرسة التاريخ الاستعماري الذين استنكفوا على ما يبدوا، عن الاشارة إلى دور الجزائريين حتى ولو كان هذا الدور لصالح فرنسا ومن أجلها، اما بالنسبة للجانب الجزائري، فان التعرف على هذا الدور وإزالة الغطاء على جوانبه المختلفة والتعرف على الظروف التي أدت الى حدوث مثل هذه التصرفات يمثل ضرورة حيوية من أجل الصحة المعنوية للأجيال القادمة. وسنكون مجافين للحقيقة وبعيدين عن الصواب إذا ما تعمدنا طمس هذا الجانب من تاريخنا. فمعرفة تاريخ المقاومة والظروف التي تحركة فيها والصعوبات التي جابهتها لن تكون مكتملة بدون تسليط الضوء على هذا الدور والكشف عنه. كما أننا سنكون بعيدين عن الواقع إذا ما نظرنا اليه بمنظار مبسط، أي هناك أخيار وهم المقاومون وأشرارهم الآخرون، بدون أن نحاول الغوص في هاته الظاهرة والتعمق فيها لفهم الأسباب والدوافع التي أدت بهاته الطائفة الى القيام بهذا

الدور متحدّين بذلك المناخ العام السائد ومعرضين أنفسهم للّعنة الجماعية والتنديد العام بمسلكهم.

لقد أثبتنا عددا من النصوص لهؤلاء الاغوان، ولا يعود ذلك للأهمية التي تمثلها من الناحية السياسية وانما من أجل لفت الانتباه الى طبيعة الأعمال التي كانوا يقومون بها لفائدة الاحتلال والأثارات الضارة التي ترتبت عنها بالنسبة للمقاومة على وجه الخصوص وبالنسبة للمجتمع بصفة عامة، فهذا التأثير الضار يبدو واضحا وبشكل حاد خاصة بعد عام 1847. فكل الانتفاضات التي اندلعت بعد هذا التاريخ كانت تبدو وكأنها طفرية لا تستند على قواعد متينة بالرغم من كونها تمثل تعبيرا عن حالة استياء عامة وعن تذمر شديد يتقاسمه جميع أفراد الشعب، ومع ذلك فسرعان ما كانت تخبو جذوتها وتنطفيء بسرعة. وحتى الخطاب السياسي للمقاومة، بعد استسلام الأمير عبد القادر، كان ضعيفا وباهتا بالمقارنة بالفترة السابقة. وهذا يلاحظ حتى بالنسبة لثورة 1871. ومن المحتمل ان يكون لهذا القصور أثره السلبي الذي انعكس في عجز هذه الانتفاضات عن تعبئة الرأي العام حولها وجلعها تبدو وكأنها معزولة وهامشية.

من النقاط التي تستوجب الوقوف عندها عند استعراض الملامح العامة للمقاومة هو سعيها لكسب الدعم والمساعدة من قوى اسلامية مجاورة أم بعيدة. لقد فسرت هذه المبادرات من طرف مؤرخي مدرسة التاريخ الاتسعماري، ومن كتب على منوالهم، تفسيرات بعيدة عن الواقع وعن الحقيقة، حين اعتبرت وكأنها دليل على انعدام الشعور بالروح الوطنية وبالانتماء الى وطن ذي حدود جغرافية معلومة، لدى هذا الجيل من الجزائريين. ان تفسيرات كهاته تمثل تجني على واقع تاريخي تمتد جذوره في أعماق الماضي، كما انها تتجاهل مدى أهمية وتأثير الشعور بالتضامن الاسلامي لدى هاته الأجيال. فالمبادىء الأولى للمنهج التاريخي تستلزم قراءة النصوص بلغة عصرها وبمفاهيمه وصيغه وروحه، وتجاوز هذا المبدأ الأولي

وإهماله سيؤدي لا محالة الى ارتكاب الأخطاء في فهم الأحداث وبالتالي الابتعاد عن الحقيقة التاريخية وربما التجني عليها. فإذا ما طلب الحاج أحمد باي مساعدة من الدو لة العثمانية وحاول أن يوثق الصلة معها ويقحمها في الصراع المحتدم بين فرنسا والجزائر، أو أن يقوم الأمير عبد القادر بنفس هذه المساعي في اتجاه سلطات المغرب في البداية ثم في اتجاه الدولة العثمانية بعد ذلك. فهذه المبادرات تعتبر من الضرورات التي يستوجبها أي عمل سياسي في مثل تلك الظروف ويفرضها الشعور بالتضامن والتكافل الذي يجمع بين المسلمين ويوحد بينهم خاصة أمام الأزمات، فهذا كان إحساس هاته الأجيال وهاته هي رودود فعلهم أمام الخطر الذي داهمهم على حين غرة والذي كان يهدد وجودهم كبلد وكمجتمع.

إن سنة 1871 تعتبر بداية لمرحلة جديدة بالنسبة لتاريخ الجزائر كما هو بالنسبة لتاريخ فرنسا. فمن زاوية التاريخ الوطني، لقد سجلت هاته السنة آخر انتفاضة شعبية تخللتها انتعاشة لحركة المقاومة المسلحة التي كادت تعم جميع مناطق البلاد والتي انتهت بفشل سريع بعد بضعة أشهر فقط من اندلاعها. كما أنها تعتبر بداية لسياسة استعمارية جديدة في الجزائر اعتمدت توظيف جميع الانتصارات السابقة التي حققتها وتجسيد هاته الانتصارات في شكل قوانين وتنظيمات ومؤسسات وذلك في جميع القطاعات. ومن المفيد في هذه المرحلة، التمعن في الآثار النفسية التي خلفتها هذه الهزيمة وانعكاساتها على السلوكات والمواقف واتجاهات هذا الجيل من الجزائريين. وأبرز هذه الأثارات السلبية، في نظرنا، هو ظهور اتجاه يكاد يكون مجمع عليه من طرف الرأي العام الجزائري والذي يتمثل في نبذ فكرة المقاومة المسلحة واعتبارها عملا انتحاريا لا يجني من ورائه أية فائدة، بل على العكس سيؤدي الى مزيد من الأضرار والدمار وتمكين الاحتلال من تشديد قبضته أكثر فأكثر على شؤن البلاد والعباد. ولقد تولد عن هاته الحالة النفسية الجديدة برون اعتقاد شبه يقيني والذي يكاد يكون عاما لدى جميع القطاعات الشعبية بكون فرنسا قوة لا يمكن التغلب عليها ولا دحرها،

مهما بلغت التضحيات وتكاثفت الجهود. فالاحتلال في نظر هذا الجيل يشكل حقيقة قائمة راسخة قد تستمر للأجيال طويلة؛ فمحاولة تجاهل هذا الواقع يمثل نوعا من الزيغ وانعدام الشعور بالمسؤولية. ان هذه الحالة النفسية الجديدة نلمسها في الآثار الأدبية والسياسية وحتى الدينية لهذا الجيل: فالموقف السليم والمسلك الحكيم بقضيان بالتعامل مع هذه الوضعية بمرونة وحذر للحفاظ على ما يمكن المحافظة عليه من المقومات المعنوية، على الخصوص، للشخصية الوطنية. وليس من قبيل الصدفة عندما نلاحظ ان فكرة السعي من أجل التعرف والكشف على عوامل الضعف الكامنة في جسم المجتمع والتي كانت السبب فيما حلّ به من الكوارث التي جسدها الاحتلال وممارساته، تبلورت بشكل واضح لدى هذا الجيل أكثر مما كانت لدى الجيل السابق. ولا يمكن فهم آثار الجيلين الثاني والثالث لعهد الاحتلال ما لم نربطها بالوضع المادي والحالة النفسية والمعنوية التي كانا عليها. ومن هنا فإننا سنلاحظ أن محور المجابهة ضـدّ الاحتلال سيرتكز خلال هذه الفترة على قاعدتين أساسيتين: الدفاع عن مقومات الشخصية الوطنية والعمل من أجل النهوض بالمجتمع عن طريق نشر العلم. ذلك أن المسألة التعليمية تمثل أهمية كبرى في نظر هذا الجيل على اعتبار كونها طريقا للخلاص.

ففي ظل هاته الظروف لا يمكن انتظار ظهور مطالب سياسية جزئية في ظل الوضعية الاستعمارية القائمة لأن ظهور مثل هذه المطالب تفترض توفر شرطين أساسين لذلك: الرضوخ للوضعية القائمة والاستسلام لها من جهة وهضمها وإستيعابها من جهة ثانية، فإذا كان العنصر الأول قد تحقق فإن الثاني لا يزال لم يتوفر بعد. فالجيل الذي عايش انهيار انتفاضة 1871 مباشرة، كان يتحرك ف يوضعية نفسية يمكن ايجازها في العبارات التالية: لقد حارب وانهزم فليس له أن يطالب بأي شيء سوى قيام فرنسا بتوضيح موقفها وسياستها إزاء الجزائريين ليكونوا على بنية من أمرهم. غير أن هذا الموقف سيعتريه تغيير عند بداية الثمانينات بسبب قيام الادارة الاستعمارية بسن عدد من القوانين واتخاذ بعض الاجراءات

التي تشكل تهديدا مباشرا ضد المجتمع وضد مقوّماته المادية والمعنوية والروحية. ففي هاته الظروف تطهر بعض المطالب ذات الطابع السياسي التي بدت كضرورة ملحة من أجل رفع بعض المظالم كالمسؤولية الجماعية والضرائب العربية وقانون الأهالي. كما تبلورت مواقف ونضالات لدرء المخاطر التي تمثلها بعض المشاريع الاستعمارية كمسألة التجنّس الجماعي والخدمة العسكرية الاجبارية.

فبوصول الجيل الثالث الى الساحة النضالية في مستهل هذا القرن يلاحظ ظهور بداية الخلاف في المواقف حول مسألتين رئيسيتين اللتين كأننا تستوعبان اهتمام الرأي العام الجزائري في هذه الفترة وهما: مسألتي التجنيس والخدمة العسكرية الاجبارية. وهو خلاف لا يعكس في الحقيقة الصراع بين الأجيال كما أبرزه بعض المؤرخين الأجانب، بقدر ما كان خلافا في الرؤيا الاستراتيجية للمستقبل. فالخلاف القائم حول المسألة التعليمية وعلى وجه الدقة حول محتوى البرامج ولغة التعليم هو أوضح دليل على طبيعة هذا الخلاف وأبعاده. فالاتجاه الذي يطلق عليه اسم الاتجاه التقليدي والذي نفضل تسميته بالاتجاه الحضاري كان المفروض أن يختفي من السا حة بعد فترة من الزمن بحكم طبيعة الأشياء، لو كان فعلا صراعا بين الأجيال؛ ولكن على عكس ذلك، فاننا نلاحظ انه استمر وتطور في منظور الأفق العربي الاسلامي ليتبلور في الفترة ما بين الحربين في شكل حركتين كبيرتين هما نجم شمال افريقيا وحزب الشعب الجزائري من جهة وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين من جهة ثانية.

قد يتبادر الى الذهن عند تصفح هاته المجموعة من النصوص الاستفسار حول ما هو محتوى الفكر السياسي الجزائري الذي برز خلال هذه الفترة وما هي أطره النظرية وبنيته المنهجية؟ وقد يدفع التعمق في هذا الاستفسار إلى التّسائل حول ما إذا كان هناك فكر سياسي جزائري بالمعنى المدرسي للكلمة قد ظهر فعلا خلال هذه المدة، لن نرد على هذه

الاستفسارات المحتملة لا بالسلب ولا بالايجاب لأن ذلك ليس محور اهتمامنا هنا. فهدفنا هو أن نضع بين أيدي القارىء نماذج من النصوص مرتبة ترتيبا زمنيا بهدف المساهمة في توضيح بعض الجوانب والقاء بعض الأضواء على الأحداث التاريخية التي تعود لهاته الفترة من جهة وابراز عينات من التفكير والمشاغل التي لدى الجزائريين من جهة ثانية. فهناك قراءات عديدة يمكن ان تقوم بها لهاته النصوص والأخرى مشابهة لها. وتتوقف الحوصلة التي يمكن أن تستخرجها منها عن نوع الاستجوابات التي نطرحها عليها. وإذا كانت هذه محددة ومباشرة مثل الأسس النظرية لهذا التفكير والمبادىء التي يدعو اليها وغيرها من الأسئلة المباشرة من هذا القبيل فان الاجوبة ستكون بدون شك غير مرضية ونكون نحن من جهتنا مغالين في طرح هذا النوع من الأسئلة لفترة تتسم بخصوصيات كثيرة أبرزها انعدام الاستقرار ووضوح الرؤيا بالنسبة للمستقبل والانقطاع، وبصفة مفاجئة، عن الماضي بأرصدته المختلفة. وهل من المعقول التصور أن فترة مثل هاته ومالابسها من صراع ساخن وتدمير وعنف هي فترة خصوبة وإيداع بالنسبة للأي شعب؟ هذا ما لا يقبله العقل فسجل التاريخ البشري حافل بالأدلة لتأكيد ذلك.

ان الانطباع الذي سنخرج به من قراءاة هذه النصوص هي أنها أثر نضالي ميداني لحظي وليس تراث تأملي تجريدي. ولا يعني ذلك انعدام أية محاولة للتكفير والتأمل بل سنلمس بدايات لظهور هذا الاتجاه في ا لعقد الأخير من القرن الماضي وفي بداية القرن الحالي، في محاولات استهدفت تفسير أسباب التخلف الذي عليه المجتمع الجزائري والمجتمعات الاسلامية بصفة عامة والسعي لتلمس طرق العلاج لهذه الوضعية المتردية. نجد بدايات لهذه المحاولات عند الدكتور الطيب مرسلي عند أواخر القرن الماضي وعلى أعمدة جريدة الفاروق وخاصة مقالات أحمد التركي، عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى.

هذا النقص الذي لاحضناه في ميدان التنظير للظرف التاريخي القائم يدفعنا الى الاعتقاد بكون المستوى الذي كانت عليه الثقافة العربية

الاسلامية في تلك الفترة لم يكن يؤهلها لأن تقوم بهاته المهمة التي لم تكن تنتظرها وهذا ما يفسر، في اعتقادنا، نقص الرؤيا السياسية لدى المعاصرين للفترة الأولى من الاحتلال، وقصورها. ان هذا التقييم لا ينطبق فقط على الجزائريين الذين كانوا في مواجهة مباشرة مع الغرب وانما أيضا على كل معاصريهم في المجتمعات العربية الاسلامية الأخرى. ولا ينبغي التسرع في تفسير هذا النقص بتسلط الفكر الديني على الأذهان، فأي إدعاء من هذا القبيل لن يصمد أمام الفحص الدقيق للوقائع والغوص في أعماق حركة الأفكار السائدة في هذا العصر. ويكفي لتبيان خطأ هذا التفسير الاشارة الى الحيوية التي اتسمت بها الأفكار التي تتصل بصلب العقيدة وتصلب وجمود التفكير في الميادين الأخرى للفترة نفسها؛ فلتقارن على سبيل المثال بين النصوص التي تحت إيدينا حول ما قيل عن موضوع الهجرة وما كتب عن السياسة في نفس الفترة لتلمس حقيقة هذه الظاهرة.

وفي الختام نتمنى أن نكون قد أسهمنا في استطلاع بعض الأفاق وتوضيح بعض المنطلقات خدمة للحقيقة وللتاريخ.

وآلله ولي التوفيق

الجزائر، أكتوبر 1987

القسم الأول

1871 ـ 1830

1 ـ رسالة الداي حسين الى ملك فرنسا[1]
(25 سبتمبر 1830)

إنني لم أتجرأ على مكاتبتكم لكي أشكو من حالتي البائسة التي أنا عليها، ذلك أنني على دراية تامة بتحول النعم وانقلاب الأحوال، وأعتقد أنني سأكون أهلا لأن قنال مني كل المظالم إذا لم يكن لدي من القوة ما يجعلني قادرا على تحمل قساوتها.

ولكن، من بين كل المصائب التي أحاطت بي، والتي اعترف، وليس ذلك دليلا على ضعف، بأن هناك بعض منها أثر في تأثيرا شديدا، وسعادتكم لن يرفض الاطلاع عليها دون جرح طبعه النبيل.

لقد رددت أوروبا أصداء العنف الذي اتهمت باقترافه حيال قنصل فرنسا، السيد دوفال، ونجم عن ذلك تدمير بلادي وهزيمتي ثم نفيي. إنني أتقبل مصيري وأعفو طواعية عن ضياع سلطتي وثرواتي واستقلالي، ولكنني لا أستطيع أن أقبل الفكرة الشائعة المهينة، بكون اندفاعي كان السبب في كل هاته الآلام التي لحقت بوطني وبي.

ولو كان الملك الذي استخدم كل قوته للاسقاطي، هو الذي لا يزال جالسا على عرش فرنسا، لكتمت أحزابي في أعماق قلبي للأنني لا أعتقد أن شكواي تستطيع إظهار الحقيقة أمام تيقظ واحتياطات وزرائه،

---

(1) المصدر: A.E.P. / M. D. ALGERIE 6

ولكن أراد الله أن أكون انا نذيرا بسقوطه والآن أستطيع أن أرفع الشكوى موضحا براءتي، بدون أن أثير غضب أولئك الذين كانو سبب مصيبتي.

أن جلالتكم سيجد في المذكرة المرفقة(1) الرواية الصادقة للدسائس التي أدت الى الخلاف الذي نشب بيني وبين شارل العاشر والذي أدى الى هذه الحرب المدمرة التي أنا ضحية لها.

ان جلالتكم سيندهش عندما يرى أن تجارا جزائريين اتفقوا مع محام من باريس يتمتع بثقة السيد دوفال القنصل الفرنسي وثقة حماته، قاموا بانتزاع ممتلكات تقدر بعدة ملايين من أحد من رعيتي رغما عني. أنني لم أتمكن من التجاوز عن اعتداء بمثل هذه الخطورة، ان رد الفعل على هذه الاهانة اعتبر في بلاط فرنسا جريمة لا تغتفر وأنزل بي وبوطني العقوبة المستحقة على السّرقة التي كنت ضحية لها والتي كان من الواجب عليه أن يقدم تعويضا عنها ويصلحها.

أنني لا أدري هل في الامكان الآن عودة الأمور الى الوراء، فجلالتكم سوف يدرك أحسن مني فيما إذا كان إكليل الغار الفرنسي يستطيع أن يمد جذوره على أرض افريقيا وفيما إذا كان هذه البذرة غير الصالحة والمسقية بأيادي أجنبية تستطيع أن تثمر الحضارة؛ وفيما إذا كانت طبيعة الأرض وقساوة المناخ وكذلك عزيمة السكان التي لا تقل سوف تقاوم وتمنع دائما تحقيق مثل هذا الأمل. فليتفضل جلالتكم بمعالجة مسألة هي جديرة بحكمته العالية: هل يسمح للطموح بأن يعرض مجد الفرنسيين للخطر؟ أليس من الأفضل المحافظة عليه وانتفاع الانسانية به من أجل إقامة، وبالطرق الطبيعية، المؤسسات التي قد تكون افريقيا في حاجة اليها.

---

(1) لم نعثر على هذه المذكرة في الأرصدة المحفوظة في وزارة الخارجية الفرنسية ولا في محفوضات قصر فانسان الخاصة بالجزائر. وهناك مجموعة من الوثائق تخص الداي حسين جمعت في ملف خاص لم يتيسر لنا الاطلاع عليه.

وفي انتظار ذلك، فأنه يكفيني بعد اطلاع جلالتكم على قصة أسباب الحرب أن يشرفني باحترامه وان يستخلص بعض الفوائد من المصائب التي حاقت بي لحماية نفسه من الأشخاص الذين خانوني والذين هم دائما متمسكون بمسلكهم المخزى الهادف الى التضليل والاذاية اني متأكد ولي ثقة تامة في عدالة جلالتكم.

حسين باشا في انابول (نابولي) نصف ربيع الثاني سنة 1246 المحب المخلص حسين باشا سابقا

ختم الداي[1]

(1) يبدو أن هاته الرسالة حررت أصلا بالفرنسية وليست ترجمة عن أصل عربي أو عثماني إذ تحمل توقيع الداي وخاتمه الذي هو على شكل دائرة ونقشت في داخله العبارات التالية «وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم عبده حسين بن حسن سنة 1232».

2 ـ رسائل الداي حسين الى بعض أعيان الجزائر[1]

الحمد الله وحده والصلاة والسلام على رسولنا محمد.

الى حضرة الوالي الصالح الشيخ سيدي علي بن عمار المعروف باسم عروج، السلام عليكم ومنحنا الله وإياكم رحمته ومقاما في الجنة آمين ولطف الله بكم رب العالمين.

كيف حالكم صديقي العزيز وكيف هو موقفكم من أناس هذا الزمان فمنذ خروجي من الجزائر لم تصلني أية رسالة من طرفكم وأنني أترقب بشغف جوابكم. وأنني أدعو الله دائما أن يلاقينا في ساعة سعيدة.

أطلب منك دعوة الخير فالله قادر على الاستجابة وإذا كنتم تريدون أن تعرفوا أين أوجد، فأنا أقيم في القرونة[2] وإنني أترقب بشغف شديد وصول ردكم بسرعة أشرح لي فيه جيدا حالة البلاد، وموقف سكانها وإنني أدعو الله أن يلاقينا بهم في القريب العاجل للأن قلبي يحترق شوقا الى رؤيتهم وبعون محمد رسول الله، يجب أن لا تخشوا شيئا فكل ما يحدث هو من عند الله وما هو مقدر لن يتغير أبدا. لا تتهاونوا ولا ترهقوا أنفكسم ولا تخشوا أحدا.

تقبل تحيات حسين باشا الذي كتبت باملائه ختم الله أيامه بخير انكم ستلاحظون أن سيدنا ومولانا قد وقع هو بنفسه على هذه الرسالة ولكن لم يرد أن يضع عليها خاتمه.

صديقكم المخلص حسين باشا الداي الجزائر.

---

(1) المصدر: A.E.P/ M.D Algerie 9

(2) ليفورن بإيطاليا.

اضافــة:

تقبل تحيات خادمكم الذي يقبل موطىء قدميكم، أحمد بن شربال، وكذلك تحيات محمد بن النعسان ومن مصطفى خادمكم مملوك سيدنا، وبلغ سلامنا الى أولادنا ونسائنا واقاربنا. ونرجو أن تعبر كل اهتمامك الى النسوة اللائي تركهن أمانة عندك.

حرر في 29 جماد الأول 1247[1].

(2)

جاء في الرسالة التي بعت بها الداي حسين الى المرابط الشيخ سعيد بن موسى والى قبيلة بني كراليس مايلي[2]:

«... ان رغبتي أن يكون موقفكم منى الآن كما كان شأنكم في الماضي وأن تكونوا مثلي في كون هدفكم الوحيد هو الاتحاد مع الأشخاص الذين تعرفون عنهم بكونهم شجعان وأصحاب عزم ضد أعدائنا. فليس هناك أدنى شك لو أن كل الرجال العقلاء يتفقون معكم فإن العدو سيقاوم ضد قواتكم بدون جدوى. انكم تعرفون بكون العدو ليس بقوى ولكنه ضعيف، ولو أن الخائن إبراهيم آغة ورفقائه الخبثاء لم يرتكبوا خيانتهم فإن العدو لم يكن ليحصل على طائل... فبعون الله وقوته ستكونون من المنتصرين

حسين باشا[3]:

(3)

وجاء في رسالة وجهها الداي الى ولد أورابح في بجاية جاء فيها مايلي[4].

---

(1) 5 نوفمبر 1831.

(2) المصدر السابق ونفس التاريخ.

(3) ارسل الداي حسين باشا رسالة في نفس المعنى ونفس التاريخ الى «المسجل من بين الشيوخ الآغة محمد بن زعموم في فليسه».

(4) المصدر السابق.

«... ستسلم اليكم رسائل من طرف حاملها لتتولوا تسليمها الى أيدي أصحابها ولكن يجب أن تحتاطوا ولا تكلفوا بهاته المهمة إلا لشخص يكون محل ثقة وبعد تسليم الرسائل الى أيدي أصحابها مباشرة يستلم منهم الرد عنها.

وحامل هذه الرسالة مكلف بأن يقول لكم بعض الأشياء.
وأرجوا منكم أن تجبوني عن الأسئلة التي سيوجهها اليكم».

وبعد أن طلب الداي توفير الحماية والحراسة الكافية لمرسوله ليتابع طريقه في آمان للاداء مهمة(1) وبعد أن أكد أن شجاعة وحزم مخاطبه معروفة لديه جيدا أضاف قائلا:

«هذا مما يجعلني متأكدا بأنكم إذا اتحدتم حول مبدإ العدل فانكم لن تقهروا. ومن الضروري أن تسود الثقة فيما بينكم وان تنسقوا أعمالكم وبذلك فانا انتصاركم على العدو سيكون مضمونا. وفي الوقت الحاضر يجب أن لا تمهلوه ولا تتركوا له وقتا ليستريح فيه. انكم تعلمون جيدا آن العدو ليس له قوة كبيرة، ولقد كان عن السهل التغلب عليه وهزيمته لو أن الخائن ابراهيم آغة والآخرين لم يقترفوا خيانتهم ضدى. ولقد كان بالامكان أن لا يحصل العدو على طائل من وراء عمله.

ومنذ الوقت الذي اعتبرتك فيه واحدا من أصدقائي المخلصين فإنني لا أتردد في أن أسند اليكم رعاية مصالحي وأنا واثق بأنكم ستفعلون ذلك من أجلي وبأذن الله سوف نلتقي قريبا»(2).

---

(1) لا يستبعد أن تكوَن وجهة هذا المرسول هي مدينة قسنطينة للاتصال بالحاج أحمد باي لكن اعتقال هذا المبعوث واكتشاف هذه الرسائل التي كانت في حوزته وضع حدا لمهمته.

(2) وجه الداي رسالة أخرى في نفس الوقت الى «السعيد محمد بن مقران مرابط بجاية» جاء فيها: «إنني أرجو من صداقتكم أن تبذلوا كل ما في وسعكم للانجاح ما كلفتكم به وأطلب أن تتحلوا بالحزم والشجاعة وبعون الله ستكونون من المنتصرين» نفس المصدر ونفس التاريخ.

3 ـ رسالة الداي حسين الى حمدان بن عثمان خوجة(1)

الى سيدي حمدان بن عثمان خوجة:

على الرغم من أن وضعي الحالي يمنعني من مراسلة أصدقائي لكن الرسالة التي بعثتها الى عن طريق مملوكي الى القورنة تستوجب مني الرد للانيركم عن الأحداث الماضية.

اعلم يا بني أنه ليس لي شيئا أطالب به من مبلغ أربعة الآف سلطاني(2) الذي هو بين يديكم. فهو ملك للأبنائي كما هو مفيد في سجلكم ومعروف لدى الخاص والعام. اما فيما يتعلق بادعاء يعقوب بكري بكوني مدينا له بمبلغ ألف ومائة سلطاني، فهذا إدعاء ليس بصحيح وليس له أساس. فلا هو ولا أحد غيره بحق له أن يطالبني بأي شيء حتى ولو آخذت شيئا منه عندما كنت دايا. ولم أكن في ذلك الوقت سوى كوني رجل ثقة وممثلا للمملكة. وعلى ذلك فلست مطالبا بأي شيء وللأي كان. فليس هـ لا عرف ولا قانون، حتى عند الفرنسيين، يعتبرني مسؤولا في هذه

ان مالية الخزينة كانت مفصولة عن نقودي الخاصة وهذا يعرفه جميع الناس والخزينة استولى عليها الفرنسبيون، وعلى ذلك فليس للبكري أن

---

(1) المصدر .A.G.G AL/ AIX.- 1 E .3 لم نعثر على النص الأصلي للرسالة والترجمة الفرنسية التي أوردناها ليست مؤرخة غير أنه يستشف من الرسالة انها كتبت خلال صيف 1831 ويحتمل ان تكون السلطات الفرنسية قد سمحت بوصول الرسالة الى وجهتها بعد أن احتفضت بترجمة لها.

(2) السلطاني الجزائري كان يصرف في هذا الوقت بعشر فرنكات.

يطالبني بأيّ شيء. وإذا ما تمادى في هذا الادعاء بدافع من نيته السيئة، وقد كان من الأجدر به أن لا يتطرق الى هذا الموضوع فهل نسي السند المزيف ذي المائة ألف دورو[1]، الذي أدعى بكونه صحيحا؟ هذين الورقتين هما الآن بحوزتي، ولو كنت لا أخشى الله لأظهرتهما وفضحت أمره، لكن هذا العمل جدير به هو وليس بي، لقد كان من الواجب عليه أن يدين لي بالعرفان بعد كل الجميل الذي أسديته له.

ففي اليوم الذي جاءت فيه عائلته الى منزل البرتقال[2] لتوديع زوجاتي منحتها خمسمائة دورو وأرسلت لها بنفسي ألف دورو معونة انسانية.

اقرأ عليه هذه الرسالة، فإذا كفّر وعاد الى صوابه فيها وإلا فلا يلومن الانفسه فأنا موجود الأن بباريس[3] وسأطلع الحكومة الفرنسية على هذين الورقتين وهذا من شأنه أن يؤذيه ويضربه...».

---

(1) الدورو هو عملة اسبانية كانت تصرف بخمس فرنكات في هذه الفترة. بخصوص هذا السند المزيف المشار اليه أعلاه، أوضح الداي لحمدان خوجة كيف أن يعقوب بكري تقدم اليه بورقة في يوم خروجه من القصبة تتضمن اعترافا منه بكونه مدينا للبكري بمبلغ مائة ألف دورو وطلب منه توقيعها ليقوم هو بعد ذلك بتحصيل المبلغ من الفرنسيين على أن يعطيه مقابل ذلك خمسة وعشرين ألف دورو، لكن الداي رفض التوقيع واحتفظ بالسند عنده «للان شرفي ومقامي لا يسمحان لي باقتراف هذا المنكر».

(2) مقر إقامة الداي المؤقت، بعد خروجه من قصر القصبة صبيحة يوم 5 جويلية 1830.

(3) قام الداي بزيارة العاصمة الفرنسية خلال صيف 1831 وأقام له الملك الفرنسي لوى فيليب يوم 27 أغسطس حفل تكريم في قصره.

4 ـ رسالة الداي الى وزير خارجية فرنسا(2)

الحمد لله:

حسين باشا والي الجزائر، الواضع اسمه أدناه يقدم احترامه لحضرة وزير الدولة الفرنساوية للأمور البرانية ويعلمه انه في أواخر غوشت سنة 1247 ــ 1831 حين كان بباريس قدم لحضرة الراي (أي الملك) عر ضحال فيه تفصيل مطلبه ومقاله وجاء من الدولة ان تجيب سؤاله أعني باتمام الشروط ووفاء العهود المسطرة بالجزائر في ما بينه والدولة الفرنساوية وطلب منها أن تجعل له تاويل في مصرفه وحفظ عياله وخدمته وتباعه فلما طال الآّ مر على الواضع إسمه ولم يرى جوابا من الدولة، رجع للأهله مع اليقين التام أن الدولة الفرنساوية متصفة وشأنها العدل والحرية الحقيقية واهمال هذا السؤال معرة على كل الجنس الفرنساوي فلابد أن ترضيه يوما وتوفي بعهودها. فلهذا الواضع اسمه اعتزل كل الخلق فتجنب القال والقيل وقرب المفسدين أعدائه وأعداء الدولة الفرناسوية، ومع هذا أشاعوا عليه قولا وزورا كذبا وفجورا بقولهم أنه يبعث في آلات الحرب للجزائر ويكاتب في القبائل والعربان على مفاتنة الفرنسيين، أمر لا وجود له ولا خطر بباله ولو أن في الحقيقة، القبائل وكل أهل الوطن كاتبوا الواضع اسمه واستعانوا به لِماَ هم فيه من الدرك من حكام الفرنسين بالجزائر، فالواضع اسمه لم يجبهم ولا يبعث لهم شيئا. معتمدا أن الجنس الفرنساوي أهل حرية وعدل فلا ينكروا تحملاتهم ولا ينقضوا عهودهم مع القوى والضعيف ويجعلوا تأويلا مع الواضع اسمه ولا يزال منتظرا لما يأتيه من الجواب من

---

(1) المصدر: A..E.P./.M. D. Algerie 9

طرف الدولة الفرنساوية. فبعد ثمانية عشر شهرا من سؤله وعرضحاله قل صبره وضعف رجائه من طرف الدولة الفرنسانية. لكن اجتمع واضع اسمه مع الشريف حسونة الدغيس وأخبره أن حضرة دُك (الدوق) ديبرولي هو اليوم وزيرا للأمور البرانية وأنه من ذوي المروئة والعفة وله غبطة في كل ما يخص الجنس الفرنساوي وأن هذا الوزير هو السبب في إعانة علي باشا والي طرابلس وهو المهدن للفتنة الكائنة في طرابلس. الدغيس المذكور حمل واضع اسمه على مكاتبة هذا الوزير الجليل رجاء أن يكون في عونه ويتصفح قضيته. فلهذا، الواضع اسمه كلف حامل هذا الكتاب الشريف حسونة الدغيس بعرض القضية وتبيين المقصد على حضرة الوزير ويكون له واسطة مع الدو لة الفرنساوية في كل ما يراه صواب. فالواضع إسمه يختم كتابه هذا بجميع الفاظ الاحترام والتعظيم لحضرة رئيس وزرائها الأكرمين وسلام.

حرر بالقورنة في 4 شوال سنة 1248 الموافق 24 فورار سنة 1833.

ملحق خير: الواضع اسمه يعلم حضرة الوزير أنه أراد الانتقال من هذا البلد الى الاسكندارية لعل دولت الفرنساوية تصدقه في ما قاله وفعله أعلاه ولهذا كلف قونس (قنصل) الفرنسيس بحضرة الدغيس المذكور وإشارته أن يعلم حضرة الوزير يبعث له فور قاطة تحمله بعياله وخدمته الى الأسكندرية ويبعث له مكتوب وصاية عليه لحضرة باشا مصر ولا زيادة على ما ذكر سوى الاحترام والتعظيم.

والسلام بتاريخ أعلاه

إمضاء وختم الداي

5 ـ دخول الفرنسيس للجزائر
أبيات من قصيدة الشاعر الشيخ عبد القادر[1]

بالحمد نبتدا ذ القصّة ونعيدهـا استغفـروا وتوبـو يـا مسلميـــن
صلوا عليه قد الدنيا وأمحانهـا مـا دمنـا نشوفـوا وأحناحييـــن

توبـــوا واستغفـــروا للمــــولا هـــذا آخـــر الزمـــان أدركنـــا
فيــه المحايــن وكـــل أبـــلا منـــا لفـــوق مـــا كـــان أهنـــا
التـــعب لطـــم كـــل قبيـــلا ماجـــا الأزمـــان الفتنـــا
مـــن عـــاش حالتـــه لا حالـــة واللـــي مـــات ذاك تهنـــا
أمـــن درى يـــافضلا حسراه وينهـــا مرغنـــا
سلطـــانت المـــدون الجمـــلا ولات فـــي يـــد أعدانـــا
ولات للنصاري شينين الدين
الأيـام ياخوانـي تبـدل ساعتهـا والدهـر ينقلب ويولي فـي الحيـن
بعدما كان سنجاق البهجة ووجاقها الأجناس تخافها في البر والبحريـن
أمنين راد ربـي ووفـي ميجالهـا وأعطاوهـا أهـل الله الصالحيـن
الفـرنسيس حـرك للهـا وخذاهـا لا هي مياة مـركب لاهـي ميتيـن
بسفاينه يقرنص في البحر قبالها كي جا من البحر بجنـود قوييـن
غاب الحساب ودرق وتلق حسابها الــروم جـاو للبهجـة مشتدّيـن
راني على الجزاير ياناس حزين
الكلب غير رقـب للمرسى شافها شاف المدافـع لوجهـه منصوبيـن
من جهة البحر قاع الناس تخافها بـرج الفنـار منه كـي مضعوريـن
يـرم سفاينـه وتقـدم قدامهـا فـي سيد فـرج نـزل ذا اللعيـن

---

(1) المصدر عن: Revue Africaine 1930 pp. 225 - 256

أسواحل البحر نحكي لك غطاوها   الأوطان والسهل ثم أشعاب اخرين...
لم المحال في يوم السبت وجابها   والسبت ماتوا شي من المسلمين
المؤمنين فزعت هي وصغارها   الأبراج والطبابن... بالمؤمنين
هبطت الصبايحية تنشد في ناسها   الاسلام كان شي من المجاهدين
أهنا الناس تظهر وتبان خيارها   موت الجهاد خير من ألّي حيين
حور الجنان راها تزغرت بأصواتها   أبواب النعيم للأمة مفتوحين
الموت لازمتنا وأحنايا زادها   والصبر لا تكونوشي خايفين
ظل الطراد يوم الحد والأثنين

....

زل الكلام ودرق عنا   وافترقت الفزوع وراحت
ماشي هاكذا ظنينا   في المؤمنين هذا فايت
تحسبنا على مزغنا   خلق كثير يبقى ميت
في لاحفير والجباتا   شبان للبلا تتفاوت
أعلى أصوارها تتفانا   يبقى الدم غير مقلت
لاكن بالحزن حزنا   من بعد عزها وانهانت
حتى اليهود فرحوا لنا   ونساهم الكلاب تزعزت
أعلاش شايعة مزغنا   حتى النسا معنا حزنت
أسعى بلا طراد هذا الكلب خذاها   وأدى أموالها أخوان الشياطين
كيف جاز على سطوالي وخذاوها   بطبول والعساكر والسنجاقين
زادوا خذاو قهوة الأبيار وديارها   وتشبطوا لبوزريعة في الحين
قدام الصنوبر نزل أمحالها   وخذاوا برج سيدي مولاي حسين
في الليل راحت الروم خربت طنبورها   والمؤمنين تبكي يا مسلمين
البعض راح والبعض صبر لطرادها   شدوه في الجناين نحو اليومين
المؤمنين هامت خلات أوطانها   وافترقوا على البلدان مساكين
الصبر يا أمة محمد ليامها   هذا ما قضى رب العالمين
من درى على الجزائر وعلى تحصانها   وعلى وجاقها نزلت فيه العين
حسراه وين دار السلطان وناسها   صدوا وجاو اليها أوجوه آخرين
حسراه وين بايات مع قيادها   يامن درى على ذوى القصباجيين
من درى على القضاة متاعها   من درى على ذوك النوبا جبين

حسراه على السراية وعلى حكامها وعلى مـواضع الحكـم المعزوزيـن
حسراه على دوك الشواش طغيانها حسراهويـن الاتـراك النصنـاصين

حسراه على المفاتـة وعلى قضاتها علمـات البـلاد مصابـح الديـن
حسراه على الجوامع وعلى خطباتها ومنابـر الرخـام الـيّ مرفـوعين
حسراه على الصوامع وعلى أذانها وعلى أدراسهـــا ثم الحزابين
حسراه على المساجد غلقت بيبّانها ضحا واليوم يا سيـدي مـنسيين

....

ولات غير وطية ومشات أرسامها مـاذا أيـغير المنكـر ذا اللـعين

....

ثاني بلانصة القصاريـة سماوهـا يعـد الكتـوب فيها والسفاريـن
الجامع العظيم الى كان قدامهـا هـدوه غير نقمـة في المسلـمين
يـا سمعين هــذا الــقصة خليـوا ذا الأمـــر يصرف
حسره ويـــن ذيك المرسة وغنـــايم القهـــاوي وملــف

قــرصان داخلــة للمــرصى قــداش مـن يسير مكتـف
للكافريـــن كانت بخصة الأجنــاس قــاع فيها تحلــف

....

بخالــق العبــاد تتـوسل بطـه رب وجـيب لها سلطـان أحنيـن
ويعود في السراية هـو سلطـانها يحكـم بــالشرع والحق المبين
بجاه الكتوب وجميع الى يقراوهـا والساجديـــن لله والركــعين

راني على الجزائر يناس حزين

6 ـ عريضة سكان مدينة الجزائر الى قائد قوت الاحتلال[1]

الحمد الله وحده:

الى حضرة المكرم سعادة الجلنار صاري عسكر أدامةَ الله وطال عمره في الخير ونعلم جنابك الرفيع بأن يوم اللذ قدمتم الينا لم رأينا منكم إلا جميع الخير وجميع الظلمات اللذ صاروا قبل قدومكم وحتى الآن باقي كذلك يصير الظلم و لم يصلك منه شيء لأن رأينا مهمايصلك منه شيء إلا وتحكم عليه بالحق، الله يجازيك بالخير.

واليوم أول مطلوبنا منكم أن ترد الينا حبوس مكي (كذا) والمدينة وجميع حبوسنا، لأنه أنتم أعطيتمونا الأمان في أمور ديننا وهذا الحبوس الذي اخذتموه لنا من غير حق نطلب من فضلكم الرفيع أن تردوا لنا ذلك باش نقوموا بالمساكين ومصاريف الجوامع والسبطار والكليلاير[2] اللذ ظايعين وباش نقوموا بالأملاك اللذ عهد مين أمتاع مكي والمدينة وغيرهم من مصالح البلاد. لأن اليهود لم أخذت لهم حتى شيء لارزق فقرائهم ولا مدتو أيديكم في جوامعهم إلا المسلمين اللذ أعطيتموهم الأمان وأيضا كذلك تعطى لنا لُكْطَرْوة[3] لأن مصالح البلاد مثل جميع البلدان كيفما أعطيتموه لنا نهار الأول. وكيف تعطو لنا لكطروه أمرونا نبنيو السبيطار ونحن نخلص

(1) المصدر: A.G.G. AL/ AIX - 1 E . 3 وقع على هذه العريضة ستة عشر شخصا فيهم أعيان وأرباب حرف وغيرهم، ولقد أثبتناها كما هي في نصها العربي.

(2) كلمة لم نتبين معناها.

(3) يعنى الرخصة أو التسريح.

الشيء يلزم عليه، باش تردوا لنا الجوامع الله أخذتهم وكذلك تعطو الكراء أمتع الديار أمتع الناس اللذ ساكنين فيهم العسكر الآن الكثير منهم فقراء ينتظرنا كراء الديار المذكورين، وباش ينتج هذا الأمر يسمى لنا كمسيون من خمسة من ناس واحد فيهم برمز دار وأربعة معينين معه ليكن تصريف المسلمين بأيديهم في جميع الأمور. وناس البلاد لازم يختارو هذا الناس ويعلمُكْ بهم تسمى لنا معهم واحد فرانصيص مثل الكمسيون أمتاع الرَّايْ (الملك) ناظر على الأمور من ستة أشهر الى ثمنية أشهر نعطوا لحساب أمتاع جميع الداخل والخارج وكذل في كل عام الكمسيون المذكور وجميع كبار أهل البلاد مع كبار أهل برة اللذّي طيعين يجّمعوُ في الجزائر بأمر الجلنار ويتخاطبوا في جميع الأمور اللذي صاروا في العالم من المليح ودوني وإذا لازم يطلبوا أمر من الرّاي تسميو واحد نبعثوه الى بريز بأمر الجلنار ورضاه وكيف يصبر هذا التاويل ناس كلها تطيع من أهل برة شرقا وغربا ان شاء الله، لأنه اليوم مدة وهذا مقصودهم وكيف يسّمعُ يصير لهم فرحا كثيرا. ونطلب منكم أن تخلص حق أملاك أمتع الناس اللذي هدمتهم لان الكثير منهم لم عندهم باش يعيشو إلا ذاك الكرا. وكذلك سابقا كان غمرنا حزنا كثيرا كيف سمعنا بعْتُوا وهران وقسنطينة الى التوانس واليوم سمعنا ماصح البيع وخليتهم اليكم صار لنا فرحا كبيرا الحمد الله، والله يجازيك بالخير اللذي عملت، نفيت الاتراك اللذي كانوا يفسدو الدنيا وان شاء آلله اللذين باقين برة، من ولاد الحرام كلهم نلقطهم ونرسلهم الى بلادهم، وسمعنا ان حساين (حسين) باش طالع الى البريز وخرجو خير هنا من عند أصحابه انه يشتري الجزائر من الفرنصيص ان كان هذا الخير صحيح نطلب منكم بشرع لم نقبل كبرائنا أتراكا وخصوصا حساين باشة. نموت كلنا ولا نقبل الترك. هذا كلام الناس ونحن ما جد عندنا ذلك، لأن الفرنصيص قلبُ حنين ويحب الحق لم يريد هلاكنا بواحد الظالم القتال.

وهذا الأمور الذي طلبنا بسيادتكم أن تنظر في هذا الأمر والذي يظهر لكم خرج الطريق أعلمنا والذي فيه أصلاح الجميع نطلبه منكم

ان تبعثهم الى المنشطر أو مكتوب من عند سيادتكم بتأكيد قضيان مصالحنا أن شاء الله وتران نترجاو منكم الجواب ما يكون إلا طيب كثير لأنه متكلين على الله ثم منكم. الجواب عاجلا عن قريب باش نسميو الخمسة رجال اللذي ذكرناهم لكم أعلاه ودمتم. وكتبت عن إذن أهل بلدة الجزائر وعلمائها كافة في 13 ربيع أول سنة 1247[1].

(1) أغسطس 1831.

7 ـ رسالة سكان المقاطعة الغربية الى قائد قوات الاحتلال[1]

من جميع أعراش عمالة بر الغرب جبلا ووطني من مشايخها ومن مرابطها وعلمائها الى حضرة الجنرال كبير الجنود الفرنسوية بالجزائر دام بسطه على وفق مراده.

ليكن في علمك ومقرر في ذهنك وخبر جميع الأعراش كلهم أنك تعديت على الجزائر وأخذتها بالقهر والغلبة وافتكيت المملكة من يد الترك، وغنمت جميع خزائن الجزائر واستقريت فيها ملكا والملوك (كذا)، ونحن طعناك وصرنا نتسوق معك بالبيع والشراء فإذا به خرجت بجيوشك وقصدت المدية وأخذت بومزراق وأتيت به موثوقا وفعلت فيه مرغوبك. ونحن منتظرين ساكتين. لأننا مبعدين من أمور الملوك وتركنا أمرك بينك وبين الترك وجددت الخروج بجيوشك الى متيجة وطفت بأحراشها وتمرحت فيها يمينا وشمالا لم يصدر منا لك شيء. والآن جرت علينا كثيرا وصرت تخرج على الأمور التفهية التي لا بال لها أصلا وتخلع أناسنا وأولادنا وتشتتوا بالهروب منك في كل خروج ولم يكن لنا عندك منفعة في خروجك سوى فرار الناس من أوطانهم ولاكن ليس هذا منك، وانما أثر فيك كلام الشياطين. فأنت مرة تجعل الأمان وتأمر على العافية بين الناس ومرة تفسدها بالخروج فحين ينظرون الناس في خروجك بغير سبة قاطعة يعني تضرك في حكمك ومملكتك: إما بسلطان يماثلك في الأمر

---

(1) المصدر: A.G.G. AL/ AIX. 1E. 3 رسالة ليست مؤرخة ولكن فحواها يحمل على الاعتقاد يكونها كتبت خلال صيف 1831 وقد أثبتناها في نصها العربي كما هي:

تغير منه وتخرج اليه فنقول فيقول الناس الحق معك في الخروج. وأما أنت تخل الناس حتى يجعلون العافية معك ويصيرون يتسوقون اليك ويجعلون في طرق أوطانهم العافية حتى صار الناس يأتونك بالزرع من أقصا المغرب، فحين تخرج بغير سبة تضرك. تفسد جميع ظنون الناس فيك والأمان وغيره لأن الناس جاهلون لعادتك ولا يحسبونك إلا على النقصان.

والآن فالمراد منا اليك والمؤكد به منا عليك هو أن تكف نفسك علي الخروج من الجزائر ومهما تعرضت لك قضاء حاجة في وطن من الأوطان فابعث كتابك فنقضوها لك كما تحب. واما الناس في هذا الساعة كلهم خارجين عن أمانك الأول لما جرى لك معهم في خروجك. والان إذا تحب العافية فبعث لنا جواب تكتب فيه الأمان لجميع الأعراش والمدون ويرجعون الناس للعهد الذي كانوا معك وإذا كانت نيتك فاسدة في عهدك معنا فاعلمنا. وليس الخداع بيننا، لأنك سلطان ولا تقع الخديعة من السلاطين.

واليوم رأنا طلبنا منك أشرع إذا كنت تريد العافية والهنا الي عباد الله أعمل ماذكرنا لك وأترك عليك أطمع وكلام الناس الذي يظهر لهم عندهم قوة ويقول لك هاكذا وهو مالوْ ما يخاف الواحد من الله حتى في ليلة واحدة يصبحوا كأنهم لم يكونوا فوق الأرض. ولا كن نخاف من الذنوب وننضروا للضعيف والصبيان والأيتام ما نحب نعمل هذا الفتنة. ولا كن بعد هذا الرأي لابد لنا نعمل كل فتنة وكل ما يصير من موت وفتنة وجوع في الناس وهول، كل الذنوب يصير في رقبتك لأننا ران نطلب منك أشرع وتشد فيك بالله العظيم باش تعمل تأويل الى عباد الله وتقبل (عترفنا)[1] وتعمل أصلح في عباد الله وفي أرض الله وأترك عليك كلام

(1) كلمة لم نتبين معناها.

الناس وأترك باب أطمع في أمر المحال لا يتصور في العقل لأنه دركتنا حاجة واحدة لأن هاذا العساكر أصغار الذي عندنا، وأصغار يحبُّو الفتنة ويحبوا يجريوا الدنيا وراهم واقفين على الفتنة للأنهم ذاق خطرهم. اليوم مدة عام وأحنا نراقب فيك وننضر في أمرك وعسى يهديك الله وتعمل لنا تاويل. حتى الى تريخ اليوم فإذا هي الخراب في أرض الله. وأنا حاكمين فيهم لا نحب الفتنة ولا نحب العيب مانحب منك إذا هداك الله بْرْكَ، أعمل لنا هاذ الرَّاي ووفر الفتنة ووفر الدم ووفر الهول في عباد الله. لأنه انظر وخمم اليوم مدة عام وأنت تعمل في رأي الناس ما ظهر منه حتى حاجة واحدة الا ضياع رزق العباد كثير وضاعت ناس منك ومنا من غير عقل وصواب واليوم راه كل ما يصير من فتنة وفساد، كل الذنوب يصير في رقبتك. وأما أحنا رانا بارين من الذنوب. وأنا طلبنا منك أشرع وطلبنا منك أن تكون حبيب لنا وصديقنا ويصير لك أربح منا فوق ما تطيق العقول من غلة في الأرض وما فيها من أمر العجائب لما تكونوا أحباب ويكون سيدنا المذكور باشة[1] نأخذ من عندك أهل الهندس (الهندسة) ويسيرون في الوطن معنا وتنضر من عجائب الله وما يكون من خير واصلاح الى عباد الله مثل ما راهم في أسندرية (الاسكندرية) وماصر (مصر) وغيرها وقيل يكون عندنا أحسن من ذلك، إذا كنت عاقل اسمع كلامنا وأنضر فيه ولا تغفل عنا والسلام.

---

(1) لم يرد في الرسالة اسم للباشا ولكن يبدو وأن السكان كانوا يتصورون إمكانية عودة الأمور الى ما كانت عليه في السابق أي يكون على رأس البلاد باشا يحكمها.

8 ـ نداء الحاج أحمد باي وأعيان قسنطينة الى سكان بايلك الشرق[1]

الحمد لله:

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

هذا ظهير كريم وخطاب واضح أمر مبارك عميم وأعلام صالح عظيم وأمر مبارك جسيم فيه مصلحة تامة ومسرة شاملة عامة بحول الله وقوته وعزته وارادته، قد صدر ذلك وانبرم عندنا هنالك من جانب أمير البلد المعظم الأكرم الهمام الأفخم ذي الرأي السديد والتدبير الصايب السيد الحاج أحمد باي حفظه الله بسرا لسور والآبي والعالم الجليل الخطيب الأهيل أبي عبد الله السيد محمد شيخ البلد، والعالم العلامة الفهامة السيد مصطفى قاضي السادة الحنفية والعالم العلامة التحرير السيد أحمد العباسي قاضي السادة المالكية والعالم الأمثل السيد مصطفى مفتى السادة الحنفية والعالم الفقيه السيد عمار مفتي السادة المالكية والعلامة الأكمل السيد محمد العربي ناظر الأوقاف والمعظم الأجل السيد مصطفى الخليفة والمعظم الأجل السيد الحاج محمد قايد دار الامارة السعيدة والمعظم الأقبل السيد محمد الحاج شيخ الغرب والوجيه المبجل السيد بن محمد بن الحملاوي قايد الزمالة وأعيان البلد والكبراء والأمناء وكافة أهل الحرف من العرب والأجناد، سدد الله الجميع ووفق الكل الى صالح العمل وحسن الصنيع آمين.

---

(1) المصدر: صالح العنتري، «فريدة منيسة في حال دخول الترك بلد قسنطينة» قسنطينة، 1846، ص ص 194 ــ 197.

ليعلم الواقف على هذا المكتوب الأعظم والمنشور المبارك الأفخم الجالب للخير والسرور المضاعف بحول الله وقوته للبركة والحبور وبه تكون إن شاء الله عافية البلاد وهناء العباد وعمارة الوطن وذهاب البؤس والمحن وهو أن الأمير المتفق على امارته والناظر في كافة المصالح وعامة المطالب والمئارب هو السيد الحاج أحمد باي المذكور لاخلاف عند أحد في ذلك. وأنه حرر الرعية من كافة المظالم السابقة لا يطالبون بمغرم ولا محتمه ولاخلاس ولاجابرى ولا غير ذلك من التكاليف الفارطة ولا يأخذ منهم شيئا سوى الزكاة والعشر بوجه ما أحكمه قانون الشرع العزيز للاستعانة على جهاد الكفرة دمرهم الله تعالى، أعلم الأمير وشيخ البلد والعلماء بهذا اعلاما تاما شاملا عاما، ومن أجل أن يكون هذا المكتوب للرعية أصلا وأصيلا في رفع المظالم عنهم يعتمدون عليه. وأمرا منبرما ممن ذكر عند المهمات يرجعون اليه. والمقصد بذلك إدْخال السرور على المسلمين والجريان على سنن سبل المهتدين وعمارة الناس واذهاب الالباس. والله الموفق للصواب واليه المرجع والمئاب لا رب غيره ولا خير الأخيره وهو حسبي ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فحسب الواقف عليه الوقوف عنده وعدم المخالفة. وكتب بإذن السادات والأمير كما ذكر بتاريخ أواخر جمادي الأولى سنة 1246[1].

(1) أوائل شهر نوفمبر 1830.

9 ـ النداء الذي وجهه الحاج عبد القادر الى القبائل على اثر بيعته أميرا للجهاد[1]

الحمد لله وحده الصلاة والسلام على من لاني بعده. الى (وقبيلة كذا) وخصوصا نبلائها وشيوخها، وأعيانها وعلمائها، هداكم الله وأرشدكِم ووجهكم الى الطرَيق المستقيم ونجح أعمالكم ومساعيكم.

ان أهالي معسكر وشرق وغرب غريس وجيرانهم وحُلفائهم بنى شقران والبرجيين وبني عباس، واليعقوبيين وبني عامر، وبني جماهر، وغيرهم، قد وافقوا بالاجماع على تعييني، وبناء عليه انتخبوني للادارة حكومة بلادنا. وقد تعهدُو أن يطيعوني في السراء والضراء وفي الرخاء والشدة، وان يقدموا حياتهم وحياة أبنائهم وأملاكهم فداءا للقضية المقدسة.

ومن أجل ذلك إذن، تولينا هذه المسؤولية الهامة ــ على مضض شديد ــ آملين أن يكون ذلك وسيلة لتوحيد المسلمين ومنع الفرقة بينهم، وتوفير الأمن العام الى كل أهالي البلاد، ووقف كل الأعمال غير القانونية التي يقوم بها الفوضويون ضد المسلمين وصَدٌ وطرد العدو الذي اعتدى على بلادنا يريد أن يغل اعناقنا بقيوده. ولقبول هذه المسؤولية اشترطنا على كل أولئك الذين يمثلون السلطات العليا أن عليهم دائما واجب الخضوع، في كل أعمالهم الى نصوص وتعاليم كتاب الله والى الحكم بالعدل في مختلف مناطقهم، طبقا لسنة النبي وان يعاملوا القوى والضعيف، النبيل والمحترم باخلاص ودون محاباة وقد قبلوا هذا الشرط.

---

(1) المصدر: عن شارل هنري تشرشل؛ «حياة الأمير عبد القادر» ترجمة وتقديم د. أبو القاسم سعد الله. الجزائر 1982، ص ص 69 ـــ 60.

ولذلك تدعوكم إلى أن تشاركوا في هذا العهد أو العقد بيننا سارعوا إذن للأعلان ولائكم وطاعتكم والله يجازيكم في الدينا والآخرة. ان هدفي الأساسي هو الاصلاح وفعل الخير ما دمت حيا. ان ثقتي في الله ومنه وحده أرجوا الجزاء والنجاح.

بأمر المدافع عن الدين صاحب السيادة علينا أمير المؤمنين عبد القادر بن محي الدين نصره الله أمين.

10 ـ عريضة بعث بها عدد من أعيان مدينة الجزائر الى أعضاء البرلمان الفرنسي(1)

حضرات السادة:

اننا نسمح للأنفسنا بأن نعرض عليكم حالتنا البائسة التي تدفع الى اليأس. انها شكوى صريحة هامة التي نرفعها الى حكومتكم العادلة لتخليصنا من جلادينا وآلامنا.

عندما وصلت قواتكم أمام مدينة الجزائر بعثتم الينا بنداءات مضامينها جد محابية بالنسبة لنا. لقد اعتقدنا إننا سنكون سعداء جدا تحت الحكم الفرنسي لقد رفضنا المسير ضد القوات الفرنسية. ولقد حصلنا على وعد مشرف معتقدين جازمين أن فرنسا لن تنكث عهدها أبدا.

لقد غرر بنا وخدعنا. فمنذ ثلاث سنوات ونحن نتحمّل كل أنواع الظلم التي لا يمكن تصورها. و لم يحدث أن تعرض شعب لمثل هذا الطغيان. ولقد رفعنا الشكاوي للسيد وزير الحرب ولكنه لم يعط أمرا، مطلقا باستجابة مطالبنا، بل بالعكس، ففي كل مرة نرفع فيها شكوى إلا ونتعرض لمظالم جديدة أشدّ وأدهى وبالأخص ضد أولئك الذين يوقعونها. ولهذا السبب فلم يعد أحد قادرا على اظهار نفسه. وهاته الشكوى التي سنرفعها اليكم سوف لن تحمل توقيع أي أحد.

---

(1) المصدر: وثيقة لم نعثر على نصها العربي وانما على ترجمتها الفرنسية؛ وقد طبعت ووزعت في باريس في عام 1833. وهي محفوظة في المكتبة الوطنية بباريس.

إننا نترجاكم أيها السادة بإسم الانسانية ان تخلصونا من هذا الطغيان وهذه العبودية. وها هي الوسيلتان اللتان نعرضهما على اقتراعكم وعلى حكومتكم، لتحقيق هذا الغرض!

الأولى، هي أن تأمروا في أقرب وقت ممكن بان تصبح بلادنا مقاطعة فرنسية والأخرى ان تكون عندنا حكومة مدنية. لأنه إذا ما أريد الاحتفاظ بالبلاد مع استبقاء الحكم العسكري، فانه لن ينجم عن ذلك أي شيء مفيد. ونستطيع أن نؤكد لكم بأن هذا سيكون مآله الفشل. وعلى ذلك، فالأفضل هو ترك البلاد مع الحصول على شروط مفيدة لفرنسا وضمان السكان الذين أعلنوا ولأنهم للقضية الفرنسية.

اننا نلفت انتباهكم أيها السادة بأن أولئك الذين يقولون لكم بأننا همج وبكونه ليس لنا لا دين ولا ملة هم يضلونكم. فسيرتهم السيئة واعتداءاتهم، وطغيانهم وانتهاكهم للعهود تجعمل الانسان الليّن والمنقاد يتحول الى وحش ضار.

لتكن عندكم شفقة بشعب يائس مصيره بين أيديكم. خلصونا من العنت والهموم التي تثقل كواهلنا. وكونوا واثقين بأننا سنكون مدينين لكم بالعرفان والجميل.

11 ـ التفويض الذي منحه أعيان العاصمة لحمدان بن عثمان خوجة ليتكلم باسمهم في فرنسا[1]

يبدو انه بقدر ما نشكو بقدر ما تزداد وضعية السكان سوءا.

فالموقعون يوعزون هذا، الى تدبير محتوم. ذلك ان نفس حكومة فرنسا هذه تنفق أموالها بسخاء من أجل نشر الأفكار التحريرية وتساهم في العمل من أجل سعادة الشعوب.

لقد فوضنا نحن الموقعين سيدي حمدان بن عثمان خوجة لتقديم هذه الشكوى لجلالتكم. كما تخوله صلاحية تمثيلنا والدفاع عن حقوقنا سواء أمام عدالة حكومة فرنسا أو امام ملك الفرنسيين الذي هو كذلك أب للشعوب.

فلتكن حاميا ومدافعا عن الجزائريين وساعدهم على الانعتاق فهذا ما نأمله من خيرة الملوك الذي يتحلى بكل أنواع الفضائل. الجزائر. 27 أغسطس 1833.

(1) المصدر: Hamdan Ben Athmane KHODJA, «Aperçu historique..» Paris, 1833 pièce justificative n°6.

12 ـ الشكوى التي رفعها كل من حمدان بن عمثان خوجة وابراهيم بن مصطفى باشا الى رئيس وزارة فرنسا[1]

الحمد لله:

حضرة الوزير الأعظم وفقه الله.

بعد التحية اللائقة والأدعية الفائقة، المعروض منا هو أن دخول الدولة الفرنسوية للجزائر، كان بشرط صيانة ديننا وحريمنا وأملاكنا وأموالنا واحترام مساجدنا وشريعتنا.

1 ـــ أول ما وقع من المخالفة بعد نفي القاضي والمفتي بغير حق أن استولوا على أوقاف مكة والمدينة، وهي صدقة منا ومن والدينا على الفقراء بمقتضى الشرط بعد الموت على وفق ديننا. لا طريق لهم الى الاستيلاء عليها وأخذ ما كان عند الوكيل من النقود.

نطلب ردها كما كانت وان يردوا كل ما أخذوا من نقود كراء. وما سكنوا من ديارها وبساتينها، وبدون أجرة ولا تقدير. فيسلموا كل ذلك للوكيل على وفق ديننا المشترط صيانتة واحترامه.

---

(1) المصدر: عن التيمي عبد الجليل: «بحوث ووثائق في التاريخ المغربي 1816 ـــ 1871» تونس 1972 ص،ص 146 ـــ 165. أنظر الترجمة الفرنسية للوثيقة في كتاب حمدان بن عثمان خوجة «المرآة» بالفرنسية. المستند رقم 1 ص،ص 328 ـــ 351.

2 ـــ الثاني: هدموا أملاكنا وأملاك الأوقاف، وأدعوا، ان الهدم لتوسيع الأزقة والعمل البلاصة. وكتب كلوزال وشهّر أن الكوفيرنو (الحاكم)، يعطي كراء المهدوم وقيمته، وعين كومسيون (لجنة)، كنت أنا واحدا منهم وأمرنا أن نقوم المهدم بالسعر الذي كان في مدة الترك، ثم أعطوا الكراء نحو الثمن مما قومنا في مدته، وتوالي الهدم الى يومنا هذا. فهدم نحو ثلث البلاد من أملاكنا. والى مدة مسيو بيشون، كانوا يقيدون ماهدموا. وفي مدة مسيو جنتيل دي بوسى صاروا يهدمون ولا يقيدون، كالمال المباح. فنطلب كراء ما هدموا، وقيمته سواء كان لنا أو كان أوقاف مكة والمدينة. أو من أوقاف المساجد.

ثم نحن قابلين بحكم الشرع، وذلك حيث أن أملاكنا كانت في مدة الترك سعر وفي هاته المدة بسعر زائد، فان كان حكم الشرع بأقل السعرين فلا محيص لناعنه وان حكم الشرع بأزيد السعرين أو بالتوسط فلا نرضى أن يضيع حقنا.

3 ـــ ثالثا: هدموا جامع السيدة وأخذوا سارياته وأبوابه الرخام وزلايجة وألواحه الأرز الذي يأتي من فاس وهو يقرب من لوح السرو. كما هدموا ثلاثة أو أربعة مساجد حوله صغيرة لأجل البلاصة.

أما أولا: فان البلاصة ليست مذكورة في الشروط حتى يهدم بها المشترط صيانته وثانيها: ليس في بلاد المسلمين بإفريقيا بلاصة، ثالثا: المضمون بالشرط إذا اقتضت المصلحة برغمهم، تعطى قيمته.

فنطلب ثمن ما هدموا من الجوامع والمساجد وثمن ما أخذوه من الآته ونقضة لأن المساجد للمسلمين كل واحد منهم له فيها حق لا خصوصية لسلطات ولا قاضي ولا مفتي كالملك المشترك لا يأخذ منه أحد شيئا. ولا عبرة بإذن الحاكم بل أذنه مردود عليه لأنه لا يختص بزمان، بل لمن سيوجد الى يوم الدين. وكل مسلم له حق المطالبة بما أخذ منها.

4 ــ رابعا: أخذوا جوا معنا ومساجدنا، و لم يبق بيد المسلمين إلا أربع جوامع وعدة مساجد صغار. ونحو ثلاث أرباعها أخذوه وسكنوها واكتروها للتجارة.

فنطلب ردّ جميعها بحكم الشرط. ونطلب ترميم ما أفسدوه، وثمن ما أخذوه من سوائرها وألواحها لأنه لا يجوز للمسلم أن ينتفع بالمساجد بغير الصلاة وأوقات التدريس، وان خربت وان تعطلت، هذا ديننا.

5 ــ والخامس: أخذوا جامع كجوّة وصيروه كنيسة وهو أحد جوامعنا ومشيد بما لا مزيد عليه. فنطلب رده لما ذكرنا ولأن الدولة الفرنسوية لا تعجز عن بناء أمثاله، حتى تنفر القلوب وتغير أمر الدين وتخالف الشروط.

6 ــ والسادس: أخذوا زاويات وهي بيوت مبنية وقفا على فقراء المسلمين يسكنونها بدون كراء في شرط المحبس كما سبق، ولكل فقير فيها حق. كما لكل غني إذا افتقر. هذا ديننا ولاوجه لأخذها. فنطلب ردها وردما أخذوه من كرائها، فنعطيه للفقراء الذين أخرجوهم منها بدون مهلة، كل واحد بفراشه على ظهره.

7 ــ والسابع: بيوت الخلا، مياه جارية وقف على المسلمين، وعلى من أراد قضاء حاجته، ويتوضون منها. أخذوها وأكتروها. وهي من جملة أوقافنا، حتى لا ينجس الناس الأزقة. لآوجه لأخذها ولكل واحد فيها حق. وسامحني في سوء الأدب بذكرها لأنهم لم يستجيبو بأخذها وكرائها للتجار، فكيف نستحي بطلبها.

فنطلب ردها وردما أخذوه من كرائها نفرقه على الفقراء في مقابلة أنها وقف لاجل الثواب.

8 ــ والثامن: مقتضى ديننا وسياستنا، احترام الأولياء واحترام تربتهم حتى أن من هرب الى تربة ولي، ولو كان عليه قصاص شرعي لا نخرجه من التربة بل نترصد خروجه بنفسه احتراما لذلك الولي وتعظيما لمن أطاع اليه، فهي بمنزلة الجوامع في الاحترام، واشتراك الناس في زيارتها والاحتماء بها. ولكم ما يقرب من ذلك في الكنايس، فأخذوا منها مواضع عديدة داخل البلاد وخارجها. فمنها ما هو مسكن لهم ومنها ما هو مستأجر للتجار وكتبوا لنا من الجزائر انهم أخذوا بعد سفري، تربة سيدي الجودي وأكتروه بماية فرنك. كيف يلوثون اسم دولتهم بماية فرنك وليست من أملاك البايلك، فأي طريق لهم لأخذها.

فنطلب ردها كما كانت وترميم ما أفسدوه واعطاء ما أخذوه في كرائها نتصدق به على ذلك الولي لمن له أهلية لقبول الصدقة.

9 ــ والتاسع: أخذوا بساطات جوامعنا، افترشوها في ديارهم. وآخر من أخذ مسيو برندات؛ دخل جامعنا بدون رضائنا واختار البساطات بنفسه وأخذها، واختار قناديل وثريات رفعها ووجد منبر رخام كنا أتينا به من جامع السيدة المهدوم فرفعه فافترشوا البساطات بديارهم وأوقدوا الثريات في جمعياتهم.

فنطلب رد المنبر والقناديل والثريات، أو قيمتها أن عدمت وقيمة البساطات لأنهم وطئوها بنعالهم فلا تجوز الصلاة عليها. وهي كالجوامع وقف لا ينتفع بها في ديننا في غير الجوامع. ولكل مسلم فيها حق، ولا ينفذ عطاء من أعطاها ولو كان أميرا أو قاضيا.

10 ــ والعاشر: أخذوا أملاك الترك المتزوجين من بناتنا بعد أن نفوهم بغير حق بل بمجرد الدعوى. وسافر بعضهم بلا نفي. نحن لا نرضى أن يضيع حق بناتنا وأولادهم لأن مئاله اليهم. وما زوجناهم لبناتنا

إلا لأجل عقارهم ومالهم[1]. و لم يكن في شروط الصلح الا تسليم القصبة والأبراج وما يتبعها من أملاك البايلك، أما سائر الأملاك فانها مضمونة.

فنطلب ردها الينا بجميع كرائها لمصروف بناتنا الباقين عندنا بلا أزواج، ونرسل لمن سافروا مع أزواجهم. ونطلب كرائها وكراء ما سكنوه منها بتقويم المقومين.

11 ـــ والحادي عشر: لنا ولغيرنا أملاك وأوقاف مسكونة للعساكر وللجنرالات ونحوهم، حتى للأطباء وأمثالهم، لم يعطوا كرائها ولا قوموها. وبساتين كذلك، قطعوا أشجارها وقلعوا سقوفها وأبوابها فأحرقوها حطبا.

فنطلب كرائها وثمن ما أفسدوه منها بتقويم المقومين.

12 ـــ والثاني عشر: انهم عملوا طرقا لطلوع الكراريط للمواضع العالية أخذوا بها يمينا ويسارا فدخلوا بأكثرها بساتيننا وجعلوها طريقا عريضة، وأفسدوا ما حولها من الأشجار وبناء نحن لا نستخدم الكراريط.

فنطلب ثمن التراب الذي أخذوه، والشجر والبناء الذي أفسدوه كما هو مقرر في كل الأوروبا ولكون نسائنا يحتجبن، فكره البستان المكشوف فنطلب الفرق الذي تشقه الطريق والذي لا تشقه.

13 ـــ والثالث عشر: من يوم دخول الفرنسويين للجزائر الى يومنا هذا، لم يزالوا يحفرون مقابر أبائنا وأجدادنا يستخرجون الآجر والأحجار فيبنون بها وعظام موتانا يبعونها فترسل الى مرسيليه بالمراكب ومسيو بيشون عمل تاويلا لعدم بيعها وبعزله بطل. وعينوا لنا لدفن موتانا موضعا مع كونه لا يكفينا شرعوا في حفر مقابرنا فيه.

---

(1) صياغة هذه الجملة في النسخة الفرنسية تختلف بعض الشيء عن صياغتها العربية وهي كالآتي: «عندما زوجنا بناتنا بهؤلاء الاتراك كانت لهم أملاك، و لم نكن لنقبل تزويجهن بهم، بدون ذلك».

أما أرضها فأكثرها مملوك، وباقية وقف على الفقراء، وعلى من ليس له جبانة، المحبس لأكثرها اسمه بو قندورة. لكل واحد من المسلمين فيها حق، وقد اتلفوها بأن جعلوا بعضها بلاصة وبعضها بساتين باعوها أو أكتروها.

فنطلب رد ما أمكن رده منها، واعطاء ثمن ما لم يمكن رده بتقويم المقومين وأما عظام آبنائنا التي باعوها فنطلب ان يحكم الشرع العيسوي أو الموسوي أو المحمدي فيها، بما يسترضي ابن الحلال عن عظام آبائه وامهاته. كنا نرى رؤوس النساء بشعورهن والرجال بلحاهم فانظر مروئة الدولة الفرنسوية في جبر ما لا يمكن جبره.

14 ـــ الرابع عشر: انهم التزموا ان يدخلوا ديار المسلمين ويروا نسائنا وحريمنا، ويقيدوا اسمائهن وأعمارهن أولادهن وصحتهن ومرضهن، فعينوا مسلما مع اليهود والفرنسويين، فشرعوا بدخلون دار دارا ونساؤنا يحتجبن بقدر الامكان. فربما يستعملون المروة في ديار نحو القاضي والمنسبال، فتعدي بعض خدام كران بريفو[1] الأدب، فغضب المسلم الذي معهم فلم يحضر بعد ذلك المسلمون وبقي اليهود والفرنسيون يدخلون الديار.

وهذا مع مخالفته للشروط، لا منفعة فيه لأنه لا يتم في مدة ستة أشهر وفي كل شهر يرتحل الناس من دار الى دار فرب أهل دار دخلوها يرتحلون الى دار لم يدخلوها بالعكس على حسب انقضاء مدة ما أكتروا وهم يعلمونه فتعين أن مُرادهم هتك حرمة المسلمين. ويدل عليه ما وقع لي بنفسي لما زوجت ابني قبل التاريخ بنحو ثلاثة أشهر.

استدعيت بحكم المروة «المروئة» زوجة الدوك وزوجة اتندان ميليتر وزوجه اتندان سفيل وذكرت لكل واحدة بحضرة زوجها أنه لا يمكن حضور الرجال حتى أنني ولو كنت أباه فلا أحضر. فأتين ليلا وقت العرس

---

(1) قائد الشرطة العسكرية.

ومعهن مسيو جنتي دي بوسى وفرنسوى آخر، فدخلن ودخلا معهن. فلما توسطا الدار تصايح النسوان فبادرا ليه ابني وأخرجه بالتكلف والدفع. ثم رجعا ووصلا الى قرب بيت العروس فتصايح النسوان فرجع اليه ابني وأخرجهما بعنف وصار الفرح حزنا.

فنطلب ان تمنع هذا الفعل الشنيع الذي تتحاشى الدولة الفرنسوية عن قبوله مهما علمته. وأما جزاء من فعله فموكول الى انصاف حضرتكم. وقد سمعنا أن مبدأ هذا الأمر انه وقع حكم بتفقد الأموال والمصوغ والنساء وغيره وبأن يقيدوا، ثم مهما أرادوا يعيدوا النظر مرة ومرات فيرون هل زاد أو نقص كيلا تصرفها أو نضيعها.

وحين عرضوا هذا الأمر على الحكام القانونيين، امتنعوا وقالوا لابد في مثل هذا من إذن الوزير فلم يوجد عندهم إذ نكم فأبطلوا. وبقي أمر تفقد النسا فاسأل عنه، الغالب انه كذلك.

15 — الخامس عشر: انهم نبهوا أن يعطوا أغنياء الناس قدرا من الدراهم ليشتروا بها الحنطة ويبيعونها في زمان الشتاء، فامتنع الناس وشكوا وكثر القيل والقال، فجبرونا وهددونا بالحبس فأعطينا جبرا، فان كان لأجل الثواب فلا يكون على أيدي الحكام، كيف الظالم يقطع الطريق ونحن ندفع المال.

فنطلب رد أموالنا ونرجوا العدل كي تتأمن الطرق وتأتي الحبوب من حيث كانت تأتي في مدة الترك منذ ثلا ثمائة عام. فكنا نشتريها رخيسة وترسل الى بلاد الأوروبا. والترك على ضعفهم بالنسبة للدولة الفرنسيوة يشترون الحبوب وقت الحاجة من خزائنهم ويبيعونها للفقراء برأس مالها ويؤمنون الطرق ثم بالسيف بعد السياسة والعدل.

16 ـــ والسادس عشر: ألزمونا أن ندفع عشرة صولدى[1] من كل دار كل شهر، وأخذوا تقديم ثلاثة أشهر. ثلاثين صولدي. وذكروا أن رجلا من ودان اسمه طوير الجنة خارج عن حكومة سلطان مراكش، كان حج واجتاز بالجزائر في رجعته، فأقاموه فوق مقامه وبالغوافي تكريمه، ولم يشاوروا أهل البلاد فادعوا أنهم صرفوا عليه ألف ومائتي فرنك وبمقابلة ذلك جعلوا هاته الغرامة.

أما كونه لا يلزمنا فظاهر، ولو كان يلزمنا فكوننا نبقي غرامين على طوير الجنة على الأبد،لا نقبله. وكوننا كل شهر نعطي أضعافه لا يجوز.

فنطلب ردما أخذوه وابطال هذا الظلم. ورد ثلاثين صولدي لكل دار لا يغنيهم إلا أنه فيه اظهار عدل الدولة الفرنسوية واعلام بأنها لم تسمع ذلك ومهما سمعت ترفع الظلم.

17 ـــ والسابع عشر: المرابطون في جميع نواحي الجزائر، أحياء وأموات محترمون كما سبق، وشأنهم إطعام الطعام واطفاء الفتنة وتأمين الطرق. وكان بالقليعة أهل زاوية مرابطين. ولما قصد البغاة الجزائر في مدة الدوك (الدوق دي رفيقو)، خرج من القليعة كل من أراد البغي والشقاق، وبقي المرابطون وضعفاء الناس. فلما قرب اليهم العسكر الفرنسوي خرجوا مترجلين بدون سلاح، مذعنين بالطاعة متبرئين عمن خرج من ناسهم وأتوابين يدي الجنرال فكان الواجب اكرامهم لأنهم لا قوة لهم حتى يمنعوا من خرج و لا وكالة لهم على أحد منهم. فحبسوا المرابطين والقاضي، والزموهم غرامة مليون فرنك، فباعُوا أملاكهم ومواشيهم وحبوبهم حتى البذر فبلغ ذلك عشرة الاف فرنك دفعوها، وتخلد حبسهم اليوم ثمانية أشهر

(1) نصف فرنك.

هم محبوسين. وتحميلهم مليون بمنزلة تحميل حمار جبلا كبيرا. في كل دين لا تزروا وازرة أخرى. فمن ذلك اليوم تعطل مجييء الحبوب من واد جر التي كان يأتي منها معاش الجزائر ومتيجة، لأن هذا المرابط له حرت في واد جر فالطرق الغربية في مدة الكوميسون هو الذي كان يؤمنها وعن هذا غلت أسعار بلادنا منذ حبسو وصارت معايشنا تأتي من الأروبا فصارت أسعارنا أغلى من أسعار الأروبا وعنه لزمهم أن أخذوا منا ما ذكر في الظلم الخامس عشر.

فنطلب إطلاقهم، ثم العدل والمروئة تستعدي رد ما أخذ منهم، واسترضائهم لأجل صلاح حالنا وانتم مكلفون به.

18 ــ الثامن عشر: كتبوا خطوطا شهروها بان حضرة الوزير الكثيرة (الحرب) أمر أن يعطي الناس عقود أملاكهم للدومان حومة بعد حومة. فأول حومة طلبوها من باب الواد الى دار الامارة، فأتى الناس بعقودهم فبعد أيام، رد عقود خمسة ديار وبقي الباقي عنده أزيد من شهرين، فارتـاع أهل البلاد وظنوا أن الدولة الفرنسوية تريد أخذ أملاكهم، حتى أن البعض التزم أن يبيع ملكه بأرخص ثمن وانظم الى ذلك أن السماسرة من اليهود يخوفونهم.

نعلم جنابكم انكم أن أردتم إجراء قواعد الفرنسوية في عقودنا فلا نجد عقدا يبقى لصاحبه. وان التزمتم بحكم الشروط صيانة ديننا وأملاكنا، فعقودنا وحكم قاضينا وقوانين ديننا تكفينا في تصحيحها. منطوق القرآن بأن شهادة العدلين هي المعتبرة والكتابة والعقود أضعف من العدلين للاحتمال في الخط بالتمثيل. وأيضا، أكثر أصحاب الأملاك سافروا وأخذوا عقودهم معهم وأيضا كم من دار تلف عقدها والشرع المحمدي يحكم بأنها له بسبب اليد وعدم المعارض مع امتداد الانتفاع بها. وأيضا كم من دار مكتوبة على جد عال وتنوسي فيها اسم الوسائط، إذ ليس لنا سجل يجمع من ولد ومن مات فالشرع يكفيه الشهرة مع عدم المعارض.

فتوهم أهل بلادنا أنكم تريدون الحكم بالشرع الفرنسوي في أمر عقودنا وهو تلفيق من شرعين فلا يجوز.

فنطلب رفع هاته الفتنة حتى لا يتلف الناس أملاكهم بالبخس في البيع وان لزم ولابد فليكن بحكم شرعنا المشترط احترامه. ثم أن لمن أغراكم بهذا الأمر إن صح، أغراض آخرى نتيقنها و لم يسمح الوقت بذكرها.

واما ما لا يحصى من الجزئيات الشنيعة فكثيرة؛ مثل اخراج الناس من سكناهم بدون مهلة وبمهلة يوم وليلة وثلاثة أيام سواء كان ملكا لهم أو بكراء قبل تمام مدته ليسكنها فلان وإلافلان. ومثل هذا ما وقع في ثالث عيدنا في 13 من محرم. أن نبهوا على عدة ديار من أوقاف مكة والمدينة أن يفرغوها ويعطوها للدلال لزيادة الكراء فأمتنع من فيها وقالو نحن أكتريناها من الوكيل الذي نصبتموه على الكراء وهو مذكور بدفتره، والعام القابل بذمتنا؛ لأن العادة انهم في رجب قبل رأس العام بستة أشهر إما يأمروهم بالخروج أو يجددوا لهم كراء سنة، فيلتمسون ما بين ستة أشهر دارا أخرى. وإلا في مدة ثمانية أو عشرة أيام كيف يجدون دارا يرحلون أليها والشرع لا يخرجهم جزما. فلم يقيلوا لهم عذرا وأخرجوهم.

ومثله أن اليهود يتجاسرون على المسلمين وبالخصوص على البدويين الذين يأتون من البراري، و لم نرمن عساكر الفرنسيويين مثل ذلك التجاسر، مع ما ترتب من الغيرة حيث أن اليهود لم يحفر لهم قبر و لم يهدم له ملك و لم تؤخذ لهم شنوغة (البيعة) بل شنو غائهم اليوم أزيد من جوامعنا الباقية بأيدينا والشنوغات وان كانت داخلة في الشروط إلا أنها ضمنا ومساجدنا صارحة، وأمثال هذا مما يغير القلوب ويسيء الظنون بالدولة الفرنسية كثيرا جدا.

فهذه بعض شكاوي ومطالب. والمشتكي اليه هو مالك الملوك سبحانه وتعالى ثم من بعده حضرة راي (الملك) فرانسة ثم حضرة ديوان حقوق البشر، ثم حضرة الوزير. ونحن ممن يأتي البيوت من أبوابها،، حيث

أن حضرتكم مقدم على نظام بلادنا ونعلم بقينا انه لم يبلغ جنابكم ما حل بنا أو بلغكم ملفوقا في وجوه لا أصل لها.

فأرجو جنابكم أن لا تجيبني بمثل ما أجبتم به سيد ابراهيم بن مصطفى باشا حيث قلت له: «أمشي الى الجزائر وانا أسأل عما قلت فان كان صحيحا نرفع الظلم» لأنني لا ينفعني أن تسأل الظالم عن ظلمه ولا ارتضي جوابه. وإن كان مرادكم سؤال القاضي والمفتي، فأعلم أن كلوزال كان نقي المفتي شيخ الاسلام بسبب تحريرات له اليه في أشياء يقول انها مخالفة للشروط فلكونه يقول الشروط نفاه؛ وأدعي عليه مالا أصل له وحبسه كما نفي برمون القاضي بدون حق؛ فلم تبق جرأة للعلماء أن يقولوا ما يغير خواطر عمالكم، وماهم إلا الحكم بين المتخاصمين.

وأيضا علمائنا يفنون شبابهم في تعلم العلم في الجوامع لا اختلاط لهم مع الناس، ولا علم لهم بالقوانين السياسية وتدبير الملك ومعاملة السلاطين فان قالوا أو سكتوا عن خوف نفي أو حبس، فلا تعمل عليه.

فالآن إمّا أن تعتمد كلامنا، ونحن جماعة من أعيان أهل الجزائر ونتقوي بما يذكره الفرنسيون الذين كانوا في الجزائر والفوا وتكلموا وما زالوا يتكلمون، واما أن تعين كوميسبون ترسله الى الجزائر ممن لا رغبة له في أخذ أموال الناس وتمنعه محبة الدولة الفرنسوية عن ارتضاء الظلم ونسبته اليها ويشمئز عما فعلته السفهاء فنرى صحة ذلك.

ومطلوبنا الشرع والحق وأنت أولى من عمل به. ثم نعتقد الأدب والمروة في خطابكم مهما أمكنت فان تعديت الطور عن مرارة الظلم فاعذرني وسامحني.

وكتبه حمدان بن المرحوم عثمانخوجة في 15 حرم 1245[1] ووقعه ابراهيم بن مصطفى باشا.

---

(1) 3 جوان 1833.

13 ـ مذكرة سلمها سيدي حمدان بن عثمان خوجة الى اللجنة الأفريقية (أواخر سنة 1833)[1]

ان لجنة التحقيق الخاصة بالجزائر قد أخذت معها مذكرة خالية من جميع التحيزات وأعلنت عن استعدادها لجمع كل الوثائق الضرورية التي تمكنها عن إبداء حكم صائب في مستوى الأمة الفرنسية؛ مطابق لضميرها وفي حدود مبادىء الشرف والعدالة وان السبيل الوحيد لأداء مهمتها بأمانة هو أن تضع مبادىء حقيقية ومتداولة تؤدي الى معرفة الأحداث المجهولة واستخلاص النتائج وفقا لما يتطلبه المنطق.

وهكذا إذن، فانها لا تستطيع الحصول على الأصول التي تستقي منها معلوماتها إلا في الأماكن الموجودة تحت سلطاتها والتي يمكن أن تزورها وتفحصها بحيث يمكن لها أن تنقل الخبر تماما كما ينقله شاهد العيان، أو الرجوع الى تقارير وفية فيما يتعلق بالبدو والقبائل التي يصعب الاتصال بها نظرا لبعدها عن السيطرة الفرنسية وللوضع العدائي الذي ما زال مستمرا في أوساط هؤلاء السكان منذ ثلاث سنوات ونصف. فهولاء البدو والقبائل أنفسهم هم القاعدة الأساسية لكل ثروة في الايالة الجزائرية، وعليهم يتوقف السلم والهدوء في هذا البلد...

---

(1) المصدر: أنظر النص الفرنسي للمذكرة في G. yver, «Si Hamdan Ben Athman Khodja» in Revue africaine. 1913 p. 122 et suivantes

وقد اعتمدنا الترجمة التي وضعها د. ع. الزبيري في: مذكرات أحمد باي حمدان خوجة وبوضربة الجزائر 1973. ففي هذه المذكرة الثانية حاول حمدان خوجة ــ عندما تبين له ان اللجنة سوف تتبنى، بعد عودتها من الجزائر، موفقا، يوصي الحكومة بعدم التخلي عن الجزائر والاحتفاظ بها ــ التصدي للمصادر التي استقت منها اللجنة معلوماتها التي اعتمدت عليها لاستخلاص النتائج التي توصلت اليها، يكون هذه المصادر ليست متجردة من جهة وبأنها لا تعكس الواقع من جهة أخرى.

ان الفرنسيين لم يقوموا أبدا بما يصد هؤلاء الأهالي عن أفكارهم الغالطة والتعصبية، بل على العكس، إنهم لم يتركوا شيئا لابقائهم في جهلهم.

واني لن أذكر هنا تلك الأحداث الغير المشرفة ولكي يتحقق المرء من صدق كلامي ما عليه إلا أن يرجع كتاب السيد بشبون[1]، خاصة ما أورده حول قضية العوفية حيث ان الجيش الفرنسي لم يحاش حتى النساء والشيوخ والأطفال. ولقد حدث أكثر من مرة أن ذبح الرضع على صدور أمهاتهم، وأحرقت المساكن وسلبت المواشي، وامتلأت أسواقنا بالأمتعة المنهوبة. ولقد شوهدت في هذه الأسواق، أساور ما تزال على أزندتها الدامية، وقرط مخضبة بدماء الأذن التي انتزعت منها، ومن سوء الحظ أن هذه الأعمال اللانسانية كانت تتجدد في كل مرة يلتقي فيها الجيش الفرنسي بالبدو و (باستثناء عنابة) ويقال أيضا أن بعض النساء تم بيعهن كما تباع الحيوانات.

ان طرق العنف هذه لا تؤدي سوى الى شل أفكار هؤلاء الأهالي ودفعهم الى الحرب وجعلهم يتشبتون بأرائهم التعصبية. ولقد صار من المتداول بينهم ان الفرنسيين ليس لهم هدف غير ابادة العرب وتجريدهم من أملاكهم الأرثية...

ولكي يرجع هذا الشعب الى الصواب ينبغي أن تغير استعدادته فتمحي من ذهنه تلك الأفكار السوداء التي كونها عن الطبع الفرنسي والتي لم يكن يعرفها من قبل وهي اليوم من سوء الحظ تزداد نقشا في أعماق قلوب الأهالي، ونجد أن هذا النفور يتزايد للأسباب رئيسية أربعة هي:

---

(1) كان مديرا للادارة المدنية في بداية عهد الاحتلال حتى عام 1832 وألف كتابا قيما حول وضع الجزائر في هذه الفترة تحت عنوان:

«ALGER, Son état présent et son avenir» Paris, 1833.

1 ــ الشعور بالاستعباد من طرف أمة أجنبية استعملت لذلك القوة والتحايل.

2 ــ اختلاف الديانة لأن سكان الايالة يتصورون أن الفرنسيين لا يحاربونهم الا بدافع التعصب الديني وهي فكرة تولد لديهم أعمال العنف التي يقومون بها ضد المساجين مخترقين بذلك قوانين الحرب التي تحمي الأسرى مهما كانت الأمة التي ينتمون اليها.

3 ــ خشية المآل الى الفاقة نتيجة اغتصاب أملاكهم.

4 ــ وأخيرا، الأحداث التي وقعت في مدن مختلفة والتي أمرت السلطات الفرنسية بدخولها.

كل هذه الأسباب ساهمت في اقناعهم أكثر فأكثر بأن الفرنسيين لا يتصرفون الا بدافع الانتقام والحقد الديني.

ولكي نبرهن أيضا، على أن البدو والقبائل هم القاعدة المؤسسة لثروات هذه الايالة. ينبغي التذكير بأن الجزائر قبل الغزو، كانت معروفة لدى الجميع بأنها مخزن أوروبا، وان أصل هذه الحرب البغيضة يرجع الى تزويد فرنسا بالحبوب. أما الان فعلى العكس ان العيش في الجزائر لا يقل غلاء عما هو في فرنسا والسبب في ذلك أن وسائل الاتصال بسكان الداخل مقطوعة... ان هذا الشعب لا يمكن ان تكون له فكرة طيبة عن الفرنسيين عندما يرى ان وجودهم أشعل حربا مؤذية أكثر منها نافعة وان فلاحته قد اهملت تقريبا وتجارته مع الشعوب الاخرى قد انقطعت وان راحته قد تشوشت. ان ثلاث سنوات ونصف من الاحتلال قد جعلت السكان بصيرين بما يعملون. واغتاظ السكان لهذه الأهانة الى درجة انهم صاروا ينفون كل شعور بالقرابة في أفراد أسرهم الذين يزودون الجيش الفرنسي بالليمون ولا يهمهم في ذلك الحجة التي قد يتذرعون بها.

أما انا فلو انصت الى نداء ضميري، فانني لا أرى تدابير تخدم مصلحة فرنسا غير تلك التي يكون الهدف منها، اما مطاردة هؤلاء السكان الى الصحاري حتى يبقى الميدان خاليا، وذلك إذا كانت هذه التدابير تتماشى مع حقوق الانسان ومع المبادىء التحررية التي تختص بها الأمة الفرنسية، واما انتخاب أمير محمدي، معروف وقادر تأتمنه فرنسا على مصير هذا الشعب فيحكمه وفقا للمبادىء التحررية التي تتلائم مع قوانين واخلاق هذا الشعب، وفي هذه الحالة فان فرنسا تبرم معه اتفاقا يضمن مصالح الفرنسيين في إفريقيا.

وفي نظري فان تبني هذه التدابير الأخيرة فقط، هو الذي يجعلنا نأمل أن يستتب الأمن الذي لم تحصل فرنسا بدونه على الفوائد التي يمكن أن تقدمها لها الايالة كما ذكرت ذلك بعبارات أخرى في نهاية الجزء الأول من من مؤلفي حول مدينة الجزائر.

وإذا لم يوافق على هذه التدابير، فأنني لا أرى امكانية لمعالجة الوضع الراهن لأننا لسنا في قرن الفروسية والتعصب الديني، بل إننا من حسن الحظ، في قرن التنوير والحضارة والعدالة. ولذلك أقول بدون تحفظ ان فرنسا ستحقق بواسطة هذه التدابير الأخيرة الاحتلال الصحيح لافريقيا لأن أحسن الاحتلالات هو احتلال قلوب البشر وهو لا يمكن الحصول عليه إلا باللطف والعدالة لا باستعمال العنف وقوة السلاح...

14 ـ تأملات حول مستعمرة الجزائر والوسائل الضرورية لازدهارها لأحمد بوضربة[1]

«أبدأ بالاعتذار للقاريء على أسلوبي الذي لن يكون منمقا نتيجة اطلاع البسيط على اللغة الفرنسية. وبما أنه من الصعب على أن أغامر في الكتابة حول مسألة سبقني الى معالجتها أشخاص عديدون من ذوي المقدرة الواسعة، فأنني سأكتفي بذكر الوقائع، إذ ليس من السهل على أن أكابر عبقرياتهم الممتازة ومع ذلك فانني قررت الاندفاع في كتابة ما أطنه ضروريا لتحسين مصير بلادي وذلك لكي يستريح ضميري.

أنني لا آخذ القلم، مثل الكثرين، لأقوم بهجومات شخصية أو لاقدم تبريرات الأخطاء والتعديات على الرغم من أنني أملك من الوثائق مالا يملكه غيري، وأقول مرة أخرى أنني لم أخذ قلمي الا خدمة للصالح العام. وسأحاول أن أجد بين مصالح الحكومة الفرنسية والمعمرين ومصالح الأهالي بما في ذلك سكان المدن والأرياف. وإنني سوف أحدد الأسس الرئيسية آملا انها ستفيد فرنسا، وطني الجديد، كما أنها سترجع بالفائدة على بني جلدتي. وسأحقق سعادة العمر لو أنيي استطيع المساهمة في هذا العمل الجليل. ولا أزعم أن جميع الأفكار التي سأعرضها طيبة وتتفق مع ذوق الجميع ولا حتى مع ذوق عدد من بني قومي ولكنني أعتقد أن الأشخاص العاقلين الذين يريدون الخير والعدالة سيوافقون على شيء من

---

(1) المصدر: حول شخصية أحمد بوضربة والنص الفرنسي لهذه «التأملات» أنظر: «mémoire de Bouderbah» in Revue africanie 1913. pp. 278-244 أنظر الترجمة العربية للمذكرة في نصـها الكامل عند د.الزبيري ن.م.ص،ص 171ــ201، التي اقتبسنا منها هذه المقتطفات.

مساهمتي المتواضعة. وقبل كل شيء أذكر أنني أرى مسألة الجزائر من عدة نواحي هي:

1 ــ الاستيلاء بالقوة والعنف وإقامة نظام السيف والاضطهاد الرامي الى طرد الأهالي وتقتيلهم ونهب أملاكهم الخ...

2 ــ التخلي.

3 ــ المحافظة على بعض الموانى كمراكز عسكرية فقط.

4 ــ المحافظة على الجزائر عنابة ووهران مع إقامة حكومة مركزية بالنسبة لباقي البلاد تتكون من الأهالي وتقدم لفرنسا جميع الشروط والضمانات. كما انها تدفع ضريبة للحكومة الفرنسية.

5 ــ الحكم بالعدل والاعتدال والصبر وانا اعتقد بكل صدق ان هذه النقطة الأخيرة أكثر قائدة بالنسبة لمصلحة فرنسا وأكثر اتفاق معها. ولذلك سأعرض فيما يلي كل ما أراه مفيدا لتنفيذ الخطة. أما النقاط الأربع الأولى فأنني لن أقول شيئا عما يمكن أن يساعد على تنفيذها. لأنها مخالفة تماما لمشارعي. وإذا رأت الحكومة الفرنسية غير ذلك فأنني على استعداد للاعطائها جميع الوسائل التي أظنها ضرورية لتنفيذ ما يلائمها، للأنني في الوقت الحالي، مهتم كل للاهتمام بالنقطة الخامسة التي هي أعدل في نظري وأكثر معقولية.»

قدم بوضربة مشروعا مفصلا لحكم المستعمرة في سبعة أبواب[1] واختتمه بقوله «إنني عرضت هنا أفكارا أعتقد انها عادلة ومعقولة وليس في

(1) أوصى في التحليل الأول بتأسيس مجلس استعماري يتكون من الوالي العام رئيسا وستة أعضاء وكاتب له صوت استشاري وعضو من المسلمين له نفس وضعية الكاتب من حيث الصفة والتي تتكون مهمته تنوير الحكومة فيما يخص جميع التقاليد والعادات المتصلة بالمسلمين. ويشرف المجلس على جميع شئون المستعمرة. يقف بوضربة موقفا مضادا لموقف حمدان خوجة، إذ هو يطالب فرنسا بالتمسك بالجزائر وإدارة شؤنها مباشرة وعندما كان في الجزائر كان من أبرز العناصر المناهضة للمقاومة وكانت له اتصالات مستمرة مع بعض أعوان فرنسا البارزين

استطاعتي أن أتي بتفاصيلَ أكثر لأن هناك عددا كثيرا من الأمور الأخرى الضرورية التي لا يمكن ذكرها الآن للأسباب متعددة وسوف أتعرض لها في وقت التنفيذ. وإذا كانت الحكومة تريد اتباع هذا النظام وتتبنى مبادئه فإنها بكل تأكيد ستتوصل في السنة الأولى الى تخفيض المصاريف السنوية وكذلك عدد الضحايا، كما أنها ستضاعف سائر أنواع المدخولات. وفي السنة الأولى فان الجيوش التي تحتاجون اليها تكون كالاتي 8000 جندي للجزائر 4000 لوهران 4000 لعنابة وفي السنة الثانية يمكن بكل تأكيد خصم الربع من هذه الأعداد وربع آخر في السنة الثالثة وذلك بدون أية مغالاة.

وإذا أردتم دفع الحضارة الى الداخل فلديكم وسيلة واحدة هي: الصبر والوفاء والالتزام بالعهود والعدل والانصاف والاعتدال و بالتالي: جميع الصفات التي يتحلى بها الانسان النزيه. وإذا أردتم أن تفعلوا غير ذلك، شأن الكثير من الغزاة الذين يريدون تسليط السيف علي الأهالي وإنزال الرعب فيهم، فأنني أوكد لكم بأنكم لن تتمكنو من الاستيلاء على البلاد ولن يكون النجاح حليفكم. ولقد رأينا ما تولد عن تلك التصرفات من نتائج سيئة، ومرة أخرى أقول بأنه يجب العدل إزاء الطيبين والقسوة على الخبيثين ومعاقبة المجرمين مع المحافظة على الأبرياء.

في هذه الفترة الأولى من الاحتلال مثل الحاج محي الدين بن علي بن مبارك الذي عينه برتوزين آغه العرب وهو من أسرة مرابطة ذات مكانة كبيرة في مدينة القليعة وفي كل منطقة متيجة. وجاء في احدى رسائل الحاج محيي الدين الى أحمد بوضربة مؤرخة في سنة 1831، بأنه يعمل جاهدا ليل نهار لمواجهة التحريضات والمراسلات والبعثات التي كان يرسلها ابن زعموم لدعوة الناس الى الثورة «و لم يقبل منهم أحد أن يجتمع معهم، كلهم جاوبوا ابن زعموم بكلام قاطع، وقالو له: لم نأخذ كلامك أنت رجل خداع، ونحن بايعنا وأخضعنا الى سيدنا بن سي على بن مبارك...» أنظر رسائل الحاج محي الدين الى بوضربة في: A.G.G. AL./ 1E 15

15 ـ رسالة حسن، باي وهران الى قنصل فرنسا بوهران سابقا السيد الاسكندردفال[1]

الحمد لله وحده من له بيده الحكم:

ان هذا الكتاب من عبد ربه السيّد حسن باي أيده الله الى المحب دوان (دوفال) فونصوا (قنصل) وهران في السابق أما بعد.

فإن كتابك قد ورد علينا فقرأناه واستوعبنا لفظه ومعناه من إنك بقيت على العمل السابق والمحبة وانك اعتذرت علينا عند الجنرال وابقيتمونا في محلنا هذا من الولاية، نعم انك جعلت لنا مزية لاكن أهل بلادنا أنت أعرف بحالهم وانهم مخلطون من الغُربي والأعراب، وقد فرّ الكثير منهم لوطنه لما ورد الخبر وما بقي لا شك في ذهابه في هذه الأيام...[2] فأين الرعية التي نحكم فيها؟ وقد قبلنا التولية فأين المولي عليه؟ وان قررت ان تجعل لنا مزية أخرى فأجعل لنا تأويلا من هناك، في أن يبقى العسكر الذي عندنا والمخزن فيها وذهبت[3] ويرجع كل من فر ويستقيم لنا الحكم إن شاء الله.

وبلادنا في هذه الساعة محصورة فلا نستطيع انا ولا غيري الورود عليكم في هذه الساعة ولا أقدر ان أبعث شيئا، ان الطرق مسدودة.

---

(1) المصدر: A.E.P/M.D. ALGERIE, 8

(2) تنقص كلمة واحدة لم نتبينها.

(3) يحتمل أن يكون المقصود بكلمة ذهبت هو «ذهبتم».

وكتبت في أوائل صفر الخير عام 1246 بأمر المكرم السيد حسن باي وفقه الله(1).

---

(1) أواخر شهر جويلية 1830. كان دخول القوات المغربية الى مدينة تلمسان بدعوة من بعض سكانها وقيام السلطان عبد الرحمان بتعيين خليفة عليها من قبله، قد أثار قلق الباي حسن الذي راسل حول هذا الموضوع كل من سلطان المغرب وخليفته كما قام باخطار السلطات الفرنسية بهذه التحركات. وقد جاء في الرسالة التي بعثها الى السلطان المغربي مايلي: «... لأن وهران كان في السابق في حكم السلطان محمود وسلمنا وهران الى السلطان الفرنساوي لأن تركنا الكلام بين السلطن محمود وبين السلطان الفرنساوي ولا تدخل لك في هذا الأمر ولا ملك لك في هذا الوطن» ثم يصف الباي كيف استقبل مولاي عبد الرحمان هذه الرسالة «وأرسلنا المكتوب الى الحاج عبد الكريم وكيل الجزائر في التيطوان ليبلغه الى السلطان فبلغه على العادة فقرأه السلطان فقطّعه وغضب على الحاج عبد الكريم وأخذ منه ألف مثقال خطية لتبليغه. هذا المكتوب اليه هذا كله تمرد منه وطمعان في ملك الجزائر لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم من الزمان يخون الجيران على جيرانه...» أنظر نفس المصدر. كما قام الباي بمكاتبه خليفة السلطان المغربي الذي ردَّ عليه بعنف. ومن جهة أخرى بعث السلطان عبد الرحمان برسالة الى مصطفى بن اسماعيل قايد الدوائر بتلمسان وقد سلمها هذا الأخير لباي حسن جاء فيها: «... بعد الحمد له والتصلية والسلام الى مصطفى بن اسماعيل والحاج بن الحضري والمزاري وكافة الدوائر نعلمكم أن أهل تلمسان والراحلين اليها من وهران حين را واميل حسن باي الى الكفر، ورضي بالدنية في دينه وهم لم يرضوا بذلك فقدموا اليّ ورغبوا في الدخول في طاعتي وطلبوا مني المعاونة على عدوهم فرانسيس فقبلت منهم الطاعة ورضيت من فعلهم ووعدت لهم الاعانة على عدوهم وأرسلت معهم خليفتي مولاي علي ليحكم بين الناس في تلمسان وجميع رعية وهران.

وإذا فهمتم بهذا وأنتم من العرب، بل من كبارهم وأنا من العرب فأطيعوا خليفتي مولاي علي وأنصروه على جميع الأعداء ولا تتبعوا حسن باي فتالوا مني منزلة عظيمة وأجرا كثيرا.»

في رسالة له الى كلوزيل علق الباي على هذه الرسالة بقوله: «أنظر أيها الجنرال، أن مولاي عبد الرحمان سماني بسبب تسليم الملك مائلا إلى الكفر، وراضيا بالدنية في دين؟ والحال ان تسليم الملك للأصلاح العباد وتسليك الناس من الهلاك وهو المطلوب من أهل الكمال والرأي. ولكن هذا السلطان لم يسمني بهذا الوصف الا ليروج أمره ظنا منه أن هذا الملك يتم له ولا يسلك (كذا) من يده أحد من الولاة وهذا من تمرده وتحاسده (كذا) للسلطنة. كتبت عن إذن حسن باي كان، في وهران» بدون تاريخ ولكن حسب سير الأحداث فتاريخها قد يعود الى أواخر شهر سبتمبر 1830.

وقد قام خليفة سلطان المغرب بمراسلة أعيان المنطقة الغربية ومنها رسالة مؤرخة في 23 ربيع الثاني 1246 موجهة الى «كافة جماعة مستغانم: حضر وقرغلان وترك وعلماء أصلحكم الله الخ...» مرفقه برسالة من أحد أعيان مزغران الى أحد أعيان مستغانم وهذا نصها.

الحمد لله:

الطالب الأجل عبد الله بن الأكحل سلام الله عليك مع الرحمة والبركة كما هو على عونه الينا السيد الحاج محمد بن الأكحل وبعد ألف تحية. فالمراد منكم والمؤكد به عليكم هو أن تقدموا عندنا صبيحة يوم الأثنين مع بعض كبراء أولاد أبي كامل وكبراء الشرفاء لأن كتاب خليفة السلطان السيد محمد بن العامري المكتوب اليهم هو عندنا مع خدامه المبعوثين مع الفاضل السيد محمد بن يخ، الجميع عندنا بمزغران لابد من قدومكم لتتفقوا على ما يصلح بالجميع. وان القادم أراد الدخول لمستغانم معكم ليتكلم معهم ويدفع لهم كتاب الخليفة المذكور والسلام.

«كتب محمد بن الطاهر بن بدر»

16 ـ رسالة حمدان خوجة
إلى صديقه محمود باستامبول
23 محرم 1250[1]

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حضرة الجناب المحترم سيدي محمود دام محمود السيرة طاهر السريرة بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته نعلم جنابكم أنه وصلني مكتوبكم المؤرخ في 5 ذي الحجة وفهمت كلما ذكرت لي ونعم ما فعلت حيث أرسلت العر ضحال جزاك الله بحسن الجزاء ويرى الحاضر ما لا يرى الغائب وكنت أرسلت لجنابكم ثلاث مكاتب ولم تعلمني إلا بوصول واحدة ونعلمك يا أخي وأن في باريس تكلموا في ديوانهم في القامرة في 29 و 30 أبريل وفي 1 و 2 و 3 مايو بحساب الجديد أن الجزاير لا تنفعهم لاختلاف الأديان والعادة واللسان مع ظلمهم وتعديهم ومصروفها كل سنة أربعون مليون والنتيجة موخومة وذكروا جل ما في كتابي الذي الفته أناو كل ذلك مذكور في قازيات باريس المسمى مونتور فأنظره والرائي، والوزرا هذا مرادهم لكن الأمر بحكم سنجق ثلاث ألوان في يد العوام وتصرف الرأي انما هو تنفيذ لاغراض العوام والعوام لا يعلمون الجزائر وما هيتها الا من الذين مشوا اليها من أبناء جنسهم وهم ذاقوا لذة النهب والظلم واستولوا على أملاك المسلمين باجارة سموها كراء مؤبدا فباعوها في باريس بألوف وليت شعري كيف يباع المستاجر وكلهم سفلة اراذل ولا يمكن أن يكونوا

(1) المصدر: عن مجلة التاريخ (الجزائر) عدد أفريل 1977، ص،ص 37ــ41.

إلا كذلك إذ لا يترك بلاده ورفاهيته ويستوطن في بلاد خربة كالجزائر في يومنا هذا، إلا الأراذل وأقل الناس وقد رأيتهم وهم شيعوا بين أبناء جنسهم في فرنسا بأن وطن الجزائر ينبت القهوة والفلفل والكجنيلة وانها أغنى من أرض الهند الى آخر الخرافات فلما سمعوا كلام الديوان تكالبوا وكتبوا في الجرنالات اما أرى لا يمكنه ردها للاسلام إلا جبرا ولا شك انه يتحيل على ذلك بتكثير الظلم والقتل والنهب حتى لا ينقاد له أحد من الرعية ويرغب الدولة العلية وسائر الاجناس الافرنجية ان يمهلوه ريثما يلتمس وجها لتغيير رأي العوام وهيهات ولا ينبؤك مثل خبير بل مثلهم كمن عجز عن قلع شجرة لاستحكام عروقها فاخرها الى عام آخر فانها تزداد استحكاما ويزداد هو ضعفا وكبرا ولو بقي النصارى العيسويون وحدهم ولم يعنهم النصارى المحمديون لا مكن ذلك.يا أخي هنا اللعين بو ضربة واضرابه الذين بالجزائر يمدونه وجل ما يتحيلون عليه أن يبقي الفرنسيس في الجزائر وهم أعوانه ويضمنون له .طاعة الرعية ثم أنه لما خاف بو ضربة خروجهم قرر لهم بأن أهل الجزائر في غاية الحزن لتوهم خروج الجزائر من يد الفرنسيس وعودها للترك الظالمين الذين أحرقونا وأكلوا لحومنا وأموالنا فان كان ولابد من الخروج فأرسلوا للجزائر إبن الرائي ويكون أهل الجزائر هم دائرته وعماله أو سلموها للعرب ويكون الوالي من جملة خدام الدولة الفرنسوية وتحت حكمها وهذا الشيء على هذه الصورة سمعته ولم أره — وهو بسبب كون زوجته فرنسوية ويعرف اللسان يمشي كل يوم لدار الوزير وسمعت بأنه التزم لهم بكذا مليون سنوي يعطيها للفرنسويين ولكن يشهد لصحة هذه أنه خاف ان اهدم له ما بناه إذ ربما يشاوروني أو يلتمسوا كفالتي أو غير ذلك فاتاني وقال لي الجزائر يريدون أن يخرجوا منها والرعية لا تقبل وكونها تبقى بيد المسلمين أحسن ولنا تاويل إذا اتفقنا على كلمة واحدة وهي أن يسموا علينا مسلما يكون تحت حمايتهم ونلتزم لهم بما يريدون سنوي ونكون سببا لاستخلاص الجزائر من أيدي النصارى فقلت له الرعية والحاج أحمد وغيره لا يقبلون الذي يتولى تحت النصارى فأجابني بان العرب وغيرهم لا يعلمون

ما بيننا وبين الفرنسيس ولا يتبعون إلا الجزائر وإذا يطلع فيها سنجق الاسلام يطيع الحاج أحمد أو يقتله قومه لأن العبرة عندهم للجزائر فقلت له نعم كذلك لكن الرعية تسمع من تونس شرقا ومن فاس غربا و طاعة العرب للجزائر لأنه كان فيها نائب خليفة الزمان السلطان محمود هذا رأي أظن انه لا ينتج. ثم من أين المال لترتيب العساكر ثم اعطاء الفرنسيس فقال نقول للرعايا أننا اشترينا الجزائر وعندي خطوط يد شيوخ الوطن يقولوا اشتروا الجزائر بالمال ونحن نعطوكم ما تحتاجون وإذا لم يكفنا نتعذر للفرنسيس بكثرة المصارف فلا يطالبونا مدة سنين فقلت له البلاد للعثمانلي فكيف نلتزم باخراجها من حكمه ونلزم باعطاء الخراج للكفار بغير إذنه فقال العثمانلي لا يقدر ان يعارض الفرنسيس ولا يعرض نفسه لعداوة الفرنسيس لأنه قوي فقلت له انا لا أدخل في مثل هذا الشيء والدولة العثمانية تصطاد الأرنب بالكريطة ومن أين تعرف وان الفرنسيس لا يضعف ولا يضمحل ملكه ولو كان لا يضمحل فأنا لا أقيم في الجزائر إلا إذا كانت بيد الدولة العلية ولا اتفق مع أحد ولا أساعد على اعطاء الجزية للكفار وهذا تخليط بو ضربة ليس وحده بل له بطانة في الجزاير اراذل سفلة مثله كتبوا له بمضمون هذا ووضعوا فيه خطوط أيديهم مقدار ماية من أولاد العرب الذين في بلادنا والذي ترجمها لهم بالفرنسوي هو الذي حكي لي صورتها وكلامه الذي قاله لي يشهد بصحة ذلك والفرنسيس في غاية الطمع فأنظر بماذا وعد الوسايط والكتاب من المال وكلهم سفلة مفاليس الواعد والموعود وأنا يا أخي وحدي ليس لي إلا القلم أكتب واعرضه على الدولة في ذمتكم. ومن جملة ما فعل هذا المرتد انه تحمل على أن يظهر واحدا من العرب ويحببه للفرنسيس لعل أن يسلموا له البلاد وهو عبد القادر بن محيي الدين كان في مدة الاسلام في وهران وفي نواحيها يدعي الولاية هو وأبوه ولما دخل الفرنسيس بقي مع سائر المسلمين يحاصر وهران بنية الجهاد فكتب اليه بو ضربة أن الفرنسيس يخرج من الجزاير وان تصالحه وتعقد معه شروطا فانه

عند خروجه يسلمها لك ولا يدخلها الترك وأغواه يمثل هذه الأماني فتكاتب عبد القادر مع الفرنسيس وصالحه وأخذ عنده نصارى جملة سموهم قنصل واتباعه ورفع الحصار عن وهران والنصارى الذين عنده مرادهم ان يتالفوا مع العرب ويتعلموا طريق تلمسان وغيرها ولما تسامع أهل تلمسان وآغة الدائرة مصطفى بن اسماعيل لم يرضوا بهذا الصلح وقالوا جهاد هذا الخارجي مقدم على جهاد الكفار فقصدوه وكسروه وفر بشر ذمة قليلة معه الى معسكر وهو محصور فيها وبو ضربة في باريز ينوه بقدر عبد القادر ويسميه في الكازيات أمير المؤمنين عبد القادر وسمعتها أنا من فمه ولما وصل خبر انكساره وانه محصور في معسكر شرع يقول كلما أصاب أمير المؤمنين بسبب صلحه معكم وإذا لم تهادنوه فعار عليكم وشيع بين الناس هذا الكلام يحرض الفرنسيس على اخراج العساكر وقتال المسلمين وهذه يا أخي آفة وفتنه ونار لا أقدر أنا على أطفائها والنصارى المحمدين أضر علينا من النصارى العيسويين ولا حول ولا قوة الا بالله وزيادة خير مما يتعجب منه أن تعلم في ديننا ان الكفار إذا استولوا على بلاد المسلمين يفترض فرض عين على من يليهم أن يعينوا المسلمين، والتونسية عوض ما يعينونا كانوا اشتروا قسنطينة ووهران من الفرنسيس بغير أمر مولانا السلطان والتزموا أن يعطوا للفرنسيس مالا سنويا فعاقبهم مولانا السلطان نصره الله وفسخوا ذلك البيع وفي هذه السنة الماضية استولى الفرسينس على بلدة بجاية ووقعت له حروب مع أهلها واستولى عليها بدون موجب ولا سبب والى تاريخنا لم يزل المسلمون يحاربون الكفار بها ويحاصرونهم وفي أول مايو وقعت حرب احدى عشر يوما لم ينقطع البارود والمركب الفرنسوي خرج والحرب مسترسل وكانوا أرسلوا فرقطون الى تونس وأمروا باي تونس أن لا يمكن المسلمين من اشتراء السلاح والبارود من تونس ويمنعوا كل من يمشي الى قسنطينة ونواحيها من أن يكون معه آلة الحرب فاجابهم بالسمع والطاعة فانظر يا أخي أن كان بو ضربة مفلس ومرتد فهذا أمير مسلم تحت حكم السلطان يرى بلدان السلطان بجواره يستولي عليها الكفار فيمنعهم

مما يجب عليه أن يمدهم به ويحرم بيعه لهم فهذا حال المسلمين مثل الشياه بلا راع والفرنسيس يدعي انه أخذ الجزائر لاجل ثاره مع حسين باشا وأي وجه له لأخذ وهران ربما يقول حسن باي أعطاها له فما وجه أخذ بونه ربما يقول ابراهيم باي سلم له القصبة فما وجه خروجه الى البليدة والمدية وقتال المسلمين والاستيلاء على بلادهم ما وجه أخذه مستغانم وقتل المسلمين مع انهم لم يبدؤه بالحرب ما وجه أخذ بجاية وقتال أهلها والاستيلاء عليها مع ان مراكب بجاية كانوا ياتون للجزائر ولم يبدؤوه بالحرب وهذه البلاد بأجملها للسلطان محمود نصره الله والبشدور فرنسيس في اسلامبول وسنجق فرنسيس داخل وخارج الى اسلامبول ان كانوا أعداء للسلطان فليرفعوا بشدودهم وان كانوا صلحا فما وجه استيلائهم على ممالكه وأهالي مملكتنا المرتدون منهم أفراد قليلة لا يبلغون الماية وباقي المسلمين كما تعلم قد نفي اغنياؤهم أكثرهم يتكفف الناس يطلبون الصدقة واهمتهم أنفسهم ولا يعرفون باي طريق يرفعون شكواهم الى سلطان الزمان مولانا السلطان محمود وهو في ديار بعيدة عنهم لا يسمع بشرح حالهم ولا يعلم ما هو واقع بهم والأعراب والبوادي ولله الحمد ايمانهم فيما يقدرون من الجهاد وعدم تمكين الكفار من الخروج اليهم إلا أنهم لا يعرفون كيف يرفعون شكواهم الى السلطان لأنهم برابر وانا يا أخي وحدي وأولادي وعيالي تحت أيدي الكفار وانا في بلادهم لم أقصر فيما أقدر عليه بلساني وقلمي ولو أن الكفار يعلمون شطر ما فعلت من تحريرات وتأليف كتب ومراسلات مع الأجناس وغير ذلك مما لا أقدر على تحريره كل ذلك لأجل انقاذ البلاد لأكلوا لحمي وأوقعوا بي والحمد لله سترني الله وبعد كل مقال انا كتبت وبينت وأنتم يحرم عليكم السكوت الله الله في دماء المسلمين الله الله في ممالك الاسلام الله الله في دين الاسلام عرفوا سلطاننا اعرضوا عليه حالنا استعطفوا لنا شفقته ورحمته السلطانية انا قد جاهدت بقلمي والرعايا بسيوفهم فجاهدوا بألسنتكم أنت يا أخي تعرف بأنني في سن الستين ونيف ومستور بستر الله لا طمع لي في مال ولا في منصب ولا أهلية لي وعزمت على الهجرة

بعيالي وأولادي الى بيت الله وكانوا الفرنسيس أخذوا مني مصادرة مالا كبيرا كما هو مقيد في تاليفي وانا ترافعت معهم ليردوا لي ما أخذوا مني سواء أعطوا أو منعوا أرجع للجزاير وأتوجه لبيت الله أن شاء الله فلهذا كان يسعني ما وسع غيري واسكت لكن يا أخي الغيرة الاسلامية حملتني على أن كتبت وخاطرت بنفسي وأعلمتهم فالغوث الغوث لحال أمه سيدنا محمد أعلموا سلطاننا بحال الاسلام والمسلمين وان أمتنعتم فهذا خط يدي أرسلوه ولو لم يكن فيه رسوم لائقة بالدولة الا أن حال الاستغاثة يغتفر فيه ما لا يغتفر في غيره الغياث الفرنسيس لا يخرج من الجزائر إلا بقوة سلطاننا ومواعيده لا أصل لها وتعديه كل يوم يزداد وليس فينا من يبلغ سلطاننا هذا الحال الله الله لا تقصروا وبادروا وداركوا أمه سيدنا محمد والسلام من أخيكم حمدان بن المرحوم عثمان خوجة الغريب وفقه الله.

عام 1250 في 23 محرم / 3 جوان 1834)

17 ـ عريضة سكان مدينة الجزائر من أجل الدفاع عن حقوق القضاء الاسلامي(1)

الحمد لله وبه نستعين:

من أهل الجزائر كافة، الواضعين خطوطهم آخر الكتاب الى حضرة كامل الرياسة والاسعاف، وحميل السياسة والانصاف المعظم موسى (موسيو) المنيشطر دلَفِرطر/ نجير(2) أدام الله الاسعاد والمسرة. أما بعد السلام التام اللائق بالمقام فالذي نعرضه عليك ونعلمك به أنه وقع أمر بين الجنرال حاكم الجزائر في التاريخ وبين قاضي المالكية في شأن امرأة طلقها القاضي من زوجها لضرر لحقه منها، ولها أولاد فحكم القاضي بأن تتربص في بيتها ثلاثة أشهر لتظهر براأتها من الحمل أو يظهر حملها كما هو معروف في شرعنا ومعلوم في ديننا.

وفي أثناء المدة ارتدت وتركت دينها وتنصرت وبذرت مالها وتركت أولادها وذهبت الى الجنرال، فبعثها الى المير فأخذها وغيبها في دار اليهود نحو أربعة أيام. فلما سمع القاضي طلبها لتكمل عدتها مع أولادها، قالوا له لا سبيل لك عليها أنها تركت دينها، قال القاضي مازال حكمي عليها حتى تكتمل عدتها لحق زوجها. فأذنوا له في أخذها، فبعث لها عدلين وعونين تجلبها لمحكمته فبقدر ما وصلت اليه هجم عليه القبطان بليسي(3) ومعه ترجمانات وأخذوها بالقهرر والجبر فلما رأى القاضي ذلك منهم قال: هتكتم

(1) المصدر: A.E.P./M.D. ALGERIE 9

(2) السيد وزير الشؤون الخارجية.

(3) بلسيي دي رينو مؤلف الحوليات الجزائرية.

حرمي وأظهرتم إهانتي على رؤوس الملاء من الناس، من يهود ومسلم وحضري وبدوي. ثم قال القاضي: صبرنا على كل ضرر حتى على بيع عظام أمواتنا، ولكن لا نصبر على هتك حرمة الشرع.

وقد أمننا السلطان على لسان نوابه بالأمان التام على شريعتنا وحريمنا وأولادنا وأموالنا للمصلحة العامة والألفة التامة، وإذا صار الأمر هكذا فما بقي لي جلوس في المحكمة ولا راضي بخطة القضاء وغلق باب المحكمة وذهب الى الجنرال وسأله هل أنت أمرت بهذا بعدما أذنت لي؟ قال أنا أمرت به، فذهب الى داره. ثم بعد الغدأ راد الجنرال تولية قاضي آخر، فبعث لجماعة المسلمين وجمعهم في دار المير فظن المسلمون أن الاجتماع للمشورة ليختاروا من يصلح لهم للقضاء فأظهر لهم رجل كان قاضيا في بيت المال فلما رآه المسلمون قالوا هذا نعرفه لا يصلح بنا ولا نرضوه فمن سبق بهذا الكلام رفعوه وحبسوه والقبطان المذكور يزجرهم بالضرب والشتم في دار المير. وهذا ظلم عظيم. والآن المطلوب من فضلكم الحنانة علينا والشفقة الينا لنظركم السديد ورايكم الصايب الرشيد وهذا هو الواقع أخبرناكم به من غير زيادة ولا نقص، وأنتم أعرف بحكم التدبير وأولى بمصلحة الكبير والصغير الغني والفقير.

والله الموفق للصواب.

تاريخ 13 سبتمبر سنة 1834[1]

---

(1) وقع هذه الرسالة تسعة وعشرون شخصا وهم: الحاج مصطفى بن حسن، علي بن أحمد، محمد بن عبد القادر، أحمد بن عمر، العربي بن الحاج محمد الشريف، الحاج محمد بن علي، الحاج علي بن الحاج عبد الرحمن، أحمد بن العطار، محمد بن الشريف، قدور بن العربي، أحمد بن موسى، ابراهيم بن الحاج عبد القادر، الحاج عمار، محمد بن العباس، أحمد بن محمد، محمد بن عبد الله، الحاج علي الحرار، قدور بن محمد، أحمد بن محمد، علي وليد الكبير، والي بن اسماعيل، علي بن ابراهيم، عبد الرحمن، بن أحمد، عبد الرحمن ابن أحمد (هكذا مرتين)، قدور بن الحاج العربي، أحمد بن عاشور، محمد بن عمر.

18 ـ عريضة أعيان بايلك قسنطينة الى البرلمان الانجليزي[1]

الحمد لله:

ان الواضعين أسمائهم، أسفل هذه الرسالة هم من أعيان من قسنطينة وأرباب الأسر الكبيرة والفقهاء والأساتذة والعلماء ورؤساء سكان البادية وأعيانهم، وكل من له نصيب من المسؤولية وأفراد الشعب يقولون لكم بالاجماع بأنهم أُخطِرُوا بكون البرلمان البريطاني من مهامه السهر على احترام حقوق الانسان ومصلحة الانسانية وتدعيم الرابطة الأخوية بين البشر.

ولهذا السبب، فاننا سنروي لأعضاء البرلمان البريطاني ما حدث لنا ونحن نقول لهم بكوننا نعلم أن بلادكم قد أرسلت مبلغ مائة مليون دورو إسباني[2] إلى الهند من أجل تحرير العبيد بها احتراما وخدمة لحقوق الانسان واننا ندعو لكم بالنجاح ونعلمكم بأنه من المفروض ان أية سلطة يجب أن لا يكون هدفها هو إراقة الدماء، فالوجب يحتم عليكم، قبل كل شيء، ان تبادروا بالدفاع عن هؤلاء الناس قبل الاهتمام بتحرير العبيد.

اننا نعلم برلمانكم الموقر، بكون الفرنسيين لم يدخلوا مدينة الجزائر إلا بعد أن وقعوا على معاهدة تتضمن بنودا محددة، ولقد قام قنصلكم بالوساطة في هذا الشأن لكن الفرنسيين لم يحترموا هاته المعاهدة في جميع

(1) المصدر: A.Temimi «le Beylik de Constantine et Ahmed Bey 1830-1837» 227-230.

(2) قيمة دورو الاسباني في هذه الفترة خمس فرنكات.

بنودها، بل على العكس فقد كان مسلكهم مناقض لمبادئها، بنفيهم لأشخاص من أهل البلاد بدون سبب وفصلهم للزوج عن زوجته وأبنائه واستيلائهم على أملاكهم. لقد عمدوا الى تبديل الدين والاستيلاء على أملاك الحبس، التي أوقفها المسلمون على الفقراء. ثم وضعوا أيديهم على المساجد واتخذوا من بعضها مساكن والبعض الآخر أجروها للتجار. كما قاموا بهدم المنازل على غير وجه حق وقتلوا أناسا بدون سبب معقول وسجنوا آخرين كما قام الفرنسيون بانتهاك حرمة المقابر وأفقروا كل سكان مدينة الجزائر. اما بالنسبة للريفيين المقيمين في ضواحيها فقد أوقعوا فيهم مذبحة[1] بالرغم من كونهم كانوا في حالة سلم مع الفرنسيين لقد قتلوا بناتهم ونسائهم بدون رحمة ولا شفقة فهذا عمل شنيع لم يسبق أن سجل تاريخ الطغاة نظيرا له.

كما استولى الفرنسيون كذلك، عن طريق الخيانة والغدر على قصبة عنابة واستقروا بها وكأنهم ملوك. أما بالنسبة لنا فنحن نريد أن نوضح بكوننا خاضعين لسلطة السلطان العثماني وبأننا لن نخضع أبدا للذي حاربنا وغدر بنا. فهو عدو ماكر امتدت سوء نيته نحونا حتى الى أمواتنا. لقد بدل ديننا وافتك مساجدنا واستولى على صدقات فقرائنا. اننا لن نثق أبدا في عهوده ولن نستطيع العيش معه في سلام والتعاقد معه مطلقا. اننا نرفض حتى رؤيته. فالواجب يحتم علينا محاربته الى آخر رجل منا فلن يقع أي شيء بيننا غير العداوة وما ينجم عنها، فلا راحة لنا مادام هناك جار غادر فحالتنا تشبه حالة ذلك الذي أدخل شعبانا في بطنه فهو لن يشعر أبدا لا بالراحة ولا بالأمان.

اننا خاضعون لسلطة سيدنا الحاج أحمد باشا وكنا بفضل سياسته سنكون في سلام لولا تدخل هذا الجار الغادر.

---

(1) إشارة الى عملية الابادة التي دبرها روفيقو ضد قبيلة العوفية المستقرة عند ضفاف وادي الحراش.

أما بالنسبة للأخواننا في الجزء الغربي من البلاد فهم بدون قائد فالقوي منهم يأكل الضعيف والطرق غير مأمونة وحالتهم مضطربة والفتنة عامة، وسلطة حكومة الجزائر لا تصل اليها و لم نرد ان نترك رئيسنا يسيرهم ويهتم بهم، مخافة ان يستغل الفرنسيون الموجودين في عنابة ذلك، ويقومون بمهاجمتنا خاصة وانهم لم ينفكوا عن مهاجمة سكان الشرق.

اننا ندرك ان العدو سيقوم باحتلال بجاية، ذلك أن هدفه هو القضاء على الحكم الاسلامي وإراقة الدّماء وتبديل الدين والانتقام من الأحياء ومن الأموات أيضا. وبالمقابل فاننا نعرف جيدا إخلاص ونية الانجليز الذين يعلنون صداقتهم لكل من يريدها فهم يحترمون المعاهدات وينفذونها كما يحترمون قوانين المجتمع وحقوق الانسانية هذه الاعتبارات هي التي دفعتنا الى أن نرفع اليكم شكوانا لأجل ان تخلصونا من هذا الغادر وتطردون الفرنسين من عندنا لأنه ليس لديهم أي حق في أرضنا التي كل شبر منها هو موروث منذ الآف السنين اننا أحرار فكيف يسمحون لأنفسهم بان يبيعونا لحاكم تونس فهل يملكون شيئا ليستطيعوا بيعه[1].

وحسب ديننا فإننا نعطي العشر لأميرنا ولماذا باعنا الفرنسيون بعشرة أضعاف هذا العشر إذن؟! وإذا كانت هذه الأرض خصبة حتى يدّعون بكونها أغنى من الهند، إذا كانت كذلك فهي لكم، حتى ولو تنبت ذهبا، وسيكون الله معنا.

ماذا تعني هذه التطلعات إذن نحو بلادنا، إذا كانوا يزعمون بكونهم جاءوا لغرض تحديثه وإقامة العدل والقضاء على الهمجية فيه؟ واننا نرد على ذلك، ونحن على يقين بأن الهمجية والظلم الذي يقترفونه أشد قسوة وشناعة

---

(1) إشارة الى الاتفاق الذي وقعه كلوزيل مع باي تونس حول مقاطعتي قسنطينة ووهران.

من كل المظالم والهمجية التي عرفت حتى الآن فليس هناك مثال للجور يمكن مقارنته بالطغيان الفرنسي، فهو يتجاوز خيال كل الطغاة منذ أن خلق آدم الى يومنا هذا.

وعلى الرغم من أن الفرنسيين لهم ملك مثل الملوك الآخرين، وبأن موقفه مغاير لموقفهم، ومع ذلك فإننا مضطرون الى أن نرفع شكوانا اليكم لنرجو منكم العمل منَ أجل وقف إسالة الدماء والانهيار، في بلادنا. اننا نترجى مساعدتكم والى الله المشتكي لقد أوكل الله اليكم مهمة المحافظة على النظام وارشاد الانسان واننا نطلب منكم العمل ما ترونه مناسبا.

فالتسمحوا لنا، فالتقاليد العربية مغايرة لتقاليدكم ونحن لا نعرف العادات المتبعة في تقديم الشكاوي واننا نرجوا من الله ومنكم وضع حد لآلامنا وهو ما جعلنا لا نفكر إلا خيرا بالنسبة للجنس الانجليزي.

حرّر في شهر شعبان 1249(1)

(1) ديسمبر 1833.

19 ـ رسالة الحاج أحمد باي إلى الصدر الأعظم[1] 20 ربيع الأول 1251

سعادة أبدية وعناية ربانية وكرامة صمدانية وعافية سر مدية وخيرات وافية ونعم شاملة متوالية نخص بها حضرة الوزير الأعظم الأرفع الصدر الهمام الأنفع صاحب المكان الأكمل الأسمى والجناب الأمنع الأحمى ابقاه الله سعيدا زمانه رفيعا شأنه واضحا في المكرمات برهانه أما بعد اهداء تحيات لايقة تامات وتسليمات مباركات شاملات ودعوات ناجحات صالحات لمقامكم المحوط بالعناية الموىد بالرعاية فانه تقرر في تشريف علمكم ما قد حل بساحة قطرنا من المحن وتراكم الأهوال واشتعال نار الفتنة عند دخول الفرنسيس للجزاير دار الاسلام وتشتت حال المسلمين وهربوا بدينهم لا يدرون اين يذهبون وصاروا في حيرة وشدة لكون متولى أمرهم اخطأ في تدبيره ولم يعلم أحدا من عماله وجنوده واشترط على العدو نجاة نفسه وأهله وماله وترك المسلمين في حيرة عظيمة فكبسهم العدو على غرة إذ لم يكن لهم استعداد ولا عدة فاستولى عليهم الأعراب واستحلوا منهم ما دون أنفسهم وكنا ممن حضر وقت جباية المال بغير عدة قوية من الرجال فقمنا باعانة الله وجمعنا شتاتهم وحاربنا عدوهم وما سلكنا بهم الطريق الا بعد شدايد وأهوال حتى بلغوا محل الأمن من البلاد وقهرنا أهل الشر والفساد وبذلنا في سبيل الله

(1) المصدر: عن مجلة التاريخ (الجزائر) عدد 4 أفريل 1977، ص ص 49 ــ 50.

وطاعتكم أنفنسا ومالنا المخلف عن اسلافنا وكسرنا شوكة أهل الفتن الموقدين نارها الخايضين تيارها وجلبنا الرعية بالبذل الكثير والرفق والاحسان واسقطنا عنهم جميع المظالم السالفة والبدع الشاقة الباطلة واكتفينا منهم بالقانون الشرعي فطابت نفوسهم وقرت عيونهم وسكن روعهم فنبهناهم لملازمة السمع والطاعة للدولة العلية الموية الخاقانية ثم أمرناهم بالاستعداد والوقوف في حراسة الوطن والحذر من مكر أهل الكفر وما زلنا على تلك الحال باذلين النفس والمال إذ الدخل الشرعي أقل من خرج ما يلزم صرفه في الجيوش والجند الكثير الوافر إذ نحن واقفون به بعون الله وعزه ونصره في عين الكافر منقادين لطاعة الدولة الخاقانية وخدمة المملكة العثمانية نأمر بها البوادي وأهل الحاضر معلنين بذكر إسمه الشريف في الخطب والدعاء الصالح على المنابر مستيقضين لأحوال الرعية والحكم بينهم بالسوية وتسديد شأن أهل الملة الاسلامية والوقوف عند حدود الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية غير أننا في ضيق وهم وكرب وغم من تعذر الطرقات البرية والمسالك البحرية التي حالت بيننا وبين التوصل والوصول بأخبارنا وانما أعرض حالنا الى الحضرة السعيدة ولو كان بيدنا أقرب المراسي الينا مثل عنابة لكان حبلنا متصلا بمقامكم وودنا متأكد عندكم وخدمتنا مستحسنة بين يديكم ونحن الآن لا يتهيأ لنا إرسال مكتوب الا بالحيلة والتلطف والوسيلة فأنظروا أعزكم الله في شأن من هو عاكف على الطاعة ملازم للخدمة فان الأمور مرجعها اليكم وشرح حالنا لا يخفى عليكم والسلام ختام.

حرر عن إذن العيد الفقير لربه سبحانه
الحاج أحمد باي وفقه الله
في 20 ربيع الأول سنة (1251) (16 جويلية 1835)

20 ـ رسالة أعيان قسنطينة الى السلطان العثماني يطلبون منح لقب الباشا للحاج أحمد باي[1] في 21 ربيع الأول 1251

حمدا لمن منّ على الأنام بجلائل النعم وفواضل الاكرام الذي رفع منار ملة الاسلام وأيد قوام الدين تأييدا مؤبدا دون انفصام وصلاة وسلاما تامين أكملين على نبينا محمد عين اليقين الذي قام به أود الدين وتم به إرسال المرسلين وعلى آله الطاهرين وصحابته الأكرمين مبتهلين بصادق النية وصافي الطوية لمن له الملك والملكوت والسنا والعز والجبروت فاتح أبواب الفرج منجي جموع المسلمين من البؤس والحرج بالادعية الصالحة الناطق بها كل عضو وجارحه لمستحقها بشمول النفع العام المألوف ودفع المضار والخطب المخوف ملك ملوك الزمان وأمير العصر والأوان ملجأ ذي الأراب وملاذ المستغيث بلا أرتياب ظل الله في أرضه وخليفته على خلقه ملك البرين وخاقان البحرين مولانا السلطان بن السلطان السلطان الغازي محمود خان لا زال مؤيدا عظيم الشان منصورا عزيز الجناب يعزه وجلاله أي القرآن أما بعد حمدا لله تعلى على كل حال وسؤاله تدارك الألطاف الخفية فيساير الأحوال ومناوله بره وجوده واحسانه في الآن والمئال فان المقام العلي والجناب الأعظم السنى لا يعزب عنه ما كان دهر الجزاير من استيلاء طوايف الكفار بقضاء وقدر الواحد العزيز القهار يفعل ما يشا لا يسئل عما يفعل ولقد تشوشت لذلك الخواطر وبلغت

(1) المصدر: عن مجلة التاريخ (الجزائر) عدد 4 أفريل 1977، ص،ص 55ـــ57.

القلوب الخناجر ووقع التشتيت والاهمال وساءت الاخلاق والأحوال وتتابعت الخطوب وتباعد الحبيب عن المحبوب وتفاقم البؤس واشمازت النفوس وكان نهض لاثبات جمع المفترق ورم المنثلم من العمالة القسنطينية أمنها الله تعلى سليل الولاية الشرقية عبدكم الحاج أحمد باي بن المرحوم برحمة الله تعلى أحمد باي نهوض جد واجتهاد وسلك في سعيه مسالك السداد فجمع المفترض وأطعم الجايع وأجار المستجير وأغاث المستغيث وكسى العريان ولم يتخلله تفريط ولا اهمال في هذا الشيء واستمر حاله الى أن أبلغ كلا مأمنه كل ذلك بالسياسة والتفكير وحسن التلطف والتدبير ولما عاينا ما تيسر له من صميم العزيمة وتمام الحزم وثبات الجاش والتوفيق وما انفقه في المصالح العامة من خالص مالـه الذي ورثه من أسلافه على التحقيق من غير منفعة عايدة عليه ولا استفادة قبالة ذلك حصلت لديه وظهر لنا من مهابته وانقياد رعيته وسعيه في تأمين الطرف وسياسة بايعناه على السمع والطاعة دفعا لمكافرة البرابر وتفاولا بتوليته على الجزاير حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا ملتمسين من مقام مولانا أمير المؤمنين ملاذ العباد في أعلاء اعلام الدين راجين من شيمه الحسنة واخلاقه الكريمة المستحسنة ولبه السديد وتدبيره الصّايب الرشيد تنجيز ما اقترحناه وإقباله علينا من الباب الذي طرقناه ويولي علينا عبده الحاج أحمد بن المرحوم أحمد باي فاز في توليته مع جلالة همة الدولة السنية انجح وأحمد ثم يلتف مقامه الأسعد الى ما عليه الحال من ضيق الأسباب وقلة المنال إذ الحاج أحمد يتعذر عليه يسير الأسباب وتمتنع لديه المطالب والأراب لأنه ليس له مرسى يرتفق بها ويتوسع من جهتها وأقرب المراسي اليه بونة فالمرغوب من جنابكم العلي تحصيلها له بانظاركم السعيدة فانه يتعذر عليه جل مهماته من أجل ذلك إذ هذا المكتوب لا يتمكن من ابلاغه الى حضرتكم السنية الا باستعمال الحيلة في المدة الطويلة ولو كانت المرسي كانت أموره منبرمه من قبلكم قبل هذا ونؤمل من المقام العالي ان يعتمد اجتماع كلمتنا فانه حجة في بابه ويد الله مع الجماعة ونحن أعـزك الله ملازمـون على الدعـا بـدوام دولتكـم مجدون

في استعمال طاعتكم لا زلت لما تصدع صابرا ولأعدائك قاهرا وللمسلمين معزا ناصرا في مقام أسعد وعيش أرغد حرر ما ذكر عن أعيان العمالة القسنطينية وهم القضاة والمفتيان والعلماء والفقهاء والولاة وشيخ البلد ومشايخ الرعية وخواص المفريقين وعامتهم منهم العلامة الا حسب الأنسب أبو عبد الله الشيخ محمد الفقون والعلامة الاعدل أبو الوفا الشيخ مصطفى القاضي الحنفي بن الشيخ عبد الرحمن والعلامة الحجة أبو العباس الشيخ أحمد قاضي المالكية ابن الشيخ سعيد والعالم الأجل الشيخ مصطفى المفتي الحنفي والفقيه الخطيب أبو راشد الشيخ عمار مفتي مالكي والعلامة الأمثل أبو عبد الله الشيخ محمد العربي ناظر أوقاف المساجد وأمناء الحرف وهم عمار بن القشي والحاج صالح بن سي ثابت ومحمد بن فازع والعربي بن بلقاسم بن الحاج العربي وعلي بن ثابت وحسين بن شراد ومصطفى بن علي وحسين وجعفر وعمار الشريف والصالح ومحمد بن العابد وعبد الرحيم ومحمد ابن زهد وعبد الرحمن والحاج حافظ وعبد الواحد وأحمد بن صالح وعبد الكريم ومولود وسليمان ومصطفى بن خاشع ومحمد بن حاجي وعبد القادر النساخ ومصطفى بن موسى واسماعيل وعبد الحفيظ والحاج سليمان وأبو عبد الله المحتسب وعوام أهل البلاد وكبراء الوطن الشيخ بوعزيز والشيخ بضياف والقائد محمد ابن العربي والشيخ القريشي والشيخ المكي والشيخ أحمد بن الحاج والشيخ عبد الله بن بوعزيز والشيخ بن الحاج والشيخ الرزقي بن منصور والشيخ أحمد ابن الزبن والشيخ محمد بن عبد الله والشيخ أحمد بن محمد والشيخ عبد السلام والشيخ الحفصي والشيخ أحمد بن محمود والشيخ المسعود بن المبارك والشيخ علي بن سليمان والشيخ محمد الشريف والشيخ ناصر والشيخ علي بن العجابي والشيخ سهل بن سحنون والشيخ محمد بن المسعود والشيخ بورنان والشيخ أحمد بوعكاز والشيخ عاشور سعيد بن نصر والشيخ أحمد بن الحاج والشيخ عبد الله بن شعبان محمد بن مراد والشيخ الأخضر بن مراد والشيخ الطيب بن بوزيان والشيخ بو عبدالله بن منصر والشيخ رجب بن بوزيد والشيخ رشيد

الشيخ الصادق والشيخ سالم والقائد مختار والشيخ علي بن أحمد والشيخ محمد ابن البعلي والشيخ سلامة والشيخ بركات وكافة أهل الوطن وهؤلاء كلهم يتبركون بتقبيل العتبة العلية متبركين بها وانهم يدعون بأصول بقائها وتخليد ملكها ينهون اليها تسليمات طيبات مباركاتي.

في 21 أشرف الربيعين سنة 1251
(17 جويلية 1835)

21 ـ رسالة الحاج أحمد باي إلى الصدر الأعظم بعد سقوط قسنطينة(1)

في 15 رجب 1253

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ﷺ

الى حضرة المعظم، الأسعد الهمام، الوزير الأرشد الصادق الأبر الأمجد صاحب الايالة البرية والبحرية القائم بالوظائف السلطانية مولانا أبي العباس السيد أحمد قبطان باشا أعطاه من الخير ما شاء بمنه آمين السلام عليكم ورحمة الله تعلى وبركاته ولا زايد بعد حمد الله تعلى الا الخير والعافية اما بعد نعم المولى الأعز أصغوا لما حل بنا واهمال ديننا فكيف تتركونا للأعادي وأنتم موجودون ويشتت نظامنا وانتم المخاطبون كلا والله أنكم تُسألون تسلمونا للكافر ومقته وكل راع مسئول عن رعيته وذلك انه لا يخفاكم شناننا ومعاداتنا للافرنج منذ أخذ الجزاير ونحن معه في غاية الحرج ويخاطبنا على الدخول تحت طاعته وأن أكون من أيالته ورعيته وانا لا أزيد إلا فرارا حرصا على الدين القويم وامتثالا للملك العليم فكيف أتبعه في مراده الضنين وأكون خآين المؤمنين بعد قوله تعالى «ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا» ولا يتبعه في مرامه إلا عليلا وكثرة غضبه قدوم السيد كامل باي علينا وتناسق الواردين منكم الينا فاتانا بجيوشه عام أثنين وخمسين قاصدا

---

(1) المصدر: عن مجلة التاريخ (الجزائر) عدد 4 أفريل 1977، ص،ص 77ـــ 79.

افتتاح بلدنا وأتعب نفسه[1] وماونا فرده ٱلله خآيبا وسهمه ليس صآيبا وذهب بالويل والبوس وقطعت منه الآف الرؤوس جزاء غيضه لذلك ورما نفسه وما تمالك فقصدنا في العام القابل أي بعد العام المذكور

---

(1) أثناء الحملة الأولى ضد قسنطينة قام قائد قوات الاحتلال، كلوزيل بتحرير المنشور التالي وإرساله الى سكان مدينة قسنطينة «أهل بلاد قسنطينة». «نعلمكم خيرا أن شاء ٱلله، وهو أنني مأجي لغدركم كم لأجل نأخذ بلادكم ونضع على أصوارها سنجقنا المنصور. هذه أوامر سعادة الملك الأعظم سلطان الفرنسيس سيدي ومولاي، فلابد من نفوذ أوامره هذه، فأنتم يا أهل بلاد قسنطينة قيموا والبثوا ديار كم ساكنين مطمأنين. دافعوا وحاموا على ديار كم، ولكن ليس ضدي انا. أنا الآن ليست إرادتي لخرابها بل حاموا ديار كم من الذي خرب بلاد عنابة، وهو حين يلتزم البعد عنكم والهروب من بلادكم فيبغي خراب ديار كم. أعملوا أيضا، أن المحلة الفرنساوية هي تحت أمري ونهي وتكرم وتحترم دينكم وأملاككم ولا تلزمكم لغرامة ولا لغيرها. والعسكر ينزلون في الديار البعيدة عن ديار كم وملاككم. وليكن محقق عندكم انه لا يضر ولا يقع عندكم شيء من الردىء إذا كان لم يصدر منكم اعتراض أوتضاد على دخولنا الى بلادكم.

أحمد باي هو ذاته لو كان خضع وطاع من غير شروط لكان مطمأن وخالي من كل هم، ولكن الان لم بق له ولا تصرف كليا، وأوامره ونهيه بطل وتلاشي وحكم ضاع وطاح ولا قائمة له بالمرة. وانتم رجعتم وصرتم رعية فرانسة ومحسوبين علينا وأعملوا ان وجود أحد أبناء لسطان الفرنسيس بهذه الحملة هو دليل واضح على حسن مقاصد سعادة السلطان المذكور ولنحو جميع أهل بلاد شمال افريقيا».

بتاريخ شهر أكتوبر سنة 1836 وللهجرة 24 رجب الفرد الذي هو من عام 1252 (1836).

رقم بدار الامارة. كتب بأمر الأرفع الأعظم حاكم بلاد الجزائر وسائر عمالتها وهو السيد كلوزيل المرشال اعطاه ٱلله من الخيرات ما ناء ويسأل النصر المتعال». كما أرسل أمر الى سكان المدينة باطاعة الباي الجديد وهذا نصه: « الحمد ٱلله وحده ولا شريك له في ملكه سبحانه أمر عمومي سعاد المعظم الأرفع المريشال كلوزيل حاكم حكام الجزائر وسائر عمالتها.

يعلمكم خيرا أن شاد ٱلله، وهو انكم أنتم يا جميع أهل بلاد قسنطينة وما يليها مأمورين ان تقدموا الطاعة والخضوع لحضرة السيد يوسف باي قسنطينة وهو وحده يتصرف فيكم ويبلغكم أوامري.

رقم بدار الامارة
بتاريخ 23 رجب الفرد
عام 1252

كتب عن إذن وأمر سعادة الواضع
طابعه الرفيع أعلاه
(خاتم كلوزيل بالعربية)

بجيوش كثيرة وتهيانا للقتال اعزازا لدين الكبير المتعال فحاصر البلد ثمانية أيام بلياليها والعبد الفقير مخبركم بجيوشنا الاسلامية حواليها والتفت الى سور البلد بالمدفع ولا الفنيا لأمر الله مدافع وأهل البلاد جزاهم الله عن دينهم خيرا قد قاتلوه أشد قتال فلما انهدم السور ولم يبق إلا القليل وأهل البلد بين مجروح وقتيل ونحن من خلفه بالاسلام اذقنا له سم السهام هجم على البلد لضعف أربابه ودخله وكان أمر الله قدرا مقدورا ولا يسعنا الا الرضا والصبر للقضا فحينئذ رجعنا للبوادي منتصرين بالحاضر والبادي فاجتمع عندنا خلق كثير لا يحصى عددهم إلا الله تعلى طالبين أعزاز دينهم لاكنه لا تخفاكم أحوال البادية لا تنضبط لأن الطول يحصل لهم الكسل ويوجب الوهن والملل فها نحن رجعنا أمر الاسلام اليكم تنصره وتعظموه ولا تهملوه فان كان لكم غرض بهذا الاقليم ونصر الدين المستقيم اعجلوا لنا بالتاويل ليصح منا العليل فكيف نهملوا وملكنا بين أظهرنا سلطاننا الأعظم أمير الاسلام الملاذ الأفخم مالك البرين والبحرين أمير المؤمنين ذو الأمن والامان سيدنا أبو الثنا محمود خان أعزه الله ونصره فحاشاه ان يهمل ايالته ويسلم للكفر رعيته فعجلوا لنا بالفرج فاننا في غاية الضيق والحرج ءاه ثم ءاه على تفرق أهل الايمان وتشتيت شملهم في ذا الزمان ولا ناصر لهم يحميهم من إذاية الكفر ويقيهم فاعزموا برد الجواب فان القلب في احتراق والله تبارك وتعلى يسئلكم عنا وأن كان لا غرض لكم في هاذا الوطن فعينوا لنا طريقا ماءمونا ناتيكم أموت بين أيديكم عزيزا ولا أقدر على المذلة لأن مكثنا بالبادية لغير فآيدة يضر بنا لا سيما وابن محيي الدين منهم وهو في إعانة الكافر الان وليكن في علمكم ان الرومي لما دخل بلدنا نادى بوسط المدينة إلا أن سليمان هو الباي عليكم رجل تركي كان هاربا منا عنده بعد أن قتل الكثير من أهل البلد وقد بقا بالمدينة كثير متاعنا وبعض الآل انا الله وانا اليه راجعون فالبدار البدار نعم السادة والظن فيكم كامل والسّلام من الفقير لربه الحاج أحمد باشا كان بقسنطينة جبر الله تعلى حالة

أواسط رجب الفرد عام 1253 (15 أكتوبر 1837)

22 ـ رسالة الحاج أحمد باي الى علي بن عسيى[1] في 29 جمادي الأولى 1255[2]

«ما كدت أن أنـهي كتابة رسالتي السابقة حتى وصلني مرسول من عند عبد القادر بن محي الدين حاملا الي ثلاث رسائل، واحدة موجهة الى واثنتان موجهتان الى أشخاص معي.

اعلم يا بني، لو ارتفع ابن محي الدين حتى الى السماء فانه لا يمكن أن نستخلص منه أية مصلحة لأن هذا الرجل، لا ينحدر من تلك الأسر التي يمكنها ان تلد الأمراء لقيادة الرجال[3].

فالرسائل التي حدثتكم عنها هي بين يد اي، وإذا ساورتكم شكوك في ذلك فأنني سأرسلها اليكم. اما بالنسبة لفرنسا فهي أمة قوية وحكيمة وأنني لا أفكر في أن أتساوي معها كما أنني لست مغرورا الى درجة نكران تفوقها. وإذا ما وقعت هناك حرب فلربما سوف أذهب اليهم (الفرنسيين)

---

(1) المصدر: A.G.V/1H. 63

(2) 5 أوغسطس 1839.

(3) يقصد أن الأمير عبد القادر ينتمي الى أسرة المرابطين فهذه الأسر في نظر المعاصرين لم تكن مؤهلة لادارة الشؤون العامة لقد ترجمنا كلمة Race التي تضمنتها الترجمة الفرنسية لرسالة الحاج أحمد المكتوبة بالعربية، بكلمة أسرة لأن ذلك أقرب، في نظرنا، الى المعني المقصود من طرف الحاج أحمد من كلمة جنس التي هي الترجمة الحرفية لها. عدد من الشواهد تبين ان المعاصرين كانوا ينظروف الى المرابطين هده النظرة التي عبر عنها الحاج أحمد في رسالته وهو نفس المدلول الذي عبرت عنه شكوى أعيان قسنطينة التي رفعوها الى السلطات الفرنسية ضد حمودة بن الشيخ الفقوف حاكم المدينة. أنظر هذه الرسالة في ص 100 هامش 2.

للأطارد معهم ابن محي الدين ولكنني لن أنضم الى ابن محي الدين ضد الفرنسيين وأنت تعرف هذا جيدا[1].

إضافة: أنني أعلمكم بأن ابن محي الدين قد بعث بما يزيد عن مائتي رسالة الى أشخاص في شرق وفي غرب المقاطعة فهناك أشخاص كثيرون من عندكم ليسوا بغرباء عن هذه المسألة ولن أسمى من بينهم سوى ابن العواجز؟

(1) هذا الموقف يعبر عن مدى تأصل العداوة بين القائدين المقاومين وهذه احدى الموضوعات الهامة في تاريخ المقاومة التي تستدعي الدراسة والتعمق في أسبابها. ولن نخدم الحقيقة التاريخية بكيل الاتهام الى الحاج أحمد اعتمادا على ظاهر هذه الرسالة، وعلى كل حال، فالحاج أحمد باي لم ينظم للفرنسيين عندما اندلعت الحرب من جديد مع الأمير عبد القادر، بل على العكس لقد استمر في التصدي لهم في جنوب المقاطعة الشرقية بالامكانيات القليلة التي تحت يده.

23 رسالة شيخ الأغواط الى الوالي العام[1]

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد

الفاضل المفضل المرشال، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما دام الفلك وحركاته، من الشيخ أحمد بن سالم شيخ جموع...[2] الأغواط كثير السلام.

اعلم أعلمك الله خيرا وأن كتابك وطلني وقريته وفهمت ما فيه جملة وتفصيلا وقولك للوفد يقدم الى الشيخ أحمد لحضرتنا، اعلم وأني متمرض حين قدم عليك وفدنا وان شفاني الله مما حل بنا من المرض نأتيك إن شاء الله وان لم ينقطع المرض يأتي إليك أحد أولادنا. ان أردت أن يكون الأمر كما تبع ويتم الأمر على ما تحب وترضى أجعل قصور الصحراء على أيدنا وكذلك اعرابها وأمر الحاج عبد القادر لا نحبّ ولا نحب من يحبُّ ونفتيه من الوطن الذي بنواحنا، ورد لنا جواب من عندك على ما كتبت لك.

وكتب بأمر المعظم الأرفع الشيخ أحمد بن سالم أمنه الله ورعاه... كتب بتاريخ عجوز شوال بعدما خلت منه ثلاثة وعشرين يوما من سنة 1249[3] المكرم بن الحاج عبد القادر كاتب الورقة والسلام.

---

(1) المصدر: A.G.V/1H. 63

(2) كلمة لم نتبين معناها.

(3) أوائل شهر مارس 1834.

24 ـ دخول الدواير والزمالة في طاعة الفرنسيس[1]

«لما بويع بمعكسر (الأمير عبد القادر) في اليوم 28 سبتمبر 1832 مسيحية أخذ في مكاتبة أعيانِ الأعراش يأمرهم بالقدوم اليه في معكسر منهم كبراء الدواير كمصطفى بن اسماعيل والحاج بلحضري والحاج المزري ومحمد ولد قادي اما مصطفى بن اسماعيل فانه امتنع من الذهاب اليه ولاكن أصحابه الثلاثة قالوا إن تخلفنا يلحقنا اللوم من إخواننا العرب الذين ساروا اليه فعند ذلك قال لهم مصطفى بن اسماعيل افعلوا ما بدا لكم فتوجه اليه الحاج بلحضري والمختار ولد عدة وبأيدهم خيل وسلاح وهدية. تولي الحاج بلحضري أغة على المخزن والغرابة والبرجية وأمره بالسكنى في معسكر. كما ولي المختار قايدا على الدواير وصارت الناس كل يوم تقبل على الأمير أفواجا من كل ناحية بقصد الطاعة الى أن تم أمره».

وقع قتال بين الدواير والزمالة وانقاد من جهة وبنو عامر من جهة ثانية «نهزم فيه أيضا بنو عامر واطردوا من بلادهم، فعند ذلك اصطبحوا مع كبراء الحشم ومدوهم بالرشاو قالوا لهم كونوا لنا عونا على الدواير وانقاد وقولوا للحاج عبد القادر ان لم يبادر بهم يتغولوا عليه ويقدموا الى معسكر ربما ينزعان الملك من يده فاتسع ذلك في عقل الحاج عبد القا در وبعث مكاتبة الى ولها صة وقرارة والغسل ومديونة وأولاد رباح قائلا

(1) المصدر: أحمد ولد قادي «كتاب الدواير والزمالة وحركاتهم» وهران 1883.

لهم: ليكن في علمكم أني أغزو في اليوم الفلاني على الدواير والزمالة وانقاد أنتم من هناك ونحن من هنا فتتلاقوا عليهم ولتمحوا أثرهم. وكان فيهم بعض الأصدقاء لمصطفى بن اسماعيل فاطلعه على مكتوب الحاج عبد القادر وأنذره ولما تحقق بذلك أمر الدواير والزمالة وأهل انقاد بالانتقال جادين في المسير الليل والنهار الى الغد فنزلها بالحناية أسفل تلمسان وهناك لحقهم الحاج عبد القادر صباحا فاشتعل الحرب بينهم وانتصروا عليه وهزموه هزيمة شنيعة... وفر هاربا الى معسكر. وفي سنة 1834 مسيحية طلب من الجنرال ديميشيل حاكم العمالة الوهرانية ان يمده بالبرود والمدفع والكور والرصاص وما يحتاج اليه والآت الحرب، وهو من جهته يمده بالبقر والغنم ونحو ذلك فرضى الجنرال بمطلوبه(1) وقال لرسول الحاج عبد القادر سلم على سيدك وقل له ينظّم العسكر ليقدر على مقاومة الدواير لأنهم صعيبة قايمين على البارود عارفين بمكايد الحرب...».

اصطلح الأمير مع الزمالة والدواير غير أن الصلح لم يدم طويلا لأن بعضا منهم كان قد أقام علاقات متواصلة مع الفرنسيين في مدينة وهران وعندما حاول الأمير وضع حد لذلك شقوا عليه عصا الطاعة.

«هذا وبعد وقوع ما ذكر آنفا خرج الجنرال طريزيل بمحلته حينا ونزل بالكرمة فقدم اليه هناك كبراء الدواير والزمالة بقصد الطاعة وقالوا له: أعلم أن هذه بلادنا كنا مخزن عند الترك واليوم جيناكم لنكونوا مخزن عند الدولة الفرنسوية نخدم معها خدمة صافية صادقة كما كنا معهم وأبلغ فنعضدها في القتال مع الحاج عبد القادر كتعضدها بدايرتها المقربة اليها ونعاونها فيما تحتاج اليه أمحا لها من اقامة الدواب لحمل الأثقال ومونة الجيش من بقرو نحوه ولها ان تعتمد علينا في خبرة الطرق واتخاذ الجواسيس

(2) إشارة إلى معاهدة دي ميشيل المبرمة في 26 من شهر فبراير 1834.

والأدلة فهذا كله نقوم به وتضمن فيه. ولا كن فالذي نحبه من الدولة أيضا هو أن تحترم ديننا وتوفره وتبقينا في عوايدنا على الاستمرار والدوام وان تحررنا من المجابي المخزنية وان التولية مطلقا لا تكون الاّ على أيدينا ومنا. فنحن جيناكم الى وهران بطيب أنفسنا وصفا خاطرن وهذا هو الشرط بيننا فلما سمع الجنرال مقالتهم وعدهم بانجاز العهد(1) وكان الأمر كذلك، كما بان الصّدق من جهتهم و لم يظهر عليهم الى الآن ما يغير قلوب الدولة عليهم.

(2) أنظر النص التالي:

25 ـ الاتفاقية الموقعة بين قبيلتي دواير والزمالة والحكومة الفرنسية[1]

«الشروط التي تم الاتفاق عليها يوم 16 جوان 1835 في معسكر الكرمة بين الجنرال تريزيل المفوض من قبل الوالي العام وبين رؤساء قبيلتي الدواير والزمالة».

الشرط الأول:

تعترف القبيلتان بسيادة ملك الفرنسيين وتحتميان تحت سلطته.

الشرط الثاني:

تتعهد ان بالخضوع لسلطة الرؤساء المسلمين المعينين من قبل الوالي العام.

الشرط الثالث:

يدفعان لمدينة وهران، في الأوقات المعهودة، الضريبة السّنوية التي كانت تدفع في الماضي لبابات المقاطعة السابقين.

الشرط الرابع:

يستقبل الفرنسيون استقبالا حسنا عند القبيلتين، كما يستقبل العرب بنفس الكيفية في الأماكن التي تحتلها القوات الفرنسية.

---

(1) المصدر: A.G.V/H. 235 نشر بليسمي هذا الاتفاق في: ANNALES.. T.1 pp. 458-459.

الشرط الخامس:

تكون تجارة الخيل والأنعام وكل المنتوجات، حرة بالنسبة لكل القبائل التي أعلنت خضوعها غير أن المعدة للتصدير لا تودع ولا تشحن إلا في المواني التي سيحددها الوالي العام.

الشرط السادس:

ان تجارة الأسلحة والذخيرة الحربية لن يسمح بها إلا عن طريق السلطات الفرنسية.

الشرط السابع:

تجهز القبيلتان، القوات المعتادة للمشاركة في بعض الحملات العسكرية في المقطاعات الأفريقية، في كل مرة يطلب منهما قايد مدينة وهران ذلك.

الشرط الثامن:

في أثناء هذه الحملات، فان الفرسان المسلحين بالنبادق والسيوف يتقاضون فرنكين كل يوم والمشاة المسلحين بالبنادق يتقاضون فرنكا واحدا. وكل واحد منهم يجب أن تكون معه خمسة خراطيش على الأقل، وستسلم لهم من مخازننا عشرة خراطيش إضافية لكل واحد منهم. أما خيول القبائل الخاضعة التي تقتل في المعركة فسيتم تعويضها من طرف الحكومة الفرنسية. وفي حالة ما إذا كانت هذه القوات تحصل على تموينها من مخازننا فان الفرسان والمشاة سوف لن يتقاضوا سوى خمسين سنتيما في اليوم.

الشرط التاسع:

ان القبيلتين لن تعتديا على القبائل المجاورة لها إلا إذا قامت هاته بمهاجمتها وفي هات الحالة، يجب أخطار قائد وهران في الحين ليتسنى له مساعدتهما وحمايتها.

الشرط العاشر:

عند مرور القوات الفرنسية بمضارب العرب، فكل ما تطلبه لاعالة الرجال والخيول ستدفع ثمنه المعتاد وبكل حسن نية.

الشرط الحادي عشر:

ان الخلافات التي تنشب بين العرب سيفصل فيها القياد أو القضاة، غير أن النزعات الخطيرة بين قبيلة وأخرى سيتم الفصل فيها من طرف قاضي وهران.

الشرط الثاني عشر:

يعين رئيس من كل قبيلة للاستقرار في وهران مع عائلته.

26 ـ رسالة مصطفى بن اسماعيل الى ملك فرنسا[1]

الحمد لله وحده، ولا يدوم الا ملكه.

الى حضرة المعظم الأرفع والهمام الأنفع السلطان بن السلطان ملك العصر والأوان، الملك المعظم سلطان الغرانصيص أيده الله ونصره أمين السلام عليك وعلى حضرتك المنصورة.

أما بعد فانه قدم عندنا الجنرال بيجو وقد قصد معنا الخير والاصلاح في البلاد والوطن ويهدىء الناس. وقد حسن معنا، وهتك الأعراب التي كانت دايرة بنا وهتك ولد محى الدين[2] ويعرف الحرب والطراد والاصلاح. ومثله من يعثوه السلطنة يحمر وجوههم. وقد عز علينا فراقهُ واعاننا وعمل معينا الخير وعمر البلاد وهو عاقل محسن، وأنت باسلطان، آلله ينصرك وينصر عساكرك الي بعثت لنا الجنرال بيجو وفعل معنا الخير وعمرنا وهدن البلاد.

وعليك وعلى كافة حضرتك السلام والتحية والاكرام من كاتبه عن أذنهم كافة أولادك الترك والقرغلان والبلدية القاطنين الآن بتلمسان.

في أواخر ربيع الأول عام 1252[3].

---

(1) المصدر: A.E.P./M.D.9

(2) يقصد الأمير عبد القادر.

(3) منتصف شهر جويلية 1836.

إضافة

الحمد لله.

جميع ما ذكره أهل بلاد تلمسان فهو حق وبمحضرنا يوافق عليه عبد ربه محمد بلقايد لطف الله به وكذا عن إذن ولدكم المعظم السيد مصطفى بن اسماعيل آغة أمنه الله أمين..

27 شكوى أهالي مقاطعة قسنطينة من حاكم المدينة[1]

الحمد لله تعالى وبه المستعان سبحانه.

هذا مكتوب جواب شكوى حمودة ولد محمد الشيخ الى سلطان فرانصة.

الى جانب مقام العز والاحترام والمبرة الشاملة والاكرام المعظم الأرفع الأمتع الوزير الأعظم الشهير الأفخم المتوكل بمهمات الحروب القايم بملمات الخطوب سعادة السيد المرشال سولت دام عزه وفخره وانتشر بالقول الجميل ذكره، أما بعد.

من يد كثير السؤال عنكم وعن العظيمة أحوالكم فموجبه كتبه الى حضرتكم العلية هو أن اليوطنان جنرال نيقرييه أخبرنا بالمكتوب الذي أرسله حمودة ولد الشيخ الى سلطان فرانصة شاكيا بالظلم والجور الذي عليه، فوجب علينا أعلامكم بالحق الواقع في نفس الأمر وهو أنه لما بلغ خبر شكوى حمودة اجتمع علماء بلد قسنطينة وأعيان أهل البلد والقواد وأهل الصنايع بجامع الشيخ محمد بن ميمون الكاين بحومة الدفافين وبينهم كاتب هذا المكتوب عبده تعالى مصطفى بن عبد الجليل قاضي الحنفية والعلامة الفقيه الأبجل النبيه السيد محمد المكي قاضي المالكية والعالم الوحيد السيد محد بن الشيخ فتح الله مفتي الحنفية والعالم الفقيه السيد محمد العنابي مفتي الملكية. وبعض فقهاء، عدول الشريعة، والمعظم الابجل الأشمل السيد علي

(1) المصدر: A.G.V/ 1H. 87

بن با أحمد خليفة الوطن والوجيه النبيه السيد عمر قايد الدار والفاضل الابجل السيد الحاج المكي الكومسيون[1] والذكي الأنبل السيد علي حجوج الكوميسون[1] والذكي المرضي السيد عبد الرحمن بن وطاف ناظر الاحباس والوجيه الأنبل السيد صالح قايد أولا عبد النور والذكي المبجل سي بوعزيز شيخ نجع العرب، والفارس المكرم سي حم بن مصطفى قايد الزاوية والفارس المكرم سي فرحات قايد انتلاغمة والمرعي سي العربي بن تونغاس قايد غمريان وأولاد كباب والمبجل المكرم سي أحمد بن المكي قايد الزمالة والمكرم سي العمري بن حليلو قايد البرانية والمكرم سي علي بن..؟ قايد الباي والمكرم سي مبارك قايد دريد والأجل المكرم سي مختار بن جوالد قايد عامر الشراقة والمكرم الأجل سي موسى قايد الشرفة والمكرم الأكمل قايد العلمة والفقيه الأجل السيد أحمد بن الشيخ عبد الرحمن باش ترزي والفقيه النبيه السيد الشريف بن السيد محمد بن شريط والفقيه الذكي السيد أحمد خوجة بن سي محمد شريف، والفاضل الأجل السيد محمد بن السيد عمار جلول والذكي سي الحاج حمٌّ بن الحاج سعيد والمحترم الأجل السيد مصطفى الخليفة كان المحترم المرعى السيد الحاج سليمان الخليفة كان والذكي السيد اسماعيل حفيد السيد صالح باي وكاتبه الأجل سي محمد بن معمر والذكي المرضى السيد محمد بن القشي أمين جماعة الدباغين سي الحاج محمد الكباي أمين جماعة؟ والأجل سي الحاج قدور أمين جماعة النجارين والمكرم الحاج بوجمعة أمين جماعة الحدادين والذكي الأنبل سي محمد بن حجوج أمين الفضة والمكرم سي الحاج علي الميلي أمين جماعة السراجين والمكرم سي ابراهيم أمين جماعة العطارين والمكرم حميدة أمين المناشربة والمكرم بن قطش كبير الصوابنية. ومع كل أمين جماعة كثير من أهل صنعته. والمكرم سي عمار بن المراتزي، والأجل السيد بومدين بن الحاج مصطفى والذكي السيد سي محمد أبن علي خوجة والأجل سي مصطفى بن منماني

---

(1) عضو اللجنة.

وبعد استقرار المجلس بأهله أعلم الجماعة المذكورين بقضية شكوى حمودة. ترد العريضة على دعوى حمودة بكونه ساعد في ادخال فرنسا الى المدينة والجماعة ترد بأن الفرنصيص أخذ البلد بقوة عسكر وآلة حرب واعطا أمانة لأهل البلد تدخل الناس في أمانه وطعاته. فلا جميل له ولا لأبيه على الفرنصيص... حين نعم على حمودة وولاه حكومة البلد لم يفعل خيرا فصار حمودة صاحب مال بعد ان كان فالسا. فهذا أكل أموال الناس بالباطل وغلق أبواب الشكوى أمام الناس ومنع عليهم التوجه الى المسؤولين وساعده في ذلك التراجم. وحمودة لم يترك أحد من أهل البلد والوطن يطلون اليهم (أي المسؤولين) ويشتكون ما جرى لهم من الظلم والجور وذلك لاتفاق حمودة مع التراجم مثل الروصو[1] ولليقرو ولويز الذي هو الآن قبطان بعنابة واسماعيل الربان[2] حتى ذكر بعض القواد ان الكثير صار لا يعطى لاحكر ولا عشر والكثير يأكله التراجم وجعل حمودة معهم اليد فلا يتركوا من يقابل الجنرال ليشتكي مالحقه من المظالم.. أما سعادة ليوطنان جنرال نيقربيه فان رايه سديد وأبوابه مفتوحة حتى يصل اليه المضلوم فينصفه... **وأما حمودة فقبحات أفعاله لا تحصى ولا تستقصى...».** كتب بإذن العلماء والعمال والقواد وسائر المتصرفين في الأحوال أواسط جمادي الأولى خامس شهور سنة 1258[3].

---

(1) المترجم روسو صاحب كتاب «les annales tunisiennes».

(2) اسماعيل أوربان.

(3) 25 جوان 1842 كتب المشتكون رسالة أخرى الى ملك فرنسا بتاريخ أواسط شوال سنة 1258 حول نفس الموضوع جاء فيها: «انه كان عاصيا لأبيه وان أباه كان أخرجه من الأحباس التي حبسها على أولاده وما رجع عن ذلك إلا حين قربت موته وان أباه كان يدعو عليه بالشر ولا يقبل قوله انه ولدناس مرابطين لأن أباه وأجداده كانوا لا دخل لهم في الحكومة ولا يصلحون بالناس وانهم مقتصرون على الجلوس بدارهم ويطعمون بعض الفقراء ما خشن من الطعام وحين تولى حَمُودة الحكومة فعل ما فعل و لم يرضى بالاقتصار على نفسه وطاعة حكام الدولة بل ليس لباس النساء وهرب حتى تنبه اليه بعض حراس أبواب المدينة ومسكوه

27 ـ رسالة محمد المازاري الى كلوزيل[1]

المعظم الأرفع والهمام الأنفع حصينا وأعز ما لدينا المرشال كلوزيل، السلام عليك وعلى كافة من أنظم اليك إلا أنه ورد علينا كتابك الأعز وخطابك الأوجز فاستفدنا منه صحتك وسلامتك فالحمد لله على ذلك.

ونخبرك على الحاج عبد القادر ما زال في عين ماضي وعسكر الحاج عبد القا در مدوّر بالبلاد بالعسة الا من جهة القبلة لم يكن عليها عسة. وأهل عين ماضي لم يضرهم شيئا ولم يخصهم الا الحطب والملح فقط. ونحو أربعمائة من عسكر الارباع عند التجيني يضربون معه واما الأعراش الذين كانوا مع الحاج عبد القادر كلهم افترقوا عليه ما بقي الا شيخ أولاد خليف وشيخ أولاد شعيب وزوج متاع الحرار وشيوخ أولاد الشريف باقين مع الحاج عبد القادر بخيولهم فقط ولم يكن معهم الجيش. وهذا الخبر صحيح والسلام.

في 10 من شهر الله المعظم رمضان عام 1254[2] بأمر محمد المازاري الخليفة أمنه الله أمين.

كما هو في علم الخاص والعام. وأعلم أيها الملك الا عظم أن الفرنصيص لما غلب طاعةُ حكام الجزائر ووهران وانتقلوا الى الاسكندرية فمكثوا وعاشوا هناك وحمودة ليس هو منهم وما مراده الا تشويش أهل البلد وخلا قسنطينة لا غير لكونه لا يريد الا الفساد، ومرادنا من فضل السلطان الأعظم ان يصرف عنا إذاية حمودة ويجعل لنا معه تأويلا حتى لا تلحقنا اذايته ومكره ويتأمن أهل قسنطينة من شره. فالله أيها السلطان الأعظم فانا محسوبين عليك ونحن رعيتك وكل راع مسؤول عن رعيته».

(1) المصدر: A.G.V./1H. 5

(2) 27 نوفمبر 1838. الوالي العام عند هذا التاريخ لم يكن كلزيل ولكنه المارشال فالي فبمحمد المازاري يبدو وانه لا يفرق بين الأثنين.

19 رسالة الأمير عبد القادر الى المارشال فالي[1]

15 أفريل 1840:

... من أمير المؤمنين الذي يحمي الدين ويجاهد في سبيل الله، والمتوكل على الله القدير، السيد الحاج عبد القادر أعانه الله وثبت ملكه .

لقد أخطرت بأنكم تنوون مهاجمتي بخمسين ألف رجل أو أكثر فهذا لا يخيفني فبعون الله، مهما تضخمت قواتكم فانها لن تستطيع ان تنالني إلا إذ أراد الله ذلك.

منذ أن نصبني الله في وجهكم فلم يحدث ان هاجمتكم بقوات توازي ثلث ولا حتى ربع قواتكم. انكم أنتم الفرنسيون تزعمون انكم اناس عدل وشجعان، فإذا كان ما تقولونه صحيحا فإنني سأقدم لكم عدة اقتراحات لتختاروا واحدة منها:

أولا: تعلمون انكم أخذتم الجزائر من بين أيدي الترك، كما تعرفون كذلك أن مملكتي لا يتجاوز عمرها ثماني سنوات في الوقت الذي عمر مملكتك يناهز الألفي سنة وتعلمون أن لديكم جيشا قويا ومعدات حربية كثيرة، أعطوني إذن معدات حربية والتي سأدفع لكم ثمنها نقدا حسب امكانياتي وسأجمع قوات تكون في حجم نصف قواتكم وعند ذلك سنتقاتل.

---

(1) المصدر: «Correspondances du Marechal Valée» T,IV, p. 105

أو تبقون في الأرض التي هي اليوم تحت أيديكم وأبقى انا أيضا في البلاد التي هي تحت يدي، وسوف لآ أقترب منكم لا بالخير ولا بالشر، ولن تحتكوا أنتم كذلك بي من الآن ولمدة أثنى عشرة سنة، وعند ذلك يكون عمر مملكتي عشرين سنة، فكل عام من عمر مملكتي بعد بقرن من عمر مملكتكم وعندها نتحارب. وإذا ما نصرني الله عليكم ستكونون قد هزمتم على يد رجل له قوة وستكون قضية مفهومة لدى الجميع لكن اليوم إذا ما نصرني الله سيكون ذلك معرة لكم في أعين ملوك المسلمين والمسيحيين على السواء وإذا ما انتصرتم على فأن ذلك لن يعني شيئا لأنكم انتصرتم على أمير لا تتجاوز عمر مملكته الثماني سنوات.

ثانيا: ابعث رجلا من عندكُم ليقوم بعد قواتي وارسل جنديين ضد كل رجل من عندي، وأنني سأقسم لكم بأني لن أضيف رجلا واحدا على العدد الذي أحصيتموه؛ ومع ذلك فأنني لا أعتقد بأنكم تستطيعون الظفر بالأيالة.

ثالثا: فليأت الماريشال الى ساحة القتال وسأرسل لمواجهته واحد من خلفائي، وإذا تغلب صاحبي عليه ستخلون دواخل البلاد وتكتفون باليقاء في المدن الساحلية وإذا كان صاحبكم هم الذي انتصر فأنني سوف لن أنازعكم الطريق من الجزائر حتى مدينة قسنطينة ولا مقاطعة قسنطينة كذلك فالمسلمون الذين يريدون البقاء تحت حكمكم لهم أن يبقوا والذين يريدون الارتحال لن تمنعوهم.

رابعا: فليأت الدوق دورليان بنفسه الى ساحة القتال وسأتي انا، بعد الله، بنفس كذلك وإذا ما استطعت التغلب عليه فأنكم ستعودون الى بلادكم مع قواتكم وتخلون كل المدن التي تحت أيديكم مع ترككم بها لكل ما هو ملك للبايلك وتذهبون فقط بأنفسكم وأموالكم وإذا ما تمكن هو من التغلب على فتكونون قد تخلصتم مني وتكون المقاطعة ملك لكم.

وإذا ما قبلتم بواحد من هاته الاقتراحات، اجمعوا قناصل الأمم ليكونوا شهودا. اما نحن فإننا لا نتراجع أبدا عن شيء قلناه وكلامنا لا ينقض وعودنا.

وبالرغم من أنكم تعتبروننا ضعفاء، فإننا في الحقيقة أقوياء بالله، الذي هو سيدنا وناصرنا. وأنني أقسم لكم بالله الذي شرفنا بالاسلام والذي أعزنا لأننا اتبعنا سيدنا محمد ﷺ. وأذ لكم لأنكم تعبدون سيدنا المسيح عليه السلام وتعتبرون أن الله واحد من ثلاثة وانه مركب من ثلاثة أشخاص. أقسم لكم، مؤكدا بأنكم لن تمتلكوا الأيالة ولن تكونوا في راحة أبدا ولن تتمتعوا بها. والذي سيبقى منكم حيا سيراني يوما جالسا على عرش الجزائر والذي يبقي منكم عندئذ بها سيكون تحت رحمة سيوف المسلمين.

30 ـ رسالة محمد بن محي الدين خليفة علي سباو الى الوالي العام[1]

الحمد لله وحده ولا معبود سواه:

حضرة المعظم الأرفع الذكي الأرشد الهمام الأسعد السيد المارشال، بعد السلام عليك مع التحية والاكرام تعمك وتعم به من شملته عنايتك أما بعد.

فان سألت عني فأني في عافية الله وستره وكذلك جميع الرعية والحمد لله على هذه الساعة الحميدة الكاملة الرشيدة. وأعلمك ان الشيخ فرحات[2] قدم الينا مع كافة اخوانه الذي كانوا معه ولبسته غاية كما تحب وترضى، فأعطيته برنوص بالذهب غاية من لباس الملوك مع سكينه بالفضة ولبست المشايخ الذي معه وتراني رديته على الفور يقضي لنا أمور فكاتبت له الى فليسة ونزليوة الأمان إن قدموا الينا، ونلبسهم ونأمنهم كاخوانهم الأوطان. وما نجعلو لك ان شاء آلله الا الصلاح، وكن في هنَا من هذه النواحي،. وان سألت على بن سالم فتراه نازل فوق فليسة واجتمعوا القبائل فقالوا له انتقل من بلادنا نهلكوا معك وتراه اشتري ديار في جرجرة هو الجبل الذي قبلة البيرة (البويرة) وينتقل الى هناك لأن فرحات هو الذي حكالي وهو الخبر الصحيح واليوم لما قدم فرحات الينا فلا تضن يبقى أحد لأنه رجول حقا وصدقا ونقضوا به أمورا كثيرة. والصدق هو الذي يبلغ صاحبه وعليك ألف سلام كاتبه محمد محي الدين لطفا الله به آمين.

---

(1) المصدر: A.G.V./1H. 87

(2) هو فرحات بن محمد المعروف بابن طاجين كان آغة عربية من قبل خليفة الأمير عبد القادر، علي سباو، أحمد بن سالم.

إضـافة:

وأعلم أن جميع الأوطان اجتمعوا عندي في هذا العيد وترجو كرمتك السعيدة ولابد ولابد يردوا خيرك كما فعلت معهم أتراني تحصلت على زرع البايلك والذي ظهر لي...[1] لك عدد 96 تجعله تحت يدي أن شاء الله، ولما يبدأ الحرث نحرث لك أن شاء الله كما تحب وترضى والأمر اللي نقدر عنه لا نفرط. الحاصل نحن في جميع هاذه الأوطان في هناء وفرح وسرور فإنّي نجزيك وعليك ألف في ألف سلام[2].

---

(1) كلمة لم نتبين حروفها.
(2) الرسالة ليست مؤرخة ولكن ترجمتها الفرنسية تحمل تاريخ 8 نوفمبر 1842.

31 ـ رسالة محمد بن محي الدين خليفة سباو الى الوالي العام (30 نوفمبر 1842)[1]

الحمد لله وحده لا حول ولا قوة إلا بالله

المعظم الفاضل المتولي مملكة الجزائر، الذكي الأنبل الأرشد السيد المارشال السلام عليك وعلى كافة أتباعك جملة.

أما بعد: كيف أنت وكيف جميع أحوالك وان سألت عني فأني في عافية الله وستره وكذلك جميع اخواننا. وان سألت على الرعية تراهم على السمع والطاعة والناس تحرث كعادتهم وهم في عزّ والله يوفق الى الصواب. ونطلب الى الله تعالى ان يعافيك وينجيك فأنت رأس كل خير. وتراني في عافية الله وستره وان سألت على الناحية الشرقية فأني بعثت الشيخ فرحات الى كافة القبائل وبيده كتائب من عندي فقروهم وتراهم وعدونا بالقدوم وان قدموا الينا لابد نبعثهم لك. وتراني بعثت الى زرع البايث يرفعوه أين كان ونضعه قريبا منا ونخفضه. ولابد نحرثوا لك أن شاء الله ولا نفرط في جميع المآرب التي تكون فيها مصلحة لك والجميع والسلام كاتبه محمد بن محي الدين لطف الله به أمين أمين.

(1) المصدر: A.G.V/1H 87

والشيخ فرحات تراه نزل عندي لأنه ملازمالنا وتراه بلغك كتابه[1] جاوبو بما ظهر لك لأنه من صناديد الرجال وأمره صحيح أحسن من كل أحد وما يكون إن شاء الله إلا ما يرضيك. وبن سالم تراه ما زال أعلا بلاد أفليــه والشواش الذي كانوا عنده تراهم عندي ويأتي الجميع لنا أن شاء الله[2].

---

(1) أنظر نص رقم: 32.

(2) في 9 نوفمبر 1842 كان محمد بن محي الدين بعث برسالة الى بيجو جاء فيها «... وأخبرك أني بعثت رجول لا يعرفه أحد الى ابن سالم ووجده في جبل فليسه ومعه سبعين عسكري فقط وسرح الشواش والسياس الذين كانوا معه والبعض منهم قدم لنا يريد الخدمة عندي وأبيت فأنني لم نأمن الذي يأتي من عنده كما لا يخفاك والله يدوم لنا يطول حياتك وما يبلغني من الخبر نعلمك به واما قدومه (بن سالم) الى عمراوة أراد السكني عندهم وأبو فقالو اله لا نقبلوا منك ذلك».

32 ـ رسالة فرحات بن أحمد الى الوالي العام[1]

الحمد لله وحده الملك له الواحد القهار:

حضرة المعظم المحترم الفاضل السيد المارشال أمنك الله ورعاك وسلام عليك بالتعظم والتأكيد يليه. نعلمك اعلام خير إن الله أنني قدمت الى الخليفة سي محمد بن محي الدين بالسمع والطاعة فجعل لي الحرمة والاحترام والان تراني رجعت لأجل المصالح ولا نخالف عنه شيئا فنخبروه ان شاء الله في جميع الأمور بحوله وقوته فالحمد لله على هذه الساعة المباركة المتبركة والسلام كافة عن إذن الشيخ فرحات نجاه الله من آفات[2].

(1) المصدر: A.G.V./1H. 87

(2) الرسالة ليست مؤرخة والترجمة الفرنسية تحمل تاريخ 8 نوفمبر 1842.

33 ـ رسالة محمد بن محي الدين خليفة سباو الى بيجو[1]

الحمد لله وحده ما يدوم الملك إلا إليه.

حضرة المعظم الفاضل والى مملكة الجزائر السيد المارشال أيده الله وحفظه السلام عليك ألف سلام. كيف أنت وكيف جميع أحوالك فان سألت عنا فنحن في عافية الله وستره. وقد كاتبني محب الجميع السيد ناصر أغه وأخبرني برجوعكم في عافية الله وستره، ومع ذلك فقد طاعت جميع الرعية ونزلت العافية، وقد انقطع زيغ أولاد الحرام والشر كل ذلك لكمال عقلك وأفعال الخير منك فقد استمنت (استأمنت) العباد وفعلك ذلك فضل الله فأني فرحت غاية، والله بدوم لك طول العمر وقد بلغني الخبر على ولد بن سالم أنتم بعثتموه الى فرانصة ذلك أحسن[2] والخيل اللّي كاتبتني نَشْتريهم لأجل ركوب السرسور (؟) تراني ان شاء الله نكمل التي أمرتني بهم في أقرب مدة ولا نفرط في مطلوبك ولا نتراخى في أمرك لعلو مقامك عندي. وأنا ان شاء الله عونا لك في جميع ما يكون في ناحيتي. وان بلادنا

---

(1) المصدر: A.G.V/1.H.63.

(2) حجزت السلطات الفرنسية طفل الخليفة ابن سالم ويدعى الشريف وأرسلته الى باريس بمعيه أطفال من أبناء المقاومين مثل ابن قدور بن رويلة ويدعي أحمد وأخ الخليفة ابن علال ويدعي محمي الدين حيث أدخلوا الى مدرسة خاصة لتعليم الفرنسية وبقوا هناك كنوع من الرهائن للضغط على أبائهم وعائلاتهم. حول مشاعر هؤلاء الأطفال وهم في فرنسا أنظر النصين: 39ــ40.

عافية والأسعار كثيرة (يقصد ربما المنتوجات) والأمن في جميع الأسواق والطرق ليلا ونهارا والناس متمثلين بلمكس فارحين مسرورين بعمارة بلادهم وقد ارتفع الظلم عنهم وأهل الفساد وعمروا الأرض بالحراثة غاية.

وترا واحد من اخواني يأتي إثر هذا يسلم عليك ويحمد الله لك ولنا في رجوعك من السفر في عافية الله وستره. وانا في هنا والسلام كاتبه محمد بن محي الدين لطف. الله به أمين في شوال بعد ما مضت منه 27، سنة 1259[1].

(1) 20 نوفمبر 1843.

34 ـ رسالة خليفة الأمير أحمد بن علال الى عبد الرحمن بن تيفور آغة حجوط بني مناد[1]

من سيدنا سيدي محمد بن علال خليفة السلطان نصره الله الى عبد الرحمن تيفور، السلام عليكم ورحمة الله.

أنني أعلم أنك لن تستطيع لا أن تكون مفيدا لنا ولا خطرا علينا، ومع ذلك فأنني أرثى لحالك عندما أتخيل غضب الله ورسوله الذي جلبته على نفسك، والى العذاب الذي ينتظرك يوم الحساب فالله سيحاسبنا حتى على صداقة ساعة واحدة والمؤمن يجب أن يكون مرآة للأخيه نعم يجب أن افتح عينيك وأن أبين لك الحالة المزرية التي أنت فيها يجب أن لا تداهن نفسك بأقوال أعداء الله الذين يغطون عن عينيك كل ما هو ضار لك لقد سلبوا منك بصيرتك حيث أصبحت تعتبر الشر خيرا والخير شرا.

أعلم إذن أيها الأعمى أنك تركت دين أبائك وأجدادك وأنك خرجت عن الطريق، الذي اختطوه لك، لتسير في الضلال. تأمل حيدا بأنك بذلك، اثما في حق الله ورسوله بعدد المرات التي تتنفس فيها وهذا يعني أنك ترتكب أربعة وعشرين ألف خطيئة كل يوم، ومن الخطايا الكبرى لأنه عندما غدر بك الشيطان وخلصت عنقك من طاعة السلطان

---

(1) المصدر: A.G.V./ 1.H. 87 عثرنا على الترجمة الفرنسية لهذه الرسالة وقد قام بها ليون روش بتاريخ 20 نوفمبر 1842 ـ لقد استشهد الخليفة محمد بن علال خلال معارك خريف 1843.

لتضعها تحت نير المعصية. ومن ذلك الوقت، فالملائكة سيكتبون في سجل أعمالك من الآثام بعدد المرات التي تتنفس فيها ليلا ونهارا. ويكون ذلك هو عملهم ما دمت لم تعد الى الله.

تأمل الحمل الشاق الجاثم على ظهرك من جراء نوع واحد من الآثام، وكيف سيكون إذن عبء هذا العمل عندما تحسب اقامتك مع المسيحيين فالابتسامة التي تستقبلهم بها والكلام الذي تقوله لهم والخطوات التي تخطوها معهم سواء أكنت راجلا أم راكبا وفي كل خطوة من هذه الخطوات يعد لك من الاثام بقدر عدد الانفاس التي تتنفس بها. وباختصار سوف يعد عليك كل شيء في الحل والترحال وفي النوم أو اليقضة وحتى عندما لا تخرج من خيمتك فكل ذلك هو اثم عليك ما دمت خائفا خاضعا ومستسلما للكافر.

تأمل إذن بالله عليك، عدد الخطايا والاثام التي سجلت في كتابك منذ خمسة شهور، وستجد انه من الصعب عليك عدها كما يصعب عد الحبوب التي تنبت من أرض بني مناد. إنك أغرقت نفسك في بحر من الجرائم ليس له قاع ولا ساحل.

فما تقدم يتعلق فقط بما قاله الله حول الآثام ولكننا عندما نقرأ الآية التي تقول: ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من آلله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاه[1]﴾.

أهل هناك شك من أنك منذ أن ذهبت للمسيحي أصبحت أنت نفسك نجس! أو لن تبقى كذلك ما دمت لم تتب! وعلى ذلك فعندما يتحول مسلم الى الكفر فكل علاقة له مع زوجته تصبح عملا دنسا، واستمرار العيش معها فهذا سفاح. فعبادته لن تقبل، وليس له أجر لا في الصلاة ولا في الصوم ولا في الزكاة ولا في الحج، ومع ذلك فأنت في هاته

---

(1) سورة آل عمران آية 28.

الوضعية. يجب أن لا تعتقد بكونك مسلما صالحا فأنت لست كذلك والله، أن صيامك وصلاتك لن تقبل منك إلا إذا تبت وتعود للاسلام وتعلن ايمانك وتغادر أرض المسيحيين.

فكل ما قلته لك، هو مستقى من كتاب الله ومن كتب مفسرينا. وأني أثبت هذه الشواهد أمام عينيك وأمام بصيرتك وقد بسطتها لك ووضعتها في مستوى ذكائك ولم أت بنصوص قرآنية أو أحاديث نبوية مخافة ان يختلط ذلك عليك ولن تفهمها. لو تدرك الحالة المزرية التي أنت فيها، ولو فكرت في الموت التي هي أقرب مما تعتقد، فلربما تراجع أعمالك وتعود الى الله وتتوب عن جرائمك وتعود ويعود الذين ابتعوك وارتدوا مثلك، والذين هم جرائمهم تضاعف من أثامك، الى أحضان الاسلام.

عد الى الله وهيا الى بلاد المؤمنين الصادقين وأنني سأدعو الله أن يتقبل توبتك وأطلب من الله ومن رسوله العطف والرحمة لك ولكل الذين يستتبعونك. أسرع وعد الى رشدك وهيا الينا للأنك إذا تعطلت وأبطأت حتى نصل اليك، فإن الأمان الذي اعطيناه لك سوف لن يضمنك ولن يحميك.

إنني أقص عليك مثلا، إفهمه بالله عليك: أختر أي يهودي من بين أحقر اليهود وقل له أنني سأعطيك مائة ألف دوبلن إذا تحولت الى الاسلام أو الى المسيحية وسترى إذا كان سيقبل أن يتحول عن دينه كما فعلت أنت مقابل سبحة وأواني القهوة وبرنوس منحها لك الكفار أصحاب جهنم.

يجب أن تعلم أن سيدي محمد بن رقعة غاضب عليك أشد الغضب، وكلما تذكرك يصيح قائلا: عبد الرحمن لقد نصحتك ولم تسمع نصيحتي أه يا عبد الرحمن! ففي كل وقت نسمعه يردد هذه الكلمات.

فليكن الله رحيما بك. لقد أعتديت على الله واعتديت على الرسول وأعتديت على بن رفعة وعلى كل المسلمين وعلى السلطان وعلينا نحن. فأي صديق اخترته؟ المسيحيين! خذ حذرك وسوف لن يبقوا أبد الدهر.

والسلام

إضافة:

كنت متيقنا، و لم يخالجني شك أبدا بأنك ستتخلى عن دينك ودين أبائك وأجدادك و لم أستطيع أن اتحمل انك خرجت عن طاعة الله وطاعة رسوله وتستبدل صداقة المسلمين بصداقة المسيحيين! لكن ويا للأسف! فلا قوة الا قوة الله ولا قدرة الا قدرته. تغمدنا الله برحمته وحفظه بجاه رسول الله ﷺ.

35 ـ رسالة قدور بن رويلة الى المفتي مصطفى بن الكبابطي[1]

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

حظرة الفقيه السيد مصطفى بن الكبابطي مفتي الجزائر زمان استيلاء الكفار عليها، رَدَّها الله للاسلام، السلام عليكم ورحمة الله وبعد، فانا تحابينا في الله اجتمعنا عليه وافترقنا عليه. وبعد، فقد بلغك عني ما أساءك توهما منك وبلغني عنك كذلك أما الذي بلغك عني فهو ما في هذا السؤال والجواب من الذي سماه الونشريسي «أسنى المتاجر في بيان الأحكام من غلب على وطنه النصاري ولم يهاجر» وقابله أن شئت بأصله تجده حرفا بحرف وهو مرءآتك فيه حالك ووصفك الآن تطابقا، فقل جزاك الله خيرا واضْعَ بجوابك وإن لم يتطابقا فقد تجرأت عليك وهتكت حرمتك فنستوجب العقوبة من الله تعالى واني لنرضى بك حكما بيني وبيك.

وأما الذي بلغني عنك، هو أنك عثرت على كتاب بخطي للكافر فيه المعظم الأمجد، وقلت في قولا شنيعا وأوحيت لي به مقْتًا حتى توعدني صهرك مصطفى بن المرابط لآطال قصر يده ولاخراج عنقه من طوقه. فأعلم سيدي أنني لم أكاتب الكافر مستقلا وانما كاتبته عن إذن سادتنا أمراء الاسلام سيدنا الحاج عبد القادر وخلفائه أدام الله دولتهم وأهان على أيديهم أعدائهم، وكنت قبل أربع سنين أكتب المعظم الأرفع فنهاني السلطان فانتهيت وتبت وصرت نكتب الى عظيم الجنرلات أو الكمانضاضات[2]

---

(1) المصدر: مخطوط م.و.ج. رقم 2083.

(2) يقصد الكومندانات وهي رتبة في الجيش الفرنسي تساوي رتبة الرائد في الجيوش العربية.

(كذا)، وهذا الذي بيدك فان كان قبل مضي الأربع سنين فقد تبت منه وأن كان بعدها فليس بخطي فإن مماثلي في الخط ثلاثة وكلهم يكتبون للسلطان وخليفته فلا ترجمني بالغيب وعلى تسليم أني كتبت هاتين اللفظتين فقابلهما بواحدة من هذه العشرة. الأولى: قابلهما بمن يعظم أعياد النصارى ويبارك لهم فيه.

الثانية: قابلهما بمن يحضر منكم جنائزهم ويتغير بغيارهم حتى أنه يذهب راجلا، ولغير جنائزهم راكبا.

الثالثة: قابلهما بمن يشيّع منكم الجنرال إذا خرج لقتال المسلمين ويدعون له.

الرابعة: قابلهما بمن يتلقى منكم الجنرال إذا رجع من قتال المسلمين ويحييه بالسجود ويتحرى تلك الهيئة المخصوصة التي يستحقها الكافر.

الخامسة: قابلها بالفقرات البليغة التي هنأ بها المقصوف الذي إزداد، قطع الله نسله[1].

السادسة: قابلها بالأبيات الأربعة التي مدح بها ولد الرأي (الملك)[2]، وشبهه بالنيل، وأسبغ في وقت تفضله عليكم وقتاله للمسلمين واعتني بشأنها ورسمت في الرخامة في داخل الجامع الكبير الذي تدعون أنه بركتكم، وثبتت على بابه.

السابعة: قابلها بتهيأة البلغة الصفراء لرجل ولد الراي بباب الجامع الكبير يوم زاره.

---

(1) علق علي بن الحفاف على هذه النبزة بكون المفتي ابن الكمابطي نظم هو بنفسه قصيدة مدح فيها مولود ملك فرنسا الجديد.

(2) الدوق دورليان ولي عهد فرنسا.

الثامنة: قابلها باجتماعكم في دار وكيل الراي يوم يولي القاضي والمفتي وأنتم منكسوا الرأس تحت البندرة والحجرة التي عليها صورة الراي.

التاسعة: قابلها بمشاهدتكم أخاكم وموافقتكم له حين يقول وهو مختار: بالله الذي لا اله إلا هو ما يعصى رأي فرنسا ولا يخرج عن طاعته.

العاشرة: قابلها بمن يكتب من عُدو لِكُمْ ويسيد اليهود والنصارى في وثيقة مالك..

فإذا قابلت كتابي الذي عندك بواحدة من هذه أنظر من يستوجب العقوبة مِنّا ولعكم ظننتم إن خرجتم من الجزائر أن آلله لا يعبد وشريعة محمد لا تصاغ، ولولا قوله ﷺ تسليما إن آلله ليسأل عن صحبة ساعة، وقوله عليه الصلاة والسلام المؤمن مرءآت أخيه. ما كتبت لكم حرفا، وفي هذا السؤال والجواب ما يفصح لكم بحالكم الواقعة لكم في الدين بل في دعائم الاسلام الخمس وآلله يرشدكم.

36 ـ رسالة الأمير عبد القادر إلى السلطان العثماني[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

من عبد بابكم ومقبل تراب أعتابكم الملتجى لحماكم المستطعف لرحماكم الطالب من الله رضاكم الراجي فضلكم وقضاكم خادم حضرتكم وخادم المجاهدين عبد القادر بن محي الدين منحه الله رضاه ثم رضى رسوله ثم رضاكم في الدنيا ويوم الدين آمين. الى سلطان سلاطين الاسلام وحامي بيضة أمة محمد عليه الصلاة والسلام طود الملوك الشامخ وركنهم الثابت الراسخ شمسهم التي تستمد منها كواكبهم والبحر المحيط الذي لا تخوض لجحه مراكبهم خير ملك قاد الجيوش ورتب العساكر وأحكم سلطان اعترف بفضله الحسود والناكر، عين أهل الايمان التي بها أبصارهم وكنزهم وملجاهم الحصين الذي به انتصارهم شرف المنابر وفخر الطروس والمحابر ليث الحروب ومفجى الكروب فهو إذا ركب سيد الفرسان وإذا جلس فذو سياسة أعيت ءال ساسان الغيث الذي عم البسيطة منه فضل واحسان وكان لعين الاسلام بمنزلة الانسان وعبن أن يسمى غيره الآن رجل أو انسان وليس على الله بمستنكره أن يجعل العالم في واحد فلذا كان كعبة الملوك التي اليها حجها وإمامها ومنهم نهجها ومحجها وأمت بابه الركبان بزاد وغير زاد فلله دره من فرع جمع ما في الأصل وزاد.

---

(1) المصدر: عن مجلة التاريخ (الجزائر) عدد 4 أفريل 1977، ص،ص 99ــ105.

سيدنا وابن سيدنا الى الجد عثمان السلطان عبد المجيد خان أعانك الله على ما أولاك وكان لك وتولاك ونصرك على مر الدهور والأزمان وسلام على سيدي ورحمة الله وبركاته وبعد فالمرغوب من سيدنا أولا العفو عن سوء خطابنا والأغضاء عن عشرات كتابنا فان أدنى الناس وأقلهم لا يحسن خطاب مثلك ولا كن الضرورة دعتنا الى ذلك وجرأنا على مخاطبتك ما علمنا من حلمك وعدلك وانا نهنؤك بالخلافة التي لا يلحقها بحول الله وقوته كدر. الميمومة البقية على جميع الحقايق من نشر وشجر ومدر ونعزوك في الوالد أمير المؤمنين برد الله ضريحه وأسكنه من الجنان فسيحه فالله يعظم لك الأجر ويلهمك الصبر ثم أنا نخبر سيدنا ونقص عليه من أخبارنا وان كنا نعلم أن علمه محيط بما هو أبعد من أقطارنا وذلك أن الينشارية الذين كانوا بالجزائر لما خرجوا عن طاعة أمير المؤمنين والدك المرحوم عاقبهم الله بسوء فعلهم فسلط عليهم من لا يرحمهم العدو الكافر الغشوم فبدد شملهم واجتث أملهم وملك القرى والمداين واستولى على الأموال والدخاير والخزاين وسمت به ذمته اخزاه الله الى ملك جميع الأيالة واسترقاق المسلمين تارة بالمكايد والحيل وتارة بالقهر والاستطالة وحال الكافر والبحر بين المسلمين وبين سلطانهم مع شدة حاجتهم الى من يقوم بهم ويدافع عن حريمهم وأولادهم وأوطانهم فعند ذلك استغاث الناس بالسلطان الشريف سيدنا عبد الرحمان سلطان مراكش فبعث الى الوطن ابن عمه مع جيش كثير وصار بالمدد الغزيز فما جعل الله فيهم نفعا ولا جاهدوا ولا أغنوا عن المسلمين دفعا وانقلبوا من حيث جاءوا ورجعوا من حيث فاءو فوقع إذ ذاك الهرج بين المسلمين وكثر الخلاف وتقطعت السبل وظهر البغي والاعتساف وكان والدي واسلافنا شأنهم بث العلم لطلابه وإطعام الطعام لأبناء السبيل وفتح أبوابه مع الاشتغال بما يعني والتبرأ والتباعد من كل ما يغني فلما رأي والدي عموم المصيبة في الدين واشتغال المسلمين فيما بينهم عن قتال الكفار المعتدين بذل جهده في اصلاح ذات البين ورفع الحيف وشن الغارات على الكفار في كل حين بمن وافقه وأطاعه من المجاهدين فلما

رأي الكافر ذاك زاد في قوته وشئونه وتكالب على المسلمين القريبين من حصونه واحتاج الناس إذ ذاك الى من يضبط جهادهم ويقوم بجميع أمورهم ويجمعهم ويجمع ما به قوام جهادهم ويتكلف سياسة خاصتهم وجمهورهم فاجتمعوا أعيان الوطن وطلبوا ذالك من الوالد فتفر منهم نفور الفقير الشارد مع ما كان فيه من الرحمة على المسلمين والاشفاق لأنه كان أورع أهل الوقت على الاطلاق فسألوا منه تعيين بعض أولاده لذلك فاشار الى لما سبق لي من الشقاوة في أم الكتاب هنالك فامتثلت أمره وان كان مُرّا، إذ لم أحضر له مدة عمري. وشمرت عن ساعد الجد والاجتهاد وبذلت للمسلمين نصحي في جمع الكلمة والجهاد وصيرت من وجهتي وجهتين ومن همتي جهتين فتارة لجمع الكلمة وردع البغاة وآنة للدفع عن المسلمين وقمع الكفار العتات فدفع الله عن الاسلام بذلك من الشر بعضه وشيد من أركان الدين ما كان الكافر يحاول نقضه وضيقنا على الكافر المجالات وصاروا لا يأمنون في جميع الحالات ولما رءا الكافر منا تلك القوة والحدة احتال في حل عزايمنا بطلب الصلح مدة فاجبنا لذلك على شروط علو الاسلام فيها ظاهر مضبوط فتحملها لظنه ان الصلح يحل من المسلمين العزايم ويميلون الى ترك الجهاد والراحة على الدايم فبقي في الصلح نحو من سنة ثم غدر وخرج للحرب والمسلمين على حين غفلة وسنة فبادر للقائه من قرب من المسلين بعدما سار الى أم العساكر من وهران مرحلتين فهزمه الله هزيمة شنعا كأنما أرسلت عليهم ربح عاتية فترا القوم فيها صرعي وألجاهم المسلمون الى البحر فرموا بأنفسهم فيه وما نجا من ذلك الجيش معشار عشرة ولا أرجعوا من سلاحهم إلا شيئا تفيه ثم بقوا نصف سنة وجمعوا قوتهم واستجدوا عدتهم وقصدوا أم العساكر فوصلوها بعد حروب لم تبق منا ومنهم شجاعا ولا ماكرا فباتوا بها ليلتين وانقلبوا خاسئن ثم ذهبوا الى تلمسان باتفاق الينشري الذين بها وما من مدينة من مدن الاسلام دخلها الكفار الا كان الينشارية هم دعائمهم اليهم ومن سببها ولما فات المسلمين قتال الكفار في الذهاب اجتمعنا وقاتلناهم في الأياب قتالا متعددة بقيت الكفار والمسلمون كأنهم

خشب مسندة ثم رجع الى وهران وترك بعض عسكره مع الينشاري الذين بتلمسان، فاقاموا بها سنة ونصف في ضيق الحصار والهوان وخرج الكافر مرة ليبلغهم الزاد فتلقاه المسلمون وردوه بالهزم والنكاد وبقي محصورا على شاطيء البحر شهر .بن ما درج والمسلمون كل يوم يقاتلونه حتى جاءه المدد من سيده فخرج ولما رأى عدو الله ما بلغه من المشقة وما لحقهم من الحصار والقتال مع بعد الشقة طلب الصلح من المسلمين على مال يدفعه للمجاهدين فاجبناه رجاء ان نستريح لمثلها ونستعين بالسلام والكراع لنيلها وقد جعل الله في ذلك للمسلمين صلاحا ولأمور الدين نجاحا واجتمعت كلمات المسلمين من حدود طاعة الشرفا الى حدود تونس وانتفا منها كل شر ولم يبق الا ما يسر ويؤنس. تسير المرأة وحدها مسيرة شهر لا تخاف الا الله ولا تخشى من أحد نكر. ولما أخذ الكافر قسنطينة من يد الباي أحمد ولم يبق في مقابلته من ذلك الوطن أحد وقع الذي بيننا وبين الكافر على تلك الابالة فالكافر يحتج بأخذها من يد غيرنا وانه أفنى عليها أمواله ورجاله ونحن نقول المسلمون جسد واحد فاترك أمرهم الينا ولأولئك فانتقض الصلح بيننا واشتعلت نار الحرب ومنذ سنتان لم ينقطع بيننا طعن ولا ضرب وانه في هذه المدة خرج الى المدية فوصلها بعد أحوال سيئة وطوالع ردية جعل ستة وعشرين يوما في مسيرة ست ساعات وأمتلات الأرض من قتلى الفريقين بترادف الحملات وعجز الناس عن دفن القتلى وانتنت بهم الأرض فهي آية تسطر وتتلى وكل مدينة قصدها وقع عليها مثل هذا أو أكثر، وانا أخبرك بالاجمال ولو فصلنا لكان في الاستغراب أكبر. وان جيش الكافر المقابل لنا يناهز الماية ألف بسلاح تام وصواعق ومدافع تصير الواحد ضعف وانه إذا جمع قوته وقصد بعض المواضع فلا نقدر ان نرده إذ ليست لنا قوة بارود ولا سلاح ولا مدافع مثل ما عنده لاكن يذيقه المسلمون شديد النكال وعظيم القتال فإذا افترقت عساكره في المداين والبروج حاصره المسلمون ومنعوه الدخول والخروج فهم لا يامنون في أبواب الجزائر وان نساءهم وأموالهم ورجالهم وأولادهم كل يوم للمجاهدين

جراير وكل مدينة دخلها وعمروها برجالهم أقام المسلمون محلة معدة لحصارهم وقتالهم فيبقى جيشهم من وراء الجدرات كأنهم نساء مخدرات وما وصل حيث وصل بشجاعة جيشه وجلده ولاكن بكثرة عدده وعدده فما قابله المسلمون قط وهم ثلثه في العدد وبعض المرات ليسوا بربعه بقطع النظر عما له من المدد ومع ذلك ما ضعفوا ولا وهنوا ولا استكانوا ولا حزنوا مع الضعف الذي لا يحتاج الى شاهد من قلة المال والسلاح الذي يعلمه الغايب والشاهد فكم من يوم منحنا الله منهم أدبار فنفذ ما عندنا من البارود فعاد ربحنا خسارا وأهل هذا الوطن بالاصالة ضعاف منذ عاملهم عمال الجزائر في السابق بالظلم الكبير والاعتساف ومنذ دهمهم العدو الكافر أشغلهم حربه عن البيع والشرا فهم كلهم يتكففون عالة فقرا لقد نفدت في سبيل الله أموالهم وفنيت في الجهاد رجالهم والكافر لقوته إذا أخذت له محله جدد أخرى وإذا أهلك له جيش استخلف بالأخرا، وإذا احتاج لشيء أمده به سلطانه فهو لا شغل له الا تدبير المكايد للمسلمين وما يأمره به شيطانه ونحن سلمونا اخواننا المسملون وتركونا أساري في يد العدو فهم لنا ظالمون وتبرأ منا من كان قريبا لنا من الملوك ومنعونا شراء ما نتقوا به على الكافر خوفا منه ومنعونا حتى السلوك طلبنا منهم الاعانة بالرجال فلم يقبلوا، واستعناهم بالأموال فلم يفعلوا وطلبنا منهم السلف فكان عين المحال ومنعوا رعاياهم من اعانتنا بكل وجه وحال فما نفعنا قريب ولا مجاور ولا دافع عنا دو سيف ولا محاور كأن المسلمين ليسوا بجسد واحد وكأنه ليس الظلم لواحد منهم والمسلمون بهذا القطر لا ينظرون من غيرك إفراج ولا لهم ملجأ يلجئون اليه غير حصنك العالي الأدراج فأبصارهم لاعانتك وامدادك طامحة وقلوبهم بمحبتك وذكرك طافحة فان قيل مال عندك المال وافر وان قيل جيش عندك العسكر كالبحر. واني وحياتك السعيدة لولا خوفي على المسلمين من العدو لا رمت سكونا ولا هدو حتى أقف بين يديك وأقص من أخبار المسلمين بهذا القطر عليك فأنهم قد غلقت عليهم الأبواب وتقطعت بهم الحبال والأسباب ولا بلاغ لهم إلا بالله ثم بك وقد

استمسكوا بالعروة الوثقى وتعلقوا بحبلك وسبيلك ومحال ان يرجع كتابهم بعد الوقوف بين يديك صفر اليدين أو يبقى على معسرهم بعد استمطار غيثك فانك الغيث المدرار والبحر الزخار وحضرتكم حضرة اغاثة اللهفاء وزوال الضما ومشاهدة طلعتكم تزيل العنا والعما وإنا من عيالك والله سايلك عنا فأزل ما أثقل الظهر منا وعنا لا زالت تلك الحضرة تزيل اللغوب وتوفي لقاصدها كل مطلوب ومرغوب ولما لم يكن سبيل الى وصول كتابنا فضلا عن أنفسنا اليك ترانا نكرر المكاتب إذ لم ندر من وصل منها من لم يصل اليك فكم من كتاب كتبناه، ولم يأتنا من حضرة سيدنا جواب نسئل الله ان يجعل المانع خيرا لا مانع سخط وعتاب ومرادنا أن نبعث لحضرة سيدنا هدية مع من يقوم مقامنا في تقبيل يدك الكريمة. الهدية من كثرة الحروب لم يتيسر لن ذلك والله المسئول في تبليغ مرادنا فيما هنالك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما.

9 في شوال من رباط مستغانم (1257)
(24 نوفمبر 1841)

37 ـ «وجهة نظر الحاج محمد بالخروبي حول انسحاب عبد القادر الى المغرب والمواقف المحتملة التي سيتخذها في المستقبل»(2)

ان عبد القادر قد استنفذ موارده القليلة، فهو لا يستطيع استخلاص الضرائب كما أنه ليس في مقدوره شن الغارات وبالتالي فليس في وسعه الاتفاق على ما تبقى لديه من القوات النظامية ولا حتى إعاشتها في بلاد حيث الكرم ليس شائعا كثيرا. ومن المحتمل أن يكون قد ترك الحرية لجنوده في العودة الى مسقط رأسهم.

---

(1) المصدر: A.G.V/.1H. 99 سافر الى باريس عند أواخر عام 1844 بعض أعيان الجزائر واستقبلوا بحفاوة واهتمام من طرف الأوساط الرسمية، كما استقبلهم الملك لوي فيليب وأقام لهم مأدبة عشاء احتفاءا بهم. لقد استغلت الوزارة الحربية الفرنسية وجودهم بباريس لاستطلاع رأيهم ومعرفة وجهة نظرهم حول الأوضاع في الجزائر وكيف يرونها وخاصة بالنسبة لمستقبل المقاومة المسلحة بعد انسحاب الأمير الى الأراضي المغربية. ويبدو أن أبرز شخص من بين هؤلاء الأعيان هو الحاج محمد بالخروبي. لقد أوعز اليه الفرنسيون بتسجيل انطباعاته حول هذا الموضوع كتابة. وهو ما فعله في المذكرة أعلاه. فالقاريء يجب أن يأخذ هذا الطرف بعين الاعتبار في تقييمه لوجهه نظر الحاج محمد بالخروبي، حول الأمير عبد القادر ومستقبل المقاومة التي يتزعمها.

لقد كان الحاج بالخروبي الكاتب الأول للأمير ثم واحدا من خلفائه في الشرق الجزائري، بمنطقة سطيف وأسر في حادثة الزمالة وحاول الفرنسيون كسبه الى صفهم. ولكن عندما عاد الأمير الى الجزائر أثناء صيف 1845 ووصل في زحفه حتى منطقة متيجة؛ وهذا ما دفع الفرنسيون الى اعتقاله في شهر مارس من سنة 1846 وحجزه في الجزائر مده من الزمن ثم أرسل معتقلا الى فرنسا التي نزل بها يوم 4 جويلية من نفس السنة ومنها التحق بالأمير عبد القادر في المشرك. حول ظروف اعتقال الحاج محمد بالخروبي أنظر A.G.G.AL/1E. 15 أو ميكرو فيلم رقم 14 IM 18.

أما القادة الذين يحيطون به والذين أثاروا استياءا عاما، والذين هم بنصائحهم السيئة قد ساعدوا على ضياعه، فليس لهم طريق آخر أمامهم سوى اتباع مصير سيدهم. فعبد القادر سوف لن يمتثل فقط للأوامر سلطان المغرب إذا ما طلب منه هذا الأخير القدوم الى فاس، ولكنه من المحتمل جدا أن الأمير السابق سوف يقصد، أولا، الشيخ رئيس الأحلاف ليطلب منه أن يكون وسيطا له لدى سلطان المغرب الذي له ثقة كبيرة فيه.

وكثيرا ما كان عبد القادر يقول: «إذا أراد الله أن يختبرني بالمحن والهزائم، وان القضية الاسلامية بدأت وكأن الله قد أهملها فأنني مع ذلك لن اعتبر أن هذه القضية ميئوسا منها، سأنسحب الى فاس وسأبذل جهدي لدراسة الكتب الدينية، ولن أتردد في أن أقدم نفسي ضحية من أجل خير شعبي وسأصلي كثيرا من أجله فسأعود عندما تحين أول فرصة مناسبة للأوقظ المسلمين الصادقين من الغفلة وعدم الاكتراث الذي هم عليه وسأسير معهم على طريق الله، وعندها فالويل للمسيحيين».

ان عبد القادر يتوهم، لأنه إذا وصل الى فاس فمن المشكوك فيه أن يتمكن من الخروج منها أبدا.

فبالحذر والقوة والعدل، فما على فرنسا إلا أن تكون واثقة بكونها ستبقى سيدة المستعمر[1].

(1) تاريخ هذه الوثيقة (ديسمبر 1844).

38 ـ رسالة عبد القادر البزريع الى الخليفة أحمد بن سالم(1)

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

يتعرف من يقف عليه الكتاب ويتصل بيده الجواب الى حضرة الأحباب الحاضرين في قلوبنا الغائبين عن أعيوننا، سلسلة الدهر ومعدن الجوهر والأدب من كانوا في بلادهم مفتاح وفي غيره مصباح أولهم الباي سيدي أحمد الطيب بن سالم والسلام على الخوج أبو شارب والسلام على محمد ولد الكبير بن سيدي موسى بن ناصر والسلام على سي محمد بن عابد والسلام على سي الحسين بن الحاج قدور والسلام على أخيه سي علي بن الحاج من المسلم عليكم اخوانكم في الله حقا عبدالقادر البزريع نعلمكم أنني تخلفت على الروم لعنه الله في حوش الحطاطبة وأيضا يسلم عليكم أخوكم محمود الصبيح.

واليوم يا اخواننا على الفرانصيص لعنة الله أنه طلب الصبيان منا وأخذ البلاد كلها ليس لنا موضع نستريح فيه وأخذ أموالنا بغير حق وجرد المساكين والأدميين نساء ورجال في اقليم الجزائر أين ما كانت عمالتها، وأخذ أحواش ابن خليل وابن موسى، كلهم بايلك دمره الله، إننا في حيرة معه في هذه الساعة. ونعلمكم بأمر السلطان الذي قاطن في بلاد أزواوا لأنه رجول صالح مبارك بالغ(؟) مهما ما وقع بينه وبين الروم من الحرب والبراز الا رده الله على أنفه مكسور عدو الله. ونعلمكم بأمر السلطان الذي في

---

(1) المصدر: A.N.AIX/F.80—1571 الرسالة ليست مؤرخة ولكن فيها إشارة الى «السلطان الذي في أزواوا» فالأمير عبد القادر كان قد استقر فترة من الوقت في هذه المنطقة في بداية عام 1846 والتي غادرها في بداية شهر مارس من نفس السنة وعلى ذلك قد يكون. تاريخ الرسالة يعود الى هذه الفترة.

أزواوامهما ما يريد الروم اللعين الخروج اليه الا وقد كان الرسول منا اليه ينذره. ونظن بحول الله وقوته ينصرُه الله نصرا عزيزا على الفرنصيص ان شاء الله. لأنه فعل منكر وأخد نساء العربان في الربيست؟ في المدية والأصنام في الغرب نطلب الله يقطع حبله عن قريب.

عن إذن الخليفة عبد القادر البزريع في حوش الحطاطب في نحية حجوط بديار الساحل، وجملة أحبابه أولهم، بن يوسف يعيش ومثل محمد بن كرم وأيضا محمود الصبيح هذا ما منا اليكم والسلام.

39 ـ رسالة الطفل الشريف بن سالم الى وزير الحربية الفرنسي[1]

الى من أكرمه الكريم ولا يتفرقه النعيم الى من اسمه سليم وقلبه حليم ورأيه مستقيم وشأنه عظيم الا من أيده الله بالرضا والرضوان وختم لنا وأياه بالسعادة والغفران وجعلنا وأياه في شأن عضيم الى حضرة سيدنا الوزير المنصور بعد السلام عليك، واليوم يا سيدي كيف أنت وكيف هي كافة أحوالك. واليوم يا سيدي إذا سألت عنا فرانا نحمد الله ولا يخصنا حتى شيء واليوم يا سيدي إذا أعطى الله منك ومن جزائل فضلك أن تسرّحني نقدم الى الجزائر نقرأ في العلوم أمتاعنا للأنني لم نعرف فيه حتى شيء وإذا أعطى الله منك تسرحني نقدم الى بلادنا للأنني لم نجد صبرا، والله العظيم إلا بعض الأيام نحب نقتل روحي والله إلاّ رجعت مهبول من وحش بلادي. واليوم يا سيدي نرجاو في فضلكم وجودكم علينا، أنا لما جيت للجزائر وتلقيت مع دماص، لما أردت أن نجي قلت له يا سيدي أنا نحب نمشي لفرنسا قال لي هو: تعمل مليح لما تشمي لفرانص قلت له وانا لما نحب نرجع للجزائر نرجع. لما تحب ترجع نردوك للجزائر، واليوم إذا كان تعملوا لي غرض وتسرحونني جزاكم الله علينا خيرا. ويا سيدي أنا خليت أبي وخليت أُموري وفرطت في تريكتي وجابتني الحرمة متاعكم وسمعنا بكم تعزو الناس جينا لكم، واليوم يا سيدي جزاكم الله علينا وعملت معنا سوا لمليح ما عملت معنا القبيح وأنا محسوب عليكم أما عندي غيركم واليوم يا سيادي أهل الحكمة إذا عطا الله منكم ومن جزايل فضلكم اعملوا لنا شوي حرمة وابعثوني الى بلادي للأنني هربت اليكم لما نمشي يعايرني الناس يقول

(1) المصدر: A.N.AIX/F. 80-1571. الشريف بن سالم هو إبن الخليفة أحمد بن سالم.

لي أنت هربت الى الفرانصيص واش اعملك. ولكن يا سيدي والله العظيم ألا كثير من الناس يَحلّوا فيا ويقول لي أنت راك قادم الى فرنصا نذهبوا معك لأنك أنت يحبك الفرنصيص، واليوم يا سيدي حزاك الله علينا خيرا لأنكم ناس ملاح ما عملت غير أمليح يا سيدي إذا عطا الله منكم ومن جزايل فضلكم ان تسرحوني نقدم الى بلادي للأنني توحشت كثير بلادي والله العظيم عمر ولا نخدم دقيقة من قلبي وأنا نخمم على بلادي واليوم ان كان تعملوا لي غرضي أنا هربت كرمتكم تسرحني نقدم الى بلادي. وبعد يا سيدي انا راني كتبت بلغ لدماص على أموري كلهم وعن حالتي كما هي ولكن جزاكم الله علينا خير ا حوّسنا في بلادكم المنصورة وشفنا قوة الفرنصيص ولكن راني قريب نقتل روحي إذا عطا الله منك يا سيدي لأني قريبا نخرج من عقلي وراه مكتبتلك حتى قريب نخرج من عقلي من وحش بلادي وهذا مامني. وكاتب الحروف الشريف بن سالم[1].

(1) تحمل الرسالة في هامشها تاريخا باللغة الفرنسية وهو 20 جوان 1844.

40 ـ رسالة الطفل أحمد بن رويلة الى أبيه قدور بن رويلة(1)

الى حضرة أبي وقرة عيني الفاضل الأجل الزاكي الأشمل سيد السادات ومصباح الظلمات أبي السيد قدور بن رويلة بعد السلام ورحمه الله تعالى وبركاته وتحيلته ورضوانه وبعد، سيدي كيف أنت وكيف هي أحوالك المرضية جلعها الله دائما بخير من الله وعافية وإذا اتفضلت على ابنك الغريب في بلاد النصارى فراني نحمد الله ونشكره ولا يخصني سوى النظر في وجهك العزيز على والحمد الله على ما فيك الذي أنت بخير وعافية. ويا سيدي والله إلاّ من نهار الذي فرقتك وأنا ما طاب لي لا معيش ولا أكل وزدت من فرقة الأم والأخت وختمت علي. ولكن يا أبي اللهَمّ الذي أنا جاز عليّ ما نقدر نحكيه لك في البرية لكن إذا ألقنا الله نقول لك ما جاز بي. واليوم يا أبي أنت راك قدمت الى الجزائر وإذا هداك الله أحرص على المارشال بج يبعث للوزير يطلق سراحنا لأننا ما نجمنا نصبرهنا، في أفرانص من فقدكم علينا. وأنا يا أبي سمعت بك والسيد قدور بن السيد الحاج الصغير والسيد الحاج أحمد الشريف وإبنه أتوا الي الجزائر وتبلغ سلامنا اليهم. والسلام عليك من عند أخي السيد علي بن الحاج أحمد الشريف ويا سيدي إذا هداكم الله أحرص على سرحنا يا أبي بلغ سلامي الي أمي الحنينة كثير والسلام، وكل سلام يتبعه ألف سلام وقل لها تصبر لأن هذا الشيء حكم الله الحمد لله على قضاء الله تعالى، وقال الله تعالى: «واصبورا ان الله مع الصابرين».

---

(1) المصدر: A.N.AIX/F.80-1571.

وتبلغ سلامي الى أختي كثير السلام وكل سلام يتبعه ألف سلام وكذلك على أخت الصغيرة وكذلك على سيد علي بن الحفاف وعلى السيد قدور الشريف وعلى عوض أمنا السيدة خدوجة وعلى السيد محمد وعلي السيد أحمد وعلى لآلة أخت وعلى أمي الكبيرة وعلى خالت وعلى بنتها خالت الصغيرة وعلى الخدم وعلى أهل الدار كافة كل واحد منهم باسمه ونطلب الله أن يجمع بيننا وبينكم بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبجاه الأولياء الصالحين ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم، والله يا أبي الا أنا نكتب في هذا البرية وأنا نبكي بالدموع. واليوم يا أبي إذا أهداك الله اكتبلي برية من عندك لأنني راني محروق عليكم كثير. واليوم أربعة شهور ماوصلتني برية لا من عند أمي ولا من عندك واليوم يا أبي إذا هدك الله أحرص على تسريحنا وان شاء الله سيكون الفرج بجاه سيد الأولين والأخرين يا أبي والله كي سمعت بيك قدمت الى الجزائر الا فرحت فرحا كثيرا لأني باش نشوف وجهك العزيز وهذا قضاء الله تعالى علينا وعلى المؤمنين. ويا أبي إذا أهدكم الله أحرصوا علينا لاننا ما نجمنا نصبروا عليكم واما الوزير قال لنا العام الماجي تروح بلادكم وأحنايا ما نجمنا نصبروا للعام الماجي وتبلغ سلامي الى السيد محي الدين بن الحاج قدور وعلى أخيه السيد قدور وعلى السيد علال وكذلك على السيد محي الدين بن علال وعلى من سألك علينا ويا أبي تخبرني على الخدام إذا ما زالوا ماتسرحوا وإذا كان مازالوا في الحبس أحرصوا عليهم يسرحوا وأنا تكلمت عليهم عند الوزير(1) وقال لي نسرحهم نحو أربعة مرات وهذا منا اليك والسلام من ابنك وخديمك... تراب تحت قدام رجلك ويا أبي أدعي لنا بالدعاء الصالح ويا أبي أسمح لي إذا مت وإذا حبينا نتلقوا وإذا متنا نتلقوا في دار النعيم تدوم لنا (وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) والله يجمع بيننا وبينكم على أحسن حال بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أمين(2)

أحمد بن وريلة

---

(1) وزير الحربية الفرنسي.

(2)_الرسالة لا تحمل تاريخا. لقد عاد الطفلان الشريف بن سالم وأحمد بن رويلة الى الجزائر في آخر شهر أكتوبر من عام 1846.

41 ـ جدال حول الهجرة

1

رسالة ابن الشاهد حول الهجرة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي طهر قلوبنا من أوساخ الأغراض وألسنتنا من الاغتياب والوقوع في الأغراض... والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي ترجى شفاعته لما هو أعظم من هذا، شفعه الله فينا ووقانا بشفاعته مكر كل ذي مكر واذاية كل ذي أذَى.

وبعد: فقد وصلتنا رسالتكم التي أطنبتم فيها وأوجزتم وأظهرتم علينا وأضمرتم، ومن سبنا صريحا والتزاما أكثرتم ثم تحومون فيها حول تكفيرنا بسبب مكثنا في هذه البلدة وعدم انتقالنا فرشقتمونا بسهام واهية أنشأتها تخيلات وأوهام هي عن أتباع الحق ساهية... فأنتج لكم انكم بمعزل عن غرض الاصابة وأنكم من العلم في غاية البعد ومن الجهل في غاية القرابة ولكن لما جرت بحور الأغراض بأفكاركم وهاجت بقلوبكم أمواج الحقد والحسد حتى ظهرت من بين أظفاركم عمدتم الى تكفيرنا من غير اسناد لدليل تقوم به الحجة وتشفي

(1) المصدر: مخطوط م.و.ج. رقم 1305. أنظر د. محمد بن عبدالكريم «حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية» الجزائر، 1981.

به غليل العليل، بل أتيتم بدلائل تخيلتم انها تقوم علينا بها الحجة، وما هي الا كسراج بيد من لم يدر أين يضع قدمه فأوقعه بسوء فعله في بحار اللّجة وذلك لأن تلك الدلائل ــ بعد التسليم ــ أنها تدل على وجوب الهجرة على الاطلاق. انما هي في حق من كان قادرا على الهجرة وتركها، وأما من كان عاجزا ــ كأمثالنا ــ فلا تنهض عليه بالحجة. والعجب منكم ــ وأنتم من ذوي التحصيل ــ حيث ارتكبتم الاجمال في مقام التفصيل والآية التي استدللتم بها على وجوب الهجرة وهي قوله تعالى: «إن الذين توفاهم الملائكة» الى قوله «فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم» مفصلة لأن صدرها تضمن الوعيد وعجزها تضمن الوعد بالعفو، ولذلك قال: «إلا المستضعفين» وكأنكم لم تعلموا أن حكم المستثنى يخالف حكم المستثنى منه وهو معنى التفصيل الذي أدعيناه.

ومن تمام العجب أنكم استدللتم على وجوب الهجرة لذى هو مدعاكم بصدر الآية، ولم تعرجوا على عجزها الذي هو مستمسكنا، ولم تحوموا حول حماه، فأنكم خشيتم أن يتفطن خصمكم لما تقوم الحجة عليكم ويتم مناه ويفوت، حينئذ، غرضكم الذي أنشأتم له هذه الرسالة(1) وتبكيت خصمكم واتصافكم بغاية العلم وانتسابه وحده الى الجهالة. الله دراكم، ما أحسن صنيعكم واستنباطكم، خصوصا ان كنتم ممن يظهر الخشوع في الأسواق وترسل الدموع، الساعة بعد الأخرى، منكم الأحداق لتكونوا عند الأمة من العلماء العاملين، وأنتم في باطن الأمر من «الذين ظل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبُون انهم يحسنون صنعا» ولا شيء عليكم من ذلك، لأن غرضكم متعلق بالأمور الدنيوية والشهوات النفسانية.

---

(1) لا ندري من هو صاحب الرسالة التي يرد عليها ابن الشاهد ولا التاريخ الذي كتبت فيه الرسالتان فالمعروف هو أن ابن الشاهد توفي في سنة 1252هـ. وللأمير عبد القادر رأي في الموضوع. أنظر النص االذي يلي.

ثم نرجع الى ما كنا بصدده فنقول: على أننا لا نسلم أن الآية تدل على وجوب الهجرة على الشخص إذا لم يتمكن من اقامة دينه، اما إذا كان متمكنا من اقامة دينة فلا يجب عليه الهجرة، دكره النووي في «شرح الأربعين» نقلا عن الماوردي. وكذا ذكره المفسرون في تفسير الآية المذكورة كأبي السعود، وابن عطية والبيضاوي،، ونص لفظ البيضاوي: «وفي الآية دليل على وجوب الهجرة من موضع لا يتمكن فيه الرجل من اقامة دينه» فان كان متمكنا من اقامة دينه فلا يجب عليه الهجرة، كما يؤخذ من كلام النووي عن الماوردي. وان كان لا يتمكن من اقامة دينه، فإما أن يكون قادرا على الهجرة أم لا. فإذا كان قادرا فيجب عليه الخروج، كما نص عليه البيضاوي وإذا كان عاجزا فقد عذره الله بقوله: «الا المستضعفين» فيؤخذ من هذا أن من كان غير متمكن من اقامة دينه وكان قادرا على الهجرة وتركها يعد تاركا لواجبه، ومن ترك واجبا فقد فعل حراما، ومن فعل حراما انما ارتكب معصية ولا يكفر مرتكب المعصية الا على قول من يقول بالتكفير بالمعصية.. هذا حكم من كان غير متمكن من اقامة دينه، وأما حكم من كان متمكنا من اقامة دينه، فالنصوص المقدمة تدل على عدم هجرته مما يدل عليه أيضا نص الفقهاء على كراهية التجارة بدار الحرب، فانه دليل لنا لا علينا لأنه لا يمكن للتاجر أن يمكث فيها السنين المتعددة، ومع ذلك حكموا على اقامته هناك بالكراهة فقط دون التحريم فضلا عن الكفر، ومما يدل عليه أيضا هجرة الصحابة لأرض الحبشة قبل هجرة النبي ﷺ، وكانت أرض النجاشي دار كفر وصحح النبي ﷺ هجرتهم وما ذلك الا لكونهم كانوا يفتنون في دينهم بمكة وتمكنوا من إقامته في أرض النجاشي. ومما يدل عليه أيضا عدم هجرة علماء الأزهر (رضي الله عنهم) عندما دخل هذا الكافر نفسه بلادهم، وما ذاك الى للاطلاعهم على ما قاله هؤلاء الائمة في تفسير الآية، علما منهم بأن ذلك الحكم دلت عليه للآية المذكورة وهم اسنبطوه منها، وأيضا فان العلماء، كالأطبا لأديان العوام، فلو فرضنا انهم هاجروا وانتقلوا لم يجد العوام من يطب أديانهم فربما يقعون في الكفر

فلذلك تركوا الهجرة، وما للأجله تركوها للأجله تركها علما ؤنا وليس تركهم لها بسبب تقليدهم أياهم، بل أطلعوا على ما طلع عليه علماء الأزهر...

وأن كان مرادكم بـ «نسج العنكبوت» ادعائنا إننا متمكنون من اقامة ديننا، اي هو غير مطابق للواقع أي: وكيف ندعي أننا متمكنون من إقامة ديننا مع هدم بعض المساجد وتعطيل بعض آخر وحفر المقابر الى غير ذلك، فتقول: يا سادتي إن المساجد إنما هي أمكنة تؤدي فيها العبادات وليست من الدين لأن الدين عند الله هو الاسلام والاسلام فسره النبي ﷺ بقول: «شهادة أن لا أله الا الله وان محمد رسول الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة...» الى آخر الأركان فظهر من تفسيره ﷺ بهذه الأشياء أن الاسلام عبارة عن أفعال مخصوصه... فالمكان ليس داخلا في مفهوم الفعل، حتى يلزمنا أن الأمكنة هي من جملة الدين... وإذا اثبت أن المساجد ليست من الدين ثبت قولنا اننا متمكنون من اقامة الدين مع هدمها.. وكان من حقكم ان تسألوا عن سبب مكثنا في هذه البلدة، هل هو رضي بالكفر ومحبة في معاشرة أهله؟ أو هو لغير ذلك؟ وكيف يتصور في أذ هانكم أننا نرضى بالكثر ونحب معاشرة أهلـه وقد غلت أسعارنا وتقطعت صنائعنا وانهدمت حوانيتنا وتعسرت مكاسبنا، وحفرت مقابرنا ونبشت ضرائح أوليائنا، وما حصلت هذه الأشياء إلا بسبب دخوله. فأي عزلنا في هذه الأشياء حتى نرضى بها؟ كماذكرتم وقلتم: «ان النفوس إذا ألفت العز فلا تحب مفارقته» أبهذه الأشياء عززنا؟ والله الذي لا إله إلا هو نحن إذا أصبحنا لا نريد أن يمسى (الكافر) معنا وإذا أمسينا لا نريد أن يصبح معنا كيف لا؟ ونحن في ضيق عيشة وجهد جهيد، ولكن لا قدرة لنا على دفعه... فحينئذ عدم ارتحالنا انما هو لعجزنا ولنبين لكم الآن سبب عجزنا، فنقول: انكم نصبتم المناظرة مع العلماء والطلبة فلنبدأ بهم فتقول: معلوم عند كل أحد أن الطلبة لا حرفة لهم وانما يكتسبون من

الأحباس كمساجد وأحزاب وآذآن وإمامه، وربما يكون لبعهضم حانوت يبيع ويشتري فيها، ولا تعطله على القراءة، وربما يكون لبعض آخر دار أو بستان تركه له أجداده وربما يموت لهم بعض الناس فيرثونهم. ورأس عمدتهم انما هي في الأحباس وحينئذ فالغني منهم كل الغنى من يملك عشرين دينارا(1)، وثلاثين أو ينقص ذلك بقليل أو يزيد على ذلك بقليل وتكون في خزانته، وحينئذ كيف يتيسر له مع هذه الحالة السفر؟ و «السفر قطعة من العذاب»... هذا في صف الطلبة واما غيرهم من العامة فمنهم من هو ملحق بالطلبة في الفقر ومنهم من لم يلحق بهم، وهم بقية ذوي الأموال، للأن الجل الكثير من ذوى الأموال سافر من هذه البلدة برا وبحرا، شرقا وغربا كما هو مشاهد محسوس لكل أحد. وهذه الباقية اختلفت أسباب تأخرهم عن الارتحال: فمنهم من له عقار يريد أن يبيعها و لم يتيسر له ذلك الى الآن ومنهم من له ديون لم تطب نفسه أن يسافر قبل قبضها ومنهم من له عائلات كثيرة تعلقت برقيته ينتظر الوقت الذي يحصل له تيسر الارتحال فيه وهجرة النبي ﷺ لم تكن في يوم واحد ولا في شهر واحد وانما مع الوقت الذي تيسرت لهم فيه ونحن كذلك فالناس قاطبة على نية الارتحال والخروج كل يتربص وينتظر الوقت الذي يحصل له فيه التيسير هذا حاصل مكثنا في هذه البلدة..»

«ولنختم كلامنا هنا بقول أشهد ان لا إله إلاّ الله وأن محمد رسول الله... ونعترف لدينا بأن عضائمنا عظيمة وكبائرنا كبيرة. وما أصابنا الا بما كسبت أيدينا ونطلبه سبحانه وإن يتوب علينا فيما ارتكبناه وان يسامحنا

(1) قيمة الدينار هنا يمكن أن يكون المقصود بها هو السلطاني الجزائري لأن الدينار في هذه الفترة لم يكن متداولا انما أورده على سبيل التقليد للمؤلفات الفقهية القديمة ويقصد بها السلطاني الذي انخفضت قيمته في بداية عهد الاحتلال لتصبح تسع فرنكان فقط؛ وقد يكون المقصود به هو الريال الذي يصرف في هذه الفترة بحوالي فرنكين ونصف.

ويعفوا عنا بمحض فضله وان يجلى عنا هذا الكافر الذي حل ببلادنا وان لا يمكنه من إذا يتنا لا في أدياننا ولا في أبداننا... ولا حول وقة الا بالله العلي العظيم.

«سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد الله رب العالمين».

2

«ذكر ما كتبه الأمير جوابا عن سؤال قدمه اليه بعض الأعيان من خواصه»[1]

الحمد لله حمدا يوافي نعمه، ويكافيء مزيده وصلى الله على سيدنا محمد وآله ومن تبعه وجرى على منواله.

اللهم أني أعوذ بك من معضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن ونتضرع اليك يا مقلب القلوب أن تشبت قلوبنا على ديننا المحبوب.

أما بعد: يا أخي، فأني رأيتك متعطشا الى سماع ما لأئمتنا من الكلام في هؤلاء الذين ركنوا للعدو، فأحببت أن أذكر لك ما روى عنهم في ذللك... وأعلم أن الراكن الى الكفار الداخل تحت ذمة أهل البوار أحد رجلين: اما رجل كذب الله في ضمانه لرزقه ــ تعوذ بالله من كفره وحمقه ــ وقال: ان هاجرت مت جوعا وازداد بذلك هلوعا واعتقد ان وطنه هو رازقة، لا أن الذي يرزقه هو موجده وخالقه؛ ولما خطر هذا في قلوب جماعة من المؤمنين في زمانه ﷺ بعد أن نزل قوله تعالى أمر بالهجرة «يا عبادي أن أرضي واسعة فإياي فاعبدون» انزل الله قوله «وكأبن من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم» قال المفسرون في هذة الآية

(1) المصدر: محمد بن الأمير عبد القادر «تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر» الاسكندرية 1903. الجزء الأول، ص،ص 441 ــ 422.

وقد نسخ هذا النص في رسالة مستقلة تحمل عنوان: «حسام الدين لقطع شبه المرتدين» وقد فرغ الأمير عبد القادر من وضعها في شهر دي الحجة من عام 1258 (جانفي 1843)، ونشرها د. محمد بن عبد كريم في كتابه. «حكم الهجرة...».

تحريض على الهجرة... واما رجل متكالب على الدنيا أصمه وأعماه حبها يريد الظفر بها سواء كان ذلك بالاسلام أو بالكفر. وكلا هذين الرجلين لا يرجى صلاحهما ولا يؤمل نجاحها «ومن يريد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم»... وهذه الفتنة سنة الله التي قد خلت في عباده، وحكمته الجارية في أرضه وبلاده ليتبين الصادق من المدعيي..

وأعظم هؤلاء ذنبا، وأشدهم هلاكها وأبعدهم نجاة وأكثرهم في هذا الأمر سقوطا واستهلاكا رجلان: أحدهما رجل عرف الحق وعاند وهو أول من تسعر به النار... والآخر رجل قرأ بعض أبواب الفقه فعلم بعض أحكام الصلاة والنكاح والبيوع ظن أنه وصل الى غاية يستحق أن يسمى بها عالما وصار يقول في دين الله ما ليس له به علم ويفتري على الله الكذب... فالحمار أحسن حالا من هذا، جهل الحمار بسيط وجهله مركب... والجهل المركب أصل من أصول الكفر الستة، فجمع هذا الصنف مع قبح ما هم عليه من الدخول تحت ذمة الكفار، استحلوا ما حرم الله من ذلك والمستحل ما حرم الله كافر وجعلوا ما ورد في القرآن والسنة من ذكر الهجرة ومدحها والأمر بها عبثا ومنسوخا لا بكلام الله ولا بكلام الرسول بل بأباطيلهم وتآ ويلهم الآ فكة.. وقد قال عليه الصلاة والسلام «لا تنقطع الهجرة حتى يغلق باب التوبة، ولا تغلق باب التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها» وقال عليه الصلاة والسلام «أنا بريىء من كل مسلم يقيم بين أظهر الكافرين»... وعجز المسلم عن حمل أهله وولده لا يبيح له التخلف عن الهجرة، بل يهاجر بنفسه. وقد هاجر ﷺ بنفسه لما تعذر عليه اخراج أهله معه وما لحقوه الا بعد حين. وكذا إن خاف أن هاجر يسلب ماله، فان مفارقة الوطن أو سلب المال ليس بعذر في ترك الهجرة. نص بذلك صاحب المعيار... ان الضرورات التي تجب المحافظة عليها خمسة: الدين النفس والعقل والنسب والمال فكل واحد من هؤلاء يجب حفظه ما لم يعارضه حفظ ما قبله، فالمال هو آخر المراتب.

وقد بلغني عن هؤلاء الرؤساء الجهال الذين افتوا بغير علم فضلوا وأظلوا... انهم يستدلون بقوله ﷺ لا هجرة بعد الفتح، وهذا الحديث في صحيح البخاري وغيره، ولا حجة لهم فيه لأن النبي ﷺ قاله لسائل سأله عن الهجرة من مكة الى المدينة بعد الفتح فأجابه: بأن الهجرة التي كانت واجبه من مكة الى المدينة قد انقطعت بالفتح ونسخت كما نسخت حرمة رجوع المهاجر الى وطنه ان عاد دار الاسلام. وأما وجوب الهجرة من دار الكفر الى دار الاسلام فهو باق الى طلوع الشمس من مغربها... وكذا يستدلون بقوله تعالى: «الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان» والآية انما وردت فيمن يظفر به الكافر من غير اختيار كالأسير، فإذا حملوه على معصية أو نطق بكفر يسوغ له ذلك لخوف القتل والصبر أجمل، اما كونه متمكنا من القرار، ويبقى تحت حكمهم، فلم يقبل به مسلم. وكذا يستدلون بما ذكره البيضاوي في تفسير قوله تعالى: «قال اجعلني على خزائن الأرض إني حافظ عليـم» فانه قال في الآية دليل على جواز التولية على يد كافر. ولا حجة لهم في هذا، فان البيضاوي قال بعد هذا إذا علم ان لا سبيل الى إقامة الحق وسياسة الخلق الا بالاستظهار به وهذا الشرط معدوم اليوم... إنما يكون ما ذكره البيضاوي على تقدير صحته فيمن كان تحت أسرهم، فإنه يجوز أن يطلب منهم ذلك في التوليه إذ بعض الشيء أهون من بعض.

ومن شنيع حمق هؤلاء وضعف عقولهم ومرض إيمانهم أنهم يسمون طاعتهم للكافر مهادنة! وهل يسوغ لمن له أدنى عقل وتمييزان يتلفظ بهذا؟ كيف؟! وأحكام الكافر وشرائعه وتصرفاته جارية على شريفهم ووضيعهم ويؤدون اليه المغارم ويحملون اثقاله إذا أراد الغزو على المسلمين ويقاتلونهم معه في جماعة عساكره وجيوشه، هذا والله الهذيان الذي لا يعقل. على أن المهادنة خاصة بالامام ونائبه فلا يعقدها سواهما...

وقد اختلفت الأئمة فيمن اسلم ولم يهاجر واقام تحت ذمة الكفار من غير إعانة لهم لا بالنفس ولا بالمال. أما ان

أعانهم بماله طوعا أو كرها بأن أخذوه منه مغرما أو بايعهم أو شاركهم ولو في أقل شيء فقال القاضي ابن الحاج التجيني الأندلسي: من القواعد أن الاعانة بالمال تبيح المال والاعانة بالنفس، تبيح النفس وقال الامام المغيلي في كتاب له سماه «مصابيح الفلاح» أن هؤلاء المؤمنين يعني الذين طلبوا الأمان من الكفار وأمنوهم وأقاموا تحت ذمتهم ودانوا بطاعتهم، تؤخذ أموالهم ويقتلون ولو كانوا يقرأون القرآن. وقال أبو القاسم: والصحيح في مال المسلم المقيم في دار الحرب أنه مباح وأنه لابد لصاحبه وإنما اليد للكافر...

42 ـ «في الأمور السياسية»[1]

السياسة لغة مصدر ساس الرعية يسوسها سياسة إذا أمر فيها ونهى بشرط اصابة الصواب فيهما وتطلق على حسن التدبير وجودة الرأي. وعرفا رسمت بأنها «القانون الموضِوع لرعاية الأداب والمصالح وانتظام الأحوال».

قال في معين الحكام: «والسياسة نوعان سياسة ظالمة، فالشريعة تحرمها وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم وتدفع كثيرا من المظالم وتردع أهل العناد ويتوصل بها الى المقاصد الشرعية.

فالشريعة توجب المصير اليها وهي باب واسع تضل فيه الأفهام وتزل فيه الاقدام وإهماله يضيع الحقوق ويجرىء أهل الفساد ويعين أهل العناد...

وإذا عرف هذا الأصل فاعلم أن جميع مارتبه أئمة الكفر من سياستهم العقلية ــ فنحن في غنى عنه بما أنزل الله تعالى لنا في كتابه المبين وسنه لنا نبيا الصادق الأمين الذي ما ينطق عن الهوى وأثنى عليه تعالى يقول: «وإنك لعلى خلق عظيم» فكان له ﷺ من اعتدال الطبع وكمال العقل مالا يطاق ولا يكيف. والعقول ما أيدتها العصمة الربانية ومالك صحابها التوفيق، وان بلغت ما بلغت من الكمال، لا تخلو عن شوب هوى ودواع نفسانية. فكيف بعقول أضلها الله وأعمى بصائرها عن درك ظاهر العرفان فاعتقدت ألوهية بشر، زعمت أن اليهود، أحقر

(1) المصدر: محمد بن محمد العنابي «السّعي المحمود في نظام الجنود» تقديم وتحقيق د. محمد بن عبد الكريم. الجزائر، 1983 ص 201 وما بعدها.

خلق الله، قتلوه وصلبوه. أني لمن هذه حالهم أن يقفوا على وجه الصواب أو يخرقوا عن دقائق الحكم الحجاب؟! وانما قصارى أمرهم ما قاله الله تعالى: «يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا» فهم على أمر دنياهم يتكادحون ولهوى أنفسهم وحظوظها في نار من الظلم يتهافتون.

والسياسة التي شرعها الله لنا من حدود ومن أجر وأخلاق وآداب، سياسة قصد فيها الى عمارة الدنيا والآخرة تكفل لنا ببيانها، العليم الخبير وشرعها لنا نبينا البشير التذير بيضاء نقية محفوظة بضمان «لا ميدل لكلماته وهو السميع العليم» فأني يرضى من له عقل ودين أن يعدل عن صفوها الى الكدر أو يعتاض عن الدر بالمدر؟! وانما قصارى أمر مارتبوا من ذلك أن يطرق أسماعنا شيء منه له أصل في شرعنا ويترجح عندنا السلوك عليه فتبتدئ العمل به عن نية أخذه من شرعنا لا على قصد اتباعهم فيه فأنه لا يحل لنا ذلك...

واعلم أن مبنى السّياسة الشرعية ثلاثة أمور: اللين وترك الفضاضة، والمشاورة وأن لا يستعمل على الأعمال والولايات راغب فيها ولا طالب لها.

ولما علم الله ما فيها من انتظام الملة واستقامة الأرض، نص عليها سبحانه، ورسوله. وهي أساس الملك. وقل من يعمل بها الا من وفقه الله. فاثنتان نزلتا من السماء وواحدة قالها النبي ﷺ. أما الا لهبة فقال الله تعالى: «فبما رحمة من الله لنت لهم. ولو كنت فظا غليظ القلب لا انفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر». والاشارة الثانية أن قال: «شاورهم في الأمر».

والخصلة الثالثة: ما روى البخارى ومسلم: أن رجلا قال: يا رسول الله استعملني فقال النبي ﷺ «إنا لا نستعمل على عملنا من أراده».

قال الطرطوش: وأعلم أيها الوالي ان الملك بمنزلة رجل فرأسه أنت، قلبه وزيرك ويداه أعوانك ورجلاه رعيتك وروحه عدلك، وما بقي جسد

بلا روح. وإذا أردت ذورة العدل فا علم أن الرعية ثلاثة أنفس: كبير، وصغير، ووسط. فأجعل كبيرهم أبا ووسطهم أخا وصغيرهم ابنا فبرأباك وأكرم أخاك وأرحم ابنك. فانك واصل الى بر الله ورحمته قال الطرطوشي: «واتفق حكماء العرب والعجم على هذه الكلمات فقالوا: الملك بناء والجند أساسه فإذا قوى الأساس دام البناء وان ضعف الأساس انهار البناء فلا سلطان الا بالجند ولا جند الا بمال ولا مال الا بجباية ولا جباية الا بعمارة ولا عمارة لا بالعدل، فصار العدل أساسا لسائر الأساسات» قال الطرطوش: «فالعدل النبوى أن يجمع السلطان الى نفسه حملة العلم، الذين هم حفاظه ورعاته وفقهاؤه وهم الا دلاء على الله والقائمون بأمر الله والحافظون لحدود الله والناصحون لعباد الله»... ففي تعظيمهم (العلماء) وتقريبهم امتثال للأمر الله تعالى وتعظيم لمن أثنى الله عليه. ويجب ترفيع مجالسهم وتمييز مواضععهم عن سواهم قال الله تعالى: «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات» وفيه استمالة قلوب الرعية، وخلوص نياتهم لسلطاتهم واجتماعهم على محبته وتوقيره.

فواجب على السطان أن لا يقطع أمرا دونهم ولا يفصل حكما الا بمشاركتهم لأنه في ملك الله يحكم وفي شريعته يتصرف...

قال الطرطوش: في «باب استيجباء الخراج» «وأعلم أن المال قوة السلطان وعمارة المملكة ولقاحه الأمن ونتاجه العدل وهو حصن السلطان ومادة الملك. والمال أقوى العدد على العدو، وهو ذخيرة الملك وعمارة المملكة وحياة الأرض. ومن حقه أن يؤخذ من حقه ويوضع في حقه ويمنع من سرفه ولا يؤخذ من الرّعية الا ما فضل عن معاشها ومصالحها ثم ينفق ذلك في الوجوه التي يعود عليها نفعها. فيا أيها الملك أحرص كل الحرص على عمارة الأرضين، من جباة الأموال بالرفق ومجانية الخرق فإن العلقة تنال من الدم بغير ايذاء ولا سماع صوت ما تناله البعوضة بلسنعتها وهو صوتها.

قال الطرطوشي: في «باب سيرة السلطان في بيت المال»، وهذا باب سلكت فيه ملوك الطوائف والهند والصين والروم خلاف سيرة الأنبياء والمرسلين والخلفاء الراشدين، فكانت الملوك تدخر الأموال وتحتجبها عن الرعية لتنفقها في يوم كريهة وكانت الرسل والخلفاء، بعدهم، تتذل الأموال ولا تدخرها وتصطنع الرعية وتوسع عليها، وقد علمتم أن جوعه كان أكثر من شبعه وأنه مات ودرعه مرهون في صاع شعير عند يهودي وكذلك الخلفاء الراشدون بعده.

ولم يكن للنبي ﷺ بيت المال ولا للخلفاء الراشدين بعده وانما كانت الخلفاء تقسم الأموال التي جبيت من محلها بين المسلمين، وربما كان يفضل منها فضلات أو يكون للناس عنها غنى في ذلك الوقت فتجعل في بيت فمن حضر من غائب أو احتاج من حاضر قسم له حظه تم تفرق حتى لا يبقى في بيت المال منه درهم...

وقال «الامام رضي الدين السّرخسى» في «المحيط»: «وعلى الامام أن يتقي الله تعالى في صرف الأموال الى مصارفها وايصال الحقوق الى أربابها ولا يسحبها عنهم على ما يرى من تفضيل وتسوية من غير أن يميل في ذلك الى هوى ولا يحل لهم إلا ما يكفيهم ويكفي أعوانهم بالمعروف وان فضل من المال شيء بعد ايصال الحقوق الى أربابها قسموه بين المسلمين، فان قصروا في ذلك وتعدوا كان آلله حسيبا عليهم»... وقدمنا عن الغنيمة أن عمر (رضي) كان يعطيهم على قدر الحاجة والفقه والفضل وان الأخذ به في زماننا أحسن قلت: لكن محله ما إذا كان في بيت المال سعة كما هو ظاهر، والا فليس إلا الكفاية...

43 ـ رسالة الآغة محمد المختار الى الجنرال دولامورسيير[1]

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

حضرة سعادة الجنرال دولامورسيير حاكم كافة العرب غربها وشرقها قبلتها وجرفها، برها وبحرها السلام عليكم ورحمه الله وبركاته وبعد:

بلغنا انك أتيت لوهران بسلامة، الحمد لله على ذلك ونحن بخير وعلى خير البلاد وأهلها على خير. ومن جملة الأخبار...[2] قدموا من جبل العمور بخير وجلبوا معهم سبعة وأربعون رأس من البقر وقيمته ثمانية دراهم عشرة للرأس[3] ومن الغنم خمسمائة وأثنين وثمانين. وجلبوا ثلاثة من الأنعام. وقدموا بخير واستعذر جلول بعدم اتيانه لك في هذا الوقت، وبعد زوال البرد يقدم ويأتي بالبقية على ما زعم. ولابد تعلمنا بالذي تريده في جانبنا، وهل لك قدم لنحيتنا أم لا؟ للأن رعيتك كلها تسأل عن قدومك.

في 17 من ذي الحجة سنة 1260 (28 ديسمبر 1844)
عن إذن آغة محمد المختار وفقه الله

---

(1) المصدر: A.G.V/ 1M 199 الرسالة عبارة عن تقرير غزوة قام بها أعوان الادارة الفرنسية ضد سكان الصحراء الذين لم يعلنوا استسلامهم.

(2) كلمة لم نتبين معناها.

(3) وضحت الترجمة الفرنسية للرسالة قيمة الدرهم الذي ورد فيها والذي يعني به الدورو الذي قيمته خمس فرنكات.

44 ـ حرب القرم في منظور الشاعر الجزائري[1] محمد بن اسماعيل

بسم الله نبـــدا الحلـــة للعاشقيـــن
ببشايـــر الـــنصر يـــذهب كـــل غيـــار
صلوا على النبي محمد ضاوي الجبين
وأرضوا عـلـى أصحابـه جملـة الأبـرار
أدعـــوا بالـــنصر للأمـة المجاهديـــن
الله يـــنصر أمـــة شارق الأنـــوار
أدعوا بالنصر لله يا حضار

يـا كامـل العطـا فرحنـا ببشايـر الـنصر يـا ربـي
تبـرا تـزول هـذا المحنـة علـى المؤمنين يـا مرغوبـي
بجنـد مـن الأملاكـي أنصرنـا واهـزم جـيش قـوم الـرهب
أنصر جــــيش الاسلام يالمصطفـــى حبيـــبك
أمـــة شفيـــع الأنـــام عزمـــوا لـــنصر ديـــنك
الاسلام جـــات ويـــدان مـــن كـــل فبـــج خمـــلت
والمسكـــو بحـــردان مـــن جيشنـــا نذللـــو
شافـوا الكـل جهـة عسكـر مثـلا حقيـن
الاكـــراد والعجـــم والجـــيش والأحـــرار
سلطـــان جـــيش الاسلام فزوعـــو تويـــن
بخـلاف عساكـره مـا يحصيـه عبـار

....

الاسلام عولـو علـى الزدمـة حمـى طرادهـم وانضبطـوا
حتـى النهـار ولـي ظلمـة دخـان والغبـار تخلطـو
المسكـوا للعيـن يحلـل على الصلح ما جبر له حيله
لفـرنسا أبـعث يحلـل قالـوا القـوانصة[2] بالجملـة
السلطـان ماهـوش كـلأول علـى الطـراد مـا لـه غفلـة
أنت نـويت فـي القـوة وحمـلت بالغـزارة

---

(1) المصدر: من نظم الشاعر محمد بن أسماعيل، نشرها وترجمتها الى الفرنسية محمد بن أبي شنب. الجزائر 1908.
(2) القناصل.

تدهـــــم على اصصطنبــــول وتجور للـــــــــــنصارى
تأخـــــذ البر مقفـــــول اليمين والسيــــــــــارة
ساعــة حصلت في يديــن رجـــال محزمين
سلطـــان جيـش الاسلام سقـــاك مــــرار
مض للك العساكــــر ألــــوف التالـــنين
خــــذى كـــثير الأرض وبلـــدان كبـــار

أنصر عــلام عيــدك أمير المؤمـــنين عبــد المجيــد نــاصر ديــن المختـــر
قامــوا · جنـود الاسلام معـه مسبـلين في نصر ديـن ربي تفنـى الأعمــار
ليـــيك قـــالت أهـــل السنـــة يـــا مـــالك الزمـــان الارشد
أنت صاحب الأمانـــــــــة وأنت خليفـــــة المجّـــــد
بـــــالله وبالــــرسول آمنــــا وبطاعـــــــــه الأمير المرشد
بجاه كل مقبــــــــــول يـــــا مـــنتهي رجانـــــا
ستــــرك على اسطنبــــول يـــــا عـــلام الخفيـــــة
جــــيش للـــعين مذلــــول يعطـــــو لها الجزيــــة

في البر والبحــــر مـــــنصورة الاسلام كلهـــــم اتفقــــوا
وطـــراد في البحـــر هثـــاره حتـــى سفـــن منهم غرقـــو
الاسلام زاهيـــــــة مسرارة ديـن النبـي وقـف عـن ساقـه

يـــــاد ايم البقـــــاء والأحسان بـــاسمك ذو الجلال ومفـــرد
بـــرضاك على نبــيك سليمـــان سخـــرت حديـــد لـــــداوود
أنصر عساكـــر أهـــل الايمان ورسخ أحكـــام عبـــد الماجــد

«التهاني والبشائر بدخول نابليون للجزائر»(1)

نظمـــــي يـــــا بشائـــــر سلطـــــان جانـــــا زايـــــر
فـــرحت بـــه نـــاس الجزائـــر قالـــوا سعدنـــا بمجيـــه
نطلب الأنبرور الدنيا تسعد اليه
راه ألحـــــق وقت الصبـــــاح والنـــــاس تشايـــــع بانفـــــراج
القـــــاوة زهـــــو والانشراح وقلـــو بهـــا تفـــرح بـــه
نطلب لسيد الانبرور الدنيا تسعد به
سلـــــم عليهـــــم بالتمـــــام الكـــل عمـــل لهـــم المقـــام
وجهـــه يفتـــح كالـــورد نـــام الـــــي يشوفـــــو يبغيـــه
نطلب السيد الأنبرور والدينا تسعد به
ضوّا علـــى الجزائـــر كالبـــدر فـــي وقت فـــي نصف الشهـــر
قُبـــالتْ الأمـــة مشتهـــر وانجومـــوا دايريـــن بـــه
نطلب لسيد الانبرور والدنيا تسعد به
بـــاي تـــونس راه سعيـــد ألحـــق معـــه وقت التّبريـــد
رسَّ بـــرًّا باقـــي بعيـــد راه مستنـــــا فيـــــه
نطلب لسيد الأنبرور والندنيا تسعد به
رعيتـــو جـــاوه فارحيـــن بقبايـــل وأعـــراب راحليـــن
وهـــران وقسنطينـــة أثنيـــن كلهـــم فرحـــوا لمجيـــه
نطلب لسيد الأنبرور والدنيا تسعد به
لألّتنـــا طلـــعت للجنـــان ضياهـــا قمـــرة راهـــي تبـــان
معهـــا طلـــعت نـــاس الأعيـــان معهـــا فطـــر وافيـــه
نطلب لسيد الأنبرور والدنيا تسعد به

---

(1) قصيدة نظمها الشاعر محمد الوناس تحية لنابليون الثالث عند زيارته للجزائر سنة 1865 وتضم القصيدة التي طبعت في الجزائر 122 بيتا. وقد شكر نابليون الشاعر برسالة هذا نصها: «سيدي إن سعادة الأنبرور قبل بفرح وسرور القصيدة التي نظمتها باللغة العربية مضمنة حكاية سفره الى الديار الجزائرية. وهو كلفني أن نشكر على لسانه فضلك الجزيل. والسلام».

في الليل عول على السفر وأركب وامشي قبل الفجر
ما شافو حد حاضر قمرة في سحاب مشبه
نطلب لسيد الانبرور والدنيا تسعد به
ما عرفناش كيفاش راح مافقنا حتى الصباح
خلا خير وأشيا كثير حسن على الفقير والضرير
يدعو عليه بكل خير ربي هو يكفيه
نطلب لسيد الأنبرور والدنيا تسعد به
نطلب ربي يفتكرو يجينا ويجب البدر
تعود الجزائر تشتهر دايم تستفخر به
نطلب لسيد الأنبرور والدنيا تسعد به

46 ـ رسالة الحاج محمد المقراني الى قائد أولاد بليل(1)

الحمد وحده وصلى الله على سيدنا محمد

يبد السيد محمد بن منصور قايد أولاد بليل تبلغ ان شاء الله آمين. الى الأفضلين الأجلين، أحبابنا أولهم: السيد محمد بن الخوجة والسيد مبارك بن عبد العزيز والسيد محمد محمد بن أشناف والسيد محمد بن منصور وكافة، السلام عليكم ورحمه الله وبركاته ان كنتم بخير فلله الحمد الجميل وله الشكر الوافر الجزيل. وأن سألتم عنا اننا بخير وعلى خير ولالنا سؤال الا عنكم وعن كلية أحوالكم التي هي غاية المنا والمراد وبعد:

أيه الأحباب، ان الدين لنا ولكم وواجب علينا وعليكم نصره ولَمَّا أن شرعنا في الدين، علمتكم وعلمك أخانا السيد أحمد بومزراق بأمر نصح الدين، وكنا نظن عدم الخلاف منكم وأنتم الناصرون لنا، فإذا بكم عدلتم عن الاسلام وشرعتم في أخذ الناس وحرق ديارهم مع أنهم في طاعة الله ورسوله.

والان أنني أتيتكم في هذا اليوم للانجز حرق الديار فقط ولا في قلبي أخذ شيىء من مال الدنيا، ولو قصدت ذلك لفعلته ليلا بلا فخر وذلك مني مقابلة بمن فعل بي ذلك من المسلمين لئلا يظنون الكفار اننا عاجزين. وقدموا الشوافة وداروا بدواركم وتلاقو مع شوفكم ليلا وتضاربوا بالبارود...

---

(1) المصدر: عن د. يحي بوعزيز «ثورة 1871. دور عائلتي المقراني والحداد» الجزائر 1978، ص 370.

ورجعت حين بلغت مقصودي فتبعتم أثرنا وتجاسرتم علينا حتى ظن من معنا ومن معكم، أننا عاجزين عن دفع الضرر على أنفسنا وصار من معنا يعايرنا و لم ترجعوا، اعتمدنا على الله وعليه تولكنا حتى حكم الله بيننا وهو خير الحاكمين. فحكم الله باق ماكث لا محالة ولا أقصده في جميع المسلمين خصوصا أمثالكم. وللآن حكم الله لا ينقضه أحد فمن مات ولا يؤخر عن أجله دقيقة ولا يتقدم. ومن مُسك أنه عندنا وهو المسعود بن عمر ودحمان بن الكافي وعمر بن أحمد الشيخ والسعيد بن نعقبت وقطيش وأحمد واعمر إنهم عندي.

والآن تعبيري أن أعلمكم وترجعوا للدين المحمدي فكيف يا عجبا من سطيف الى بجاية والسواحل جميعا ومن باتنة الى عندكم وبقيتم سوى أنتم. مرادنا منكم أن تكونوا في عون المسلمين يعنكم الله ما فارقت قلوبكم الاسلام. فغدا إن شاء الله ننتظر جوابكم ويبدل الله الشر بالخير ونسرّح رجالكم والسلام بأمر أمير المؤمنين السيد الحاج بن الحاج أحمد المقراني أمنه الله آمين.

47 ـ عرض حال سي عزيز بن الشيخ الحداد[1]

... أن السبب الذي دفعنا الى الدخول في مجابهة مع حكومة فرنسا هو السياسة التي اتبعها الجنرال أوجيرو. فهذا المسؤوال، كان القائد الأعلى في سطيف لمدة طويلة. وهو يعرف جيدا وَضعية الَصفوف التي كانت سائدة بين القبائل... وفي أثناء قيادته لم يحصل الناس على ترضية لمطالبهم المشروعة لقد كان يميل كثيرا الى دعم صف ويهمل صفا آخر تماما.

ومن بين الوقائع من هذا النوع، والذي كنت شاهدا عليها، هو أننا نحن أفراد عائلة الشيخ الحداد، قد انجررْنا ورائه وهو ما نجم عنه ضياع حقوقنا كما أوضح ذلك فيما بعد...

وفي مقدمتها أنه وضع توقيعه على وثيقة جاء فيها انه لن يقبل ولن يستطيع تحمل النظام المدني وقد تعهد وأقسم على أنه لن يخدمه.

وثانيا: لقد كتب الى الامبراطور، عقد أواخر عام 1870 رسالة وقعها هو مع حوالي أربعة وعشرون قايدا ورئيسا من بينهم الباشاغا المقراني وباشاغا شلاطة[2] وأصدقائهما المعروفين جيدا لدي أولئك الذين أمروا بطبع هذه الرسالة ونشرها في المبشر[3]. لقد أعلنوا في هذه

---

(1) المصدر: Si Aziz ben Mohamed Ameziane «mémoire d'un accusé» Constantine 1873 إن القارىء يجب عليه أن يأخذ بعين الاعتبار الظروف التي كتب فيها عرض حال هذا، والذي أعده سي عزيز للدفاع عن نفسه أمام المحكمة، ورغبة قسم من المستوطنين الفرنسيين في تحويل محاكمة سي عزيز وثوار 1871 الى محاكمة للنظام العسكري في نفس الوقت.

(2) ابن علي شريف.

(3) جريدة تصدر بالعربية والفرنسية تتضمن الأخبار الرسمية والاعلانات الشرعية تشرف عليها الولاية العامة.

الرسالة عن استعدادهم لمساعدته (الامبراطور) بوسائل ثلاثة: بأشخاصهم، وبالرجال الذين تحت قيادتهم وبثرواتهم، ولم يفعلوا ذلك مع المجلس الجمهوري...

وعند هذا بدأوا في جذب الناس إليهم ليشاركوهم في غدرهم، لكي يصبح كل العرب خارجين عن الطاعة مما سيؤدي الى إشغال الحكومة بدفع أضرار هؤلاء (أي العرب) واهمال ضررهم (أي المحرضون) وهذا الموقف كان نتيجة للرسالة التي بعثوها للأمبراطور وبسبب خلعه أيضا. ولقد قرر الذهاب والمغاردة (الجنرال أوجيرو)، منذ اليوم الذي استولى فيه المجلس الجمهوري على الحكم.

لقد كان المتولون من الأهالي يرددون أمام كل الناس بأن «السلطة العسكرية هي التي ستعود الى إدارة أمورنا والا سنحمل السلاح قبلكم أو معكم في نفس الوقت، نحن بأنفسنا ومع أولادنا وأتباعنا مضحين با ملاكنا التي تزيد كثيرا عن ممتلكاتكم» هاته هي أعمالهم وهذه هي أقوالهم التي نحن شاهدون عليها...

لقد كانت السنتهم طويلة لنقد وتوبيخ الحكومة، أمام كل العرب في مجالسهم الخاصة والعامة. لقد كانوا يرددون بكون الحكومة ضعيفة وبأنه لا يجب الوثوق فيها. لقد كانوا يظهرون عدائهم لها، بحمل أسلحتهم أمام أعين قبائلهم، وقد أدى ذلك الى اضطراب قلوب العرب بأعمالهم وأقوالهم، لأنه في السابق لم تكن لديهم أية فكرة عن احتمال كون الحكومة ضعيفة ولم يكن يدور بخلدهم أبدا الدخول في صراع ضدها.

لقد عاقبت حكومة فرنسا دائما الشعب العربي بالسجن وبالغرامة عندما يخالف الأوامر والممنوعات التي يقررها حكامه... وهذا منذ اليوم التي استقرت فيه الحكومة هنا، منذ الآن أثنين وأربعين سنة وهكذا كانت تسير الأمور...

أما بالنسبة لنا نحن، فاننا لم نقترف ذنبا، لأننا لم نخطر من طرف السلطة، بخلع قيادنا، وكنا نجهل بكونه يجب تجنبهم ورفض سماع كلامهم ومخالفه أوامرهم. ولذا فانه من المفروض بالنسبة للرجال العقلاء أن يدركوا بكون المسببين في عصيان 1871 هم الممثلون للسلطة الذين خدعوا الحكومة وشعبها وليس الشعب نفسه. فكل هذا ما هو الا خدعه دبرها أولئك الذين يتولون الوظائف ولقد تصبوا شركا للناس ليبعدوهم عن الحكومة. والى ذلك يعود السبب في كونهم قد نحوا بأشخاصهم من غضب الحكومة الذي تحول كلية ضد جموع الشعب. ولو أن الناس لم تحمل السلاح لمحاربتها (الحكومة) فان غضبها كان سيتوجه أول ما يتوجه الى أصحاب الوظائف من المتولين وهذا لأسباب كثيرة...

القسم الثاني

1872 ـ 1914

48 ـ رسالة شيخ قبيلة الى عضو في البرلمان الفرنسي[1]

بعد السلام اللائق بمقامكم الرفيع، نعلمكم بما يلي:

لقد استلمت المظروف، ووجدت فيه رسالة مسطرة بخط يدكم وكذلك الخطب التي القيت في الجمعية الكبيرة (البرلمان). ومهما كانت وجهة النظر المؤلمة، التي لهؤلاء النواب (نواب المعمرين) حول مستوى ذكائنا وحول براعة مترجمكم، فقد تمكنت بفضل واحد من هؤلاء الأخيرين ليس فقط من فهم المحتوى العام للنقاش الذي جرى وانما أيضااستشفاف الآراء الشخصية لكل واحد من هؤلاء الخطباء.

ونزولا عند الرغبة التي عبرتم عنها، فإني سأوافيكم بالانطباع الذي خرجت به من هذا النقاش، كما أنني سأعرض عليكم وجهة نظري المتواضعة حول السيطرة الفرنسية في إفريقيا. فالله يشهد أني سوف لن أخط على هذه الورقة سوى الحقائق التي تعبر عن الشعور العام عند الأغلبية من مواطنيا. وقبل أن أدخل في صلب الموضوع فالله يحتم على التوجه بالتقدير والاعتراف العميق لهذه الجماعة الموقرة (البرلمان) للتصويت الذي أصدرته. فصوتها المدوي قد عبر البحر الذي يفصل بلدنا عن فرنسا وتردد كالبشري في سهولنا ووديانا ومن على جبالنا.

---

(1) Lettre d'un chef de tribu à un membre de l'Assemblée Nationale - Réponses aux discours dans les séances du 22 - 23 novembre 1872 par les Députés d'Alger. Paris, 1872. 16 p.

لقد أعلنت للمسلمين رعايا فرنسا، بأن لها ثقة فيهم وأني أستطيع أن أجزم بكونهم سيكونون أهلا لهذه الثقة فالحمد لله على انك جمعت القلوب النبيلة، لعبادك في رباط واحد، مهما كانت عقيدتهم ولغتهم وبلادهم.

لقد قال أحد علمائنا: «ان الله سمح بوجود أديان شتى، والسعيد من أتباعها، الذي يفعل الخير». أني سأحاول الآن الاجابة على الأسئلة التي وجهتموها لي، متبعا بقدر الامكان العرض الذي قدمه ثواب الجزائر ورأيهم في المسلمين الذين هم تحت حكم فرنسا.

إن هؤلاء الممثلين الكرام، يعتقدون أن مصلحة فرنسا تستلزم طرد المسلمين من المجالس العامة(1)، التي لا نخلط بينها وبين المجالس البلدية. ألم يكن لدينا منذ قرون، جماعة العرش، وجماعة القبيلة وجماعة الوطن أو العائلات، التي تماثل، تحت تسمية مختلفة، المجلس البلدي والمجلس العام في العمالة، عندكم.

ليس من صلاحيتي هنا، مناقشة موضوع ما إذا كان وجود الأعيان المسلين في المجالس العامة مفيدا أو غير مفيد، بالنسبة لمصلحة الشعبين، أو فيما إذا كان ذلك مرغوب فيه بالنسبة لطرف ومثارا للخوف بالنسبة للآخر. فهذا الموضوع قد حسمته الحكومة الفرنسية: فالأعيان المسلمون هم الآن يجلسون الى جانب الفرنسين في المجالس العامة. فمحاولة سحب هذا الحق منا الآن أو هذه المسؤولية الخطيرة، سيكون تعبيرا عن عدم الثقة فينا. ولقد أبت الجمعية، حماها الله، أن قوصمنا بهذه الاهانة وهي في مسلكها هذا، قد سارت على طريق الحكمة والعدل.

(1) مجالس العمالات الثلاثة.

حسب بعض الخطباء في الجمعية، فان فرنسا من حقها أن تتشكك في حقيقة الاخلاص ووفاء المسلمين سكان الجزائر، خاصة منذ الثورة الأخيرة[1].

أنني استطيع أن أخط هنا، هاته الأحداث بتفاصيل أوسع وأدق: أسباب تمرد القبائل العربية والقبائلية الأخير، والتي أوردها القائد المشرف، الذي هزم المتمردين، كما عددت هاته الأسباب في رحاب الجمعية ذاتها. وإنني بعيد عن التفكير في كون الذين شاركوا في التمرد كانوا على حق، إذ أنني متمسك في كونهم مذنبين، ذلك أن ديننا لا يقر تمرد المسلمين ضد فرنسا، بل على العكس فهو يطالبهم بالطاعة والاستسلام. فالمفسرون الأكثر ثقة، في الاسلام هم صريحين بهذا الخصوص. لقد وضعوا مباىء مستندة على كلام الله التي يجب أن تكون القاعدة التي يسترشد بها المسلمون في علاقاتهم بالمسيحين. وأنني أستطيع أن أملي مجلدا من الشواهد المستقاة من نصوصهم، غير أني سأعمد فقط، الى تلخيص محتواها العام «فالمسلمون يجب أن ينفذوا بدقة شروط المعاهدات التي يبرمونها مع المسيحين» و «قتل المسيحين في غير معركة أو براز هي جريمة، مثلها مثل قتل المسلم» «ان شعبا مسلما يجب أن يقاوم بقدر المستطاع سيطرة شعب مسيحي عليه ولكن عندما يتأكد بكون الاستمرار في المقاومة سوف لن تسفر سوى عن الخراب والمزيد من إراقة الدماء هدرا، ففي هذه الحالة يجب عليه أن يستسلم ويرضخ لسيطرة الشعب المسيحي عليه وخدمته بإخلاص: ففي هذه الحالة فخيانة الحكومة المسيحية هي ذنبا مثل خيانة حكومة مسلمة» «ان ثورة المسلمين لن تصبح واجبا إلا إذا كان الشعب المسيطر، مسيحيا كان أم وثنيا يريد اجباره على التخلي عن دينه أو أظهر عدم احترام شعائره ففي هذه الحالة يتحتم عليه أن يختار الموت بدل الاستسلام...»

(1) ثورة 1871.

عاقبوا المذنبين إذن، ولكن لا تستخلصوا من أخطائهم بأن كل المسلمين خونة وبأن دينهم يدفعهم الى الغدر.

إن عضوا آخر في الجميعة قد زعم ان العرب يتوقعون، دائما الفرصة المواتية لطرد الفرنسيين من الجزائر، ان زعما مثل هذا يعتبر اننا مجردين من الاحساس ويفترض جهلنا للمبادىء الأولية للسياسة ولتاريخ الشعوب.

كيف؟! فبالرغم من الصراع الشديد الذي خاضه ضد كل المسيحية والحروب الداخلية التي كانت تمزقه، ومع ذلك فقد استطاع الاسلام الابقاء على سيطرته في اسبانيا مدة قرابة ثمانية قرون وهل معني ذلك نسمح لأنفسنا بأن تستهوينا فكرة تخلي فرنسا على الجزائر غداة احتلالها، في الوقت الذي تبرهن لنا فيه وللمرة المائة بأنه على الرغم من الكوارث التي قد تتعرض لها تستطيع دائما ان تصفف كتائب لا تقهر امام كل مقاتلنيا مجتمعين، وحتى لو ان فرنسا ــ جعلها الله في منأى من كل محنة جديدة ــ أُجْبرت على التخلي عن الجزائر فهذا لا يمكن له أن يحدث الا بفعل تدخل من طرف دولة مسيحية أخرى، واننا نعرف هذا، والذي نعرفه أكثر هو انه من بين كل الغزاة، فالذي سيطرته تكون أقل وطأة هي فرنسا، هذه هي الحقيقة.

لقد اتهم القادة العرب أيضا، بكونهم لم يساهموا في الحرب التي خاضتها فرنسا ضد ألمانيا واستخلص من ذلك انه عند المسلمين فالشعب كان أفضل من الأعيان... واعتقد أن القادة العرب قد تصرفوا في هذا الظرف بتبصر وحكمة لقد اعتقدوا أن وجودهم في البلاد حيث يباشرون مهامهم، يكون ذلك أكثر نفعا لفرنسا من وجودهم في ساحة القتال حيث لن يكون لشخصياتهم أي تأثير. إنكم معجبون، وأنتم على حق في ذلك، من شجاعة ابنائنا الذين اقتسموا المخاطر مع جنودكم الشجعان والموت معهم بشرف...

وبخصوص الرؤساء العرب، اسمحوا لي بأن أبدى بعض الملاحظات التي تندرج على كل حال ضمن سياقَ الأسئلة التي وجهتموها الى... وهل

عندما يصبح صديقا لا يمثل أية فائدة بالنسبة لكم، يحتم ذلك عليكم نسيان الخدمات التي قدمها اليكم والتخلي عنه؟ أو ليس اتفاقكم مع هؤلاء هو الذي أدى الى خضوع القبائل التي كانت تتبعهم؟ ألم يشاركوا في الجهد الطويل الذي بذلتموه ضد عبد القادر أو لم ينظموا البلاد ويحكموها في الوقت الذي لم تكونوا أنتم أنفسكم قادرين على ذلك؟ أو لم يمت كثير منهم وهم يؤدون خدماتهم اليكم؟ واذا ما اقترفوا تجاوزات ومظالم ضد محكوميهم فأن خيامهم كانت مفتوحة دائما أمام ضيوف الله والمرتب الذي يتقاضونه منكم هل يمثل حتى العشر من المصاريف التي تفرضها عليهم كرم الضيافة والصدقات؟...

أرجو من آلله أن يحفظنا من الجرأة للرد على سؤالكم حول: «ما هي الحكومة التي تفضلوها، هل الحكومة المدنية أم العسكرية؟»، ان صاحب الخيمة هو الذي يجب عليه أن يختار الخادم الذي يوكل اليه حراستها، وإن الرّبان هو الذي يتحتم عليه قيادة سفينته. وكل ما استطيع قوله بهذا الخصوص هو أنه في الجهة التي لا تخشون حدوث عصيان مفاجيء والتي يوجد بها عدد كبير من المسيحيين يشتغلون بالزراعة تستطيعوا أن تحتفظوا بأعوان مدنيين. ولكن في الجهات التي لا يسكنها الا المسلمون، واحتمال حدوث عصيان وارد بالنسبة لها ففي هاته الجهات احتفظوا بالعسكريين الذين هم في نفس الوقت محاربين وإداريين وقضاة. ولقد رأيناهم وهم يؤدون مهامهم، ففيما عدا النقص الذي هو من طبيعة البشر فإننا نعتبرهم أكفاءا وأهلا لحكمنا...

إنني أرغب واسمح لنفس في أن أتوجه إليكم بدوري، بطلب؛ ففي آحاديثنا الخاصة التي تدور بين القادة العرب، خدام فرنسا المخلصين، نتكلم كثيرا عن اختيار القضاة الذين هم يشغلون في المجتمع الاسلامي مكانة، إن لم تكن موصوفة، فهي على الأقل هامة جدا، حيث أنهم ملزمون بمعرفة قوانيننا الدينية والمدنية والسهر على تطبيقها بدقة، ونتسائل لماذا تقوم حكومة

فرنسا باختيارهم وتسميتهم هي بنفسها، متحملة بذلك مسؤولية ما يرتكبه هؤلاء من المظالم والتجاوزات يوميا مُجْلبين بسلوكهم هذا معرة للاسلام؟ لماذا لا تتركوا اختيار هؤلاء القضاة للقبائل نفسها والتي ستكون في هذه الحالة مسؤولة وحدها عن الاختيار الذي قامت به؟ ان القاضي عندكم يتمثل في المحكمة المكونة من قضاة نزهاء والذين يطبقون القانون الفرنسي الذي تعلمنا احترامه، فالمسلمون الغير راضيين عن قضاتهم يستطيعون التوجه في القضايا المدنية الى محاكمكم أما القضايا الدينية والتي تتضمن كذلك الزواج والطلاق، فلماذا تقحمون أنفسكم حتى بطريقة غير مباشرة؟ وأنني استطيع أن أقول لكم بأنّنا جد مندهشين عند مانرى أنكم تهتمون بعقيدتنا أكثر من اهتمامكم، على ما يبدو، بعقيدتكم....

وبقي لي أن أرُد على اقتراح أعلنه أحد الخطباء المشرفين في الجمعية وحسب رأيه أنه لا يوجد، كما لا يجوز أن يكون هناك تنافر بين الشعب العربي والمعمرين الأوربيين. وللأسف فإن تأكيد قول مثل هذا يعني النظر الى الوقع بمنظار ما هو مرغوب أن يكون عليه وليس كما هو في الواقع.

نعم، هناك تنافر وهو ليس مصدره لا الحقد ولا التباين في الجنس والاختلاف في الدين فهذا التنافر هو نتيجة طبيعية ومنطقية لتواجد شعبين جنبا الى جنب في افريقيا. ان نظرة الى الماضي تبدو لي ضرورية لأشرح لكم وجهة نظري.

اننا منذ قرون نملك أو نستغل أرضى الجزائر كلها، وعندما احتليتم البلاد وعدتمونا باحترام أملاكنا. وبعدما وضعتم أيديكم على أرض البايلك وكان هذا من حقكم، ووضعتم عليها معمرين أوروبينن. ثم عندما زاد عدد هؤلاء عمدتم الى تنصيبهم على الأرضي التي كان لنا فيها حق الاستغلال والانتفاع. وعندما كنا نعبر لرؤساء المكاتب العربية عن المخاوف التي كانت تساورنا بإزدياد عدد هؤلاء المعمرين فان هؤلاء الضباط الذين كانوا اخواننا

في السلاح كانوا يطمئنونا مؤكدين لنا أن هؤلاء، سوف لن يتوغلوا أكثر في داخل البلاد واننا لن نجرد أبد من الأراضي التي كان يحرثها آباؤنا. ان شفقتهم علينا دفعتهم الى تضليلنا أو ربما كانوا هم أنفسم مضللين. وليس في هذا اتهام ضدهم وانما وضع شاهدته، بحيث انه كل يوم يمر تحدث هناك اعتداءات وتجاوزات ضد حقنا في الانتفاع وضد أملاكنا وكل يوم تجدد لنا التأكيدات باحترام هذين الحقين، فكيف لا تتولد الريبة في نفسية العربي أمام التناقض الذي يشاهده بين أفعالكم ووعودكم...

أنني اعتقد أن أمة عظيمة مثل فرنسا، يجب عليها أن لا تعطي الفرصة للتشكك فيها بكونها تريد الوصول الى الهدف بالطرق الملتوية. وتوجد في هذه الدنيا عراقل وعقبات تحتم على القوى تجاوزها بصراحة وحزم، وحالات مقدرة تجبر الضعيف على تقبلها وتحملها بهمة واستسلام. إنكم أنتم الأقوياء وللحقيقة يجب أن أضيف بأنكم أكثر عدل وكرم، فقولوا لنا بصراحة: «تلزمنا أراضي لتوطين مزارعينا عليها وكذلك من أجل الاستفادة من مستعمرتنا وسنضع يدنا أولا على الأرض التي هي لنا بحكم كوننا خلفاء للأتراك والتي كانت في حوزتهم وكذلك على الأراضي التي نصادرها بمقتضى قانون الحرب ثم على قدر توافد المزارعين الفرنسيين الجدد سنشترى منكم الأرض التي اعترفنا لكم بملكيتها اعترافا والذين يرغبون في البقاء بجوار معمرينا عليهم أن يقبلوا نفس الواجبات المنوطة بهم واحترام نفس قوانينهم وعوائدهم» ففي هذه الحالة سنكون على بينة من أمرنا. وبما أن أرض الله واسعة فاننا سنتخذ الموقف الذي سنراه مناسبا، وعلى كل حال فليس لنا حق في الشكوى لأنكم استخدمتم حقكم في الغزو بصراحة ووضوح. ولا يبدو لي خارج الموضوع إذا ما أنهيت الملاحظات السابقة بذكر مثل عربي والذي يلخص رأي المسلمين في ميدان الحكم «أن سيف السلطان يجب أن يكون مسلولا من غمده ويده مفتوحة دائما والكلمة إذا خرجت من فمه لا تعود اليه ابدا....».

49 ـ مخاوف أعوان الادارة من الأهالي من «الحكم المدني»(1)

... ولما انتهى كلامنا في شأن التعريف بأهل الدواير ونسبهم وخدمتهم مع الدولة الفرنسوية، وجب أن نذكر مسألة مهمة ينبغي لسادات فرنسة وحكام الوقت الالتفات اليها وهي: ان مخزن الدواير والزمالة أقبل على الدولة الفرنسوية ودخل اليها كالمخاطر بنفسه فعضدها وكان لها مفتاحا لفتح العمالة الوهرانية وهو أول من دخل اليها وآخر من ثبت معها بدلايل واضحة وبراهين قاطعة مسطرة في دفاترها المحفوظة. فمات من الدواير والزمالة نحو الخمسمائة نسمة ما بين قتيل في ميادين المعركة الملاحقين إخوانهم في القتال، العساكر الفرنسويين، وبين من هجم عليهم الحاج عبد القادر في منزله وقتل أولاده ونسائه وبين أدلة الطرق وأنواع آفات الحروب. وآخر الأمر قطع رأس الجنرال مصطفى بن اسماعيل ويده اليمنى التي كانت تضرب بالسيف على دولة فرنسة. وأولاده اليوم لا اعتناء بهم وقد كان الماريشال بيجو عند ذهابه الى فرنسة قال لنا: يا مخزن الدواير والزمالة انتم خدمتم معنا خدمة لم يشاهد مثلها من أحد ولكم حق ومزايا على دولة فرنسة لأنكم اهرقتم دماكم في طاعتها وساعدتموها في جميع مقاصدها فيأتيكم زمان تتبدّل فيه الأحوال فلابد أن أقسم الأرض بينكم وأملكها لكم، فعليكم بالبنا في المشاتي وكل واحد من عامة مخزن الدواير والزمالة يحُوز أرضا ويتملك فيها على هذا الشرط أعني البناء فاستكثرنا خيره وخير الدولة وشرعنا في البناءات واحياء الأراضي الموات. والآن وقع هرج وقلق في الناس من جانب أملاكهم

---

(1) خاتمة كتاب «الدواير والزّمالة وحركاتهم» لمؤلفه أحمد ولد قادي طبع بوهران سنة 1883.

وهذا ما تشمئز منه النفوس وينكره العقل، لأن عهدنا بالدولة واحدة وان كان وقع تبديل في تصرفاتها المخزنية فلا سبيل لتغيير المعاهدات ولا سيما العقود التي تنعقد في ميادين الحروب فإنها لا تنحل أبدا. كيف بدولة فخيمة ركزت رايتها في أقصى مشارق الأرض ومغاربها. ولم تنقض عهدا أبرمته مع أعدائها فضلا عن أصدقائها ترجع عما وهبت. فمعاذ الله ان يكون هذا.

50 ـ عريضة قدمها بعض أعيان الجزائر للحكومة الفرنسية
أثناء زيارتهم لباريس عام 1878[1]

عرض حال:

المرجو حسن الالتفاته نحو العرب، من رجال الدولة وأوتادها الذين ارتبطنا معهم زمنا طويلا بسلسلتين متبنتين وهما: اختلاط الدماء في مواطن الحروب وتلك عقد ثابتة، واختلاف الأيادي على الطعام وذلك مما يكون بين الأقرباء والعشيرة. فنحن إذن كعيال واحد (يقصد العائلة الواحدة) الحي منا مع الحي منكم والأموات مع بعضها؛ فمن الذي يعرف العظام المختلطة في مقابر القتلا بالمكسيك والايطاليا والبروس وبر الجزائر الا الله تعالى فالمأمول من السادة أن لا ينسونا في رفع المضرة علينا فلنا حق عليهم أن لا يتركوا أمة مشهورة أودعها الله أمانة بأيديهم في زوايا الاهمال، ولهم حق علينا في الطاعة واتباع الأوامر على كل حال. وان ما يحل بالعرب من اتلاف أموالهم وذهاب عقولهم فما هو غَشَامتهم وجهلهم بالأمور الشرعية والقوانين المحكمة، مع أنهم يخافون من الحكم ويتبعون الأوامر. نعم فالشريعة الفرنسوية وان كان في نفسها خالية من الأغواض فجهلهم بأمورها بصعب عليهم الوصول اليها والتوصل بحقوقهم لديها.

---

(1) المصدر: أحمد ولد قادى «الرحلة القادية في مدح فرنسة وتبصير أهل البادية» الجزائر 1878. خلال صيف 1878 استدعت السلطات الفرنسية بعض أعيان الجزائر لحضور حفلات افتتاح معرض باريس العالمي وكان من بين هؤلاء الأعيان أحمد ولد قادي باشاغا فراندة؛ ولقد قام هذا الأخير بتسجيل انطباعاته عن باريس وعن زيارته لهذا المعرض في كراسة طبعها في الجزائر في هاته السنة (1878) ولقد انتهز الوفد الفرصة ليقدم عريضة للحكومة الفرنسية ضمنها بعض المطالب الجزائرية ويبدو أن أحمد ولد قادي هو الذي كان وراء هذه المبادرة.

أولا ــ توسط السماسرة واليهود بالدراهم المتجاوزة الحد.

ثانيا ــ تضييع الوقت بالاطالة والترداد في الآجال والبطالة وترك الأشغال.

ثالثا ــ مصاريف الطريق البعيدة.

ربعا ــ عدم المعرفة بأمور الشريعة وهذا مما يضيع حقوقهم. فلو كان لهم معرفة بطريق الشريعة الفرنسوي لسلكوها آمين. وما الطريق من حيث هي كالحية، من عرفها قتلها ومن لم يعرفها قتلته. فان قلت ولماذا هذا السؤال عن الطريق و لم يتخذ خبيرا لها؟ فأقول: إن سأل عربي مثله فيجده أجهل منه، وما أراهما الا أعْمَى يقود في أعمى كلاهما في حفرة (أي يقعان في حفرة) وان وقع في شبكة السماسرة واليهود الذين يوصلونه ويدلونه على الطريق بظهرون له التصيحة في ربح دعوته لكنه يتركونه في قميص قبل الوقوف لدى الشريعة فلا ينجي من احدى المخطتين.

ومما ينبيء عن تغفل العرب وجهلهم بالأمور ان أحد العرب عليه مال في ذمة اليهودي وكان اليهودي يكرمه ويدخله بيته فعميه ويصميه بالحلاوة والمآكل الّي مارءاها في عمره، فلما قرب أجل الدفع بعث للعربي ورقة يدعيه للحضور أمام الشريعة فرفع العربي الورقة التي جاءته وذهب بها الى صاحبه اليهودي فاعتذر له طالبا منه المهلة ظنا منه كشريعتنا في تجديد الآجل فهون اليهودي الأمر وقال له: ارجع لبلادك لا تخف فان حضوري يكفي عليك ثم لما نودي على اليهودي أجاب قائما والعربي في بيته غاص في غفلته فحكمت عليه الشريعة حكم الغائب ومع هذا لم يعرف كيفية الاعادة ولا المدة المعينة له الى ان جرى عليه حكم البت وبيعت بلاده غبنا. ومثل هذا كثيرا الوقوع فالعرب لو كان لهم علم بالطريق لما ضلوا...

ان بر الجزائر يشتمل على نحو ثلاثة ملايين وزيادة، فعلى تقدير النصف بلغ الى درجة التمدن والنصف متلاصق في أثره مقتد بالأول، فأ٠ا

نرى اليوم العربي كلما شاهد جاره الا فرنجي يحصل من عمله في الحراثة والغراسة ونحو ذلك ما هو أبلغ منه مع ان التراب كالتراب يلزم نفسه بالخدمة مثله في اتخاذ المحراث الافرنجي والالآت المتقنة وهكذا لكل شيء دليل. وانا نَراهم اليوم في زيادة الاتقان وعرفوا الفوائد المتحصلة لهم منها فكانوا مقتصرين في حراثهم على زراعة القمح والشعير وقليل من الفول والحمص لاغير؛ ثم تمادوا إلى غراسة القطن والكتان والبطاطا ونحو ذلك وكنا نرى من قبل جز الغنم بانجيزه العربية فياويح الشاة التي تكتف للجز فالذبح لها أهون لتعذيبها وتمزيق جلدها، والآن استعمل لجز الغنم الكثير منهم، المقص، وهكذا في كل شيء. ولا شك بعد مضي أعوام قليلة يبلغون درجة التمدن كما هو المنى ولا كن ينبغي السياسة لصعوبة تبديل العوايد.

ولا يخفى على عاقل محصولات الجزائر من قمح وشعير وزبدة وبقر وغنم وغلل وأرزاق مما يحصل منه في كل سنة شيء كثير. وهذا كان إذا اعتبرتم الماضي والحال والمستقبل واطلعتم على الدفاتر المحفوظة تنبئكم عن حال العرب كيف كان قبل دخولهم في الحكم العمومي وكيف هم الآن تعلموا خيرهم وشرهم بالزيادة والنقص في مجابيهم (ضرائبهم). فإذا كان هذا، فلا ينبغي للعرب الذي يحصل منهم الفوايد الجزيلة أكثر من غيرهم أن يتأخروا ويتركون في زوايا الاهمال وان كان لم يبلغ الكل لدرجة التمدن، فالالتفات الى الأكثرية حق واجب.

ولا يستبعد ارتقاء العرب في التعليم فقد شاهد الكثير قابلية أولادهم في المدارس بالمدة القليلة. ولكن لا يستقام أمرهم وتصلح أحوالهم حينما سيبلغون هذه المرتبة الخيرية كالافرنج الا بانتخاب رجل من كل عمالة يكون منهم يسمى نائبا عنهم في ديوان المشورة كنواب الفلاحين الأوروبوين ليدفع عنهم المضار المتسلطة عليهم من جهلهم كما أشرنا، ويتكلم في مصالحهم، لأن كل أحد له خبرة بجنسه حتى إذا لم تبق منه فايدة يصرف بعد انتهاء المدة المعينة بالتي هي أحسن ويسمى غيره. أما الدولة لها النظر فيما يعرض

عليها من النواب ان شاءت تبطله أو تبقبه، والعرب يستريحون وتطمئن أنفسهم ينصرفون إذ ذاك في اتقان أعمالهم، وتسعد الرعية وتكثر المجابي ويسهل خلاصها. فعلى هذا المنوال يستحق للدولة الفرنسوية مشاركة الأمة في الأمور كالأوروبويين وتجعل لها طريق للدخول معها في دواوين المشورة ولا يظن فيهم انهم ينفرون معاشرة الأفرنج ويكرهون حدوث القرى في وسط بلادهم المتسعة بل عندهم سرور بمخالطتهم لوجوه شتى، منها وجود ما يحتاج اليه العربي عندهم ومنها الاقتداء بأعمالهم المتقنة في خدمة الأرض كما أشرنا ومنها اجراء المعاملات بينهم بالمراضاة والنصيحة الخيرية لبعضهم البعض، فهم في نعمة شاملة وخير كامل. هذا ما يتعدى على الآخر بخيانة وجسارة حتى لو قيل للعرب الذين طالت عشرتهم مع الافرنج فارضا انهم يفرغون قراهم ويرتحلون من وسطهم لما رضوا لذلك لحسن المعاشرة بينهم وتآلفهم.

لا كن اليوم حل بالعرب مضراة يشكون منها عند حدوث الكوميسيون[1] المتفق على شراء بلادهم بحدوث (إحداث) القـرى والفلاحين الأوروبويين.

أولا ــ تقويم البلاد بالثمن البخس.

ثانيا ــ الوعد الطائل بتنجيز الثمن المشتراة به الأرض.

ثالثا ــ تضييق العرب بأخذ الكثير من أرضهم دون تاويل أو مبالاة لهم.

---

(1) يقصد اللجان التي انبثقت عن قرار مجلس الشيخ المشهور باسم سنتوس كونسولت لعام 1863. والتي مهمتها ضبط وضعية الأراضي الزراعية وغيرها وتمليكها تمليكا شخصيا. لقد اعتبر هذا الجيل من الجزائريين، ان هذه الاجراءات هدفها في الحقيقة هو تجريدهم من أملاكهم باسم القانون.

رابعا ـــ إلزام العرب كراء البلاد الزائدة عن ما يحتاج اليه الكولون بثمن أبلغ من قيمة الشراء لتضبيقهم. أما العرب، يقولون هذا عين الغبن ونوع من الجبر، والكولون يقولون هذا شراء بالمراضاة.

وفي الحقيقة أين المراضاة في ذلك وهم لا يحضرون للبيع ولا يعلمون بما اتفقت عليه الجماعة المعينة لأخذ الأراضي حتى يقول لهم بلادكم احتوى عليها البايلك، ومن المعلوم أن لفظة المراضاة تطلق على رضا الجانبين بحيث أن الشاري يقصد البايع مثلا ويشتري منه بالقيمة المتفق عليها، معا هذا شرط المراضاة والا فما هو الأغبن صريح.

نعم، ومن الناس من هو ضعيف لا يملك غير شيء قليل من الأرض قدر عياله فقط فتدخل في الجملة، تنتزع بلاده من يده ويصيح عاريا من الحراثة التي هي حرفته أبا عن جد ويصير ميتا لم يعتبر، هذا مما يؤدي الى خراب العرب وهرجهم.

فلوا طلعتم أيها السادات على القرى التي حدثت فارطا في وسط العرب فالتأويل لا مضرة فيه للعرب ولا للافرنج، واطعلتم على ما هو حادث الآن لتحقق عندكم صدق كلامنا وعلمتم بالفرق بين من أراد حيازة الدار كلها وطردرب المكان منها وبين من أخذ مسكنا قدر المستقر وأحسن المجاورة(1) وليس ما ذكرناه والقيناه على مسامعكم الشريفة هو كذب وافتراء اتخذناه من رؤوسنا أو سمعناه بالأذن بل شاهدناه عيان كمشاهدتنا لفرنسة. وعجائبها وتقدر على تبينه إن شئتم.

أفلا تكن مصالح العرب الذين عددهم يشمل نحو ثلاثة ملايين تستحق النظر أكثر من مصالح الأورباويين الذين عددهم يشتمل على نحو

(1) إشارة الى السياسة المطبقة في احداث القرى الزراعية الأوروبية قبل عام 1870، والتي اتبعت بعد هذا التاريخ.

المائتين وعشرين ألف. وبأي وجه يحرم التماس النواب منهم للاستشارتهم في المصالح العمومية إن كانوا في ربقة الأخوة والمساواة كما هو الزعم.

هذا ما نعرضه على سادة فرنسة وجمهوريتها المسؤولين من الله عن رعيتها لا محالة، والمطلوب منهم التأمل في جميع ما أشرنا به عليهم، فالشريعة تسمع من أذنين والحق أحق أن يتبع وفي هذا القدر كفاية لمن وعي وسمع.

وبالله سبحانه التوفيق

51 - «في القضاء بالجزائر»[1]

أنني لا أجهل أن عدد الا بأس به من أبناء ملتي، قد يعتبر انه خزيا وعار مديد دنسة على شيء مقدس، والذي تختفي ورائه العديد من المظالم التي يعاني منها مجتمعنا البائس. ان الأغلبية من بينهم وخاصة أولئك الذين يرتفع صياحهم أكثر من غيرهم، يهتمون على الخصوص بالفوائد التي يجنونها بالاصطياد في الماء العكر ويخافون من ضياع هذا المصدر غير أنه الى جانب هؤلاء هناك آخرون الذين لا يمكن التشكك في نواياهم الحسنة والذين يعتقدون بكل اخلاص في علاج أقل حزم من التنديد.

وفي الأيام الأخيرة فان واحدا من هؤلاء الآخيرين المعروفين في مقاطعتي (قسنطينة) بنبلهم ونزاهتهم التامة شاعرا بأنني سوف اتعرض وبدون شك في كتاباتي، لموضوع القضاء الاسلامي، قد ترجاني على أن لا أعطي أسلحة جديدة ضد هيئة القضاة التي أصبحت سمعتها في الحضيض، معترفا في نفس الوقت بأن جل هؤلاء القضاء يدنسون المحاكم.

وأنني آسف جدا بكوني لا استطيع تلبية رغبته بقبول إسدال ستار على جرح من أغور الجروح التي يشتكي منها هذا البلد فهذا يعني التخلي عن واجبي وخيانة الثقة العامة. فالقرآن في كثير من السور منها سورة

---

(1) المصدر: Abdellah, «de la justice en Algerie» Alger 1880. p. 28 السيد عبد الله الذي يبدو انه اسم مستعار هو من أعيان مدينة عزابة، تخرج من الكلية العسكرية الفرنسية سان سير وعمل ضابطا في سلاح الفرسان كتب عدة مقالات في جريدة الأخبار خلال سنوات 1880 — 1883.

المائدة، عند تعرضه لكل من له مسؤولية يمارسها قد قال بالحرف: «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون». كم هم من بين قضاتنا يستطيع التباهي بكونه سيظفر برضا الله والرسول ويكونه لم يفعل شيئا مطلقا يجلب عليه لعنة الكتاب الكريم؟

وما دمنا في موضوع القضاء فأنني أأكد بأنني لا أقول الا الحقيقة ولا شيء سوى الحقيقة.

كثيرا من القضاة وعلى غرار أبناء ملتهم القياد يعمدون الى سلخ الشعب والى امتصاص دمه الى آخر قطرة. وكثيرا ما تنشب بينهم المنافسات والخلافات أثناء ممارستهم المشتركة للسلطة، ولكن سرعان ما يعم الوئام بينهم عندما يتعلق الأمر بواحد من الرعايا المساكين. فالقاضي يكمل، عادة، عملية الابتزاز التي ابتدأها القائد بمهارة. والفرق الوحيد بينهما هو أن الأخير بأكل علانية وفي وضح النهار متحديا بجرأة الرأي العام أما الآخر فهو يوجه ضرباته في الخفاء وهي من شدتها تجعل الضحية يترفح ويستسلم بدون دفاع...

فلنتأمل قليلا في الهيكلة الداخلية لهذه الآلة الثانية المعدة لتفريغ جيوب الانسان البسيط فكل محكمة أو مجلس قضاي يتكون عادة من أشخاص: فالى جانب القاضي هناك باش عادل أو نائب القاضي وعدلين وعون. فالعدلين هما مكلفين عادة بمساعدة القاضي وتوضيح أحكامه عند الضرورة وهما يلتزمان دائما جانب الحذر والتحفظ. فهما لا ينبسان ببنت شفة ولأزمان السكون التام أثناء الجلسات العامة ورأسيهما مطأطأة وعيونهما منصبة على أوراق معروضة أمامهما وهي في أغلب الحالات خالية من كل فائدة ولكنها مفتوحة أمامهما حرصا على الشكليات، فهما يستمعان الى كلام القاضي ببرود عيجب وعيونهما لا ترمش حتى عندما يصدر حكم قد يكون حكما غريبا من نوعه في العالم، وفي تعارض مطلق مع أقوال

سيدي خليل. ولكن في بعض الأحيان تنفلت منهم، غمزة بالعين أو اشارة خفيفة بالرأس عندما تدعو الضرورة الى تذكير رئيسيهما الذي خانته الذاكرة، عرضا، بأن أحد الخصوم يتطلب مراعاة خاصة نظرا للرشوة المعتبرة التي قدمها.

أما لأكثر حذفا ونباهة من بين القضاة المرتشين، فأنهم يحاولون التستر في عملياتهم من اخوانهم، في حدود الامكان. وبما أنه من غير الممكن الاستغناء عن وسيط في ذلك فأنهم يختارون انسانا أجنبيا عن المهنة ويعمدون الى الظهور معه أمام الناس، فالمتقاضون من الأهالي، الذين تعودوا منذ وقت طويل على هذا النوع من المسرحيات سيتعرفون بسرعة على أصدقاء القاضي ويحترزون من التوجه الى غيرهم لعرض رشاواهم وبهذه الطريقة تكون المظاهر محفوظة.

وإذا ما انتاب السلطة العليا «قلة الذوق» وأرادت الاطلاع عن قرب على أعمال القاضي فانهالن تستطيع تبين الحقيقة الا بصعوبة، ولن تعثر في أفضل الظروف الا على بعض التجاوزات اقترفت من طرف أشخاص عاديين ليست لهم أية صفة رسمية ولا وظيفة يتحملون تبعيتها. فالزواج والطلاق وتقسيم التركات هي بمثابة مناجم للذهب بالنسبة لقضاتنا.

فالشخصية الأكثر أهمية التي تأتي بعد القاضي، أن لم تكن بحكم الوظيفة فعلى الأقل بحكم تعدد مهامها، هي شخصية العون أي البواب أو الحاجب... فالعون، ــ وليس هذا هو الجانب العجيب في هذا القضاء الغريب ــ يقوم في بعض الأحيان بوظيفة المحامي الشبه الرسمي للمدعي الغائب فالشائعات تؤكد بأنه غالبا ما ينجح في كسب القضايا التي هي في نظر رجل القانون الأكثر دهاءا قضايا خاسرة....

ان الحب العميق الذي أكنه لبلدي بالتبني (فرنسا) والأواصر التي تجمعني بأبناء ملتي لا تسمح لي باخفاء العلل التي تنهش جسم المنظومة

القضائية الجزائرية وأنني أرجو أن لا تحمل صراحتي محملا سيئا. وسيسعدني أن أرى بكوني قد أسهمت بقدر مهما كان ضئيلا، في لفت أنضار حكامنا الى هذه المسألة الحساسة.

52 ـ افتتاحية جريدة المنتخب[1]

الى كافة اخواننا من الفرنصرية والعرب نخبركم انه لما اضطربت أحوال الفلاحين بإفريقيا عند ذهاب الجيش الفرنصاوي نحو تونس تبين لنا أنه لا ضرر باختراع جرنال...[2] كل جنس وكل دين وكل مذهب له رأيه والتمدن أخذ عوض الراية جرنالا. وهو عبارة عن ملخص حقيقي يعبر به عما في ضمير العامة، فحينئذ هم جماعة من مسلمي قسنطينة ومن اعيانها باختراع جرنال متحققون بسبب حدوثه النيل الجزيل لفرانصة ولفلاحي بر الجزائر. ولا شك ان فايدته للفرانصوية عظيمة لا يضاحه للمسائل المهمة التي تشغل عن حق بال الجرنالات الفرنصوية التي لا تعرف عنها الا النزر اليسير[3]، ويكون للدولة رايدا يعلمها بالأحوال

---

(1) المنتخب، العدد (1) 28 أفريل 1882، المنتخب جريدة أسبوعية تصدر كل يوم أحد باللغة الفرنسية والعربية والمقالات العربية هي ترجمة للمقالات الفرنسية وقد استمرت في الصدور حتى العدد 40 الذي ظهر يوم 21 جانفي 1883. وهذه المجموعة محفوظة في المكتبة الوطنية الفرنسية في قسم الدوريات بفرساي تحت رقم 4646. حول هذه الجريدة راجع د. محمد ناصر «الصحف العربية الجزائرية 1847 ــ 1939» الجزائر 1980 وللمزيد من التفاصيل حول ظروف ظهورها واختفائها أنظرا: IHADDADEN Z, «Histoire de la presse indigène en Algérie, des Origines à 1930» Alger 1983 لقد أثار ظهور المنتخب استبشارا وسرورا عبرت عنها هاته الأبيات التي نظمها زين العابدين بن محمد بن أبي طالب:

بـــدر السيـــاسة بالـــدهماء قـــد سطعـــا
أم هـــذا منتـــخب الأخبـــار قـــد ظهـــرا
جـــر نـــال كاللؤلـــؤ المكتـــوب منتظمـــا
الفاظـــه رقـــمت باللغـــتين لـــذا
مؤلـــف لقلـــوب النـــاس قاطبـــة
مـــن الرعايـــا وللأهـــالي قـــد نفسعـــا
يشفـــى الصدور مـــن الـــداء الـــذي وجعـــا
قـــد نـــار منشهـــه المزايـــا إذ طبعـــا
....
فليـــبشر وبالأمـــاني والحسن سادة
قـــد سارعـــوا في اشترائـــه الـــذي وقَعَـــا

عن المنتخب العدد 5.

(2) قطع في الصفحة.

(3) تصرفنا في ترجمة هاته الجملة اعتمادا على النص الفرنسي لأن الجملة العربية لا توضح المعنى.

ومفيد دائما. لأن من هم بحدوثه (احداثه) رجال محبون لفرنصة ولبر الجزائر يبصرون الدولة فيمن همَّ بالنفاق (العصيان) من إخوانهم بحيث ان يتوصل إطفاء نار الفتنة قبل تأججها، وكما يبصرون اخوانهم في احسان الدولة معهم وحْنَنتَها واحترامها لهم. لأن البعيد عن المدن من العرب يجهل تلك الاحسان وجرنا لنا هذا يشهرها وينشرها عليهم فالمرجو من الفرنصوية والعرب العزم على قراءته لأنها ضوأ تنير للفرنصوية، وللعرب (وتعطيهم) نصائح أبوية.

ولا يخفى على القاريء أن جميع الأمم تخالفت عليهم أحوال الدنيا من رفعة وانخفاض، والمرجو (من) التمدن الفرنساوي ووجوده بين اخواننا سيعيدهم الى ما كانوا عليه لاكن قبل الوصول اليه فالواجب أن نصرح (انه لتحقيق ذلك يجب القيام باصلاحات كثيرة ويجب على فرنسا ان تهتم حقيقة باحتياجات هذا الشعب الذي تغلبت عليه[1]) والذي لا يسعى الا في المودة والمحبة معها وكيف تتبصر فرنصة في أحوال هذه الأمة ان لم يكن لها صوت قوي يطالب حقوقها المنكورة.

ولما كنا من أعيان المسلمين وممن يحترم ويوقر فرنصة، لا يخفانا وان تغيير أحوال مثل هذه لا تقع في يوم ولا في يومين، ولا نعلم منها فعل المستحيل، حدثنا (أحدثنا) هذا الجرنال ليكون صوتا زايدا في المطابع الفرانصوية وضوءا هاديا، للعقول الفاسدة راشدا لا تجلب الغيظ ولا لحماية صف ولا لاذاية أحد ونحن أولى به من الغير. أن الكارهين للعرب يكرهونهم لأن العادة جرت بينهم على ذلك ولا يعلمون لأي سبب، وانما يقع ذلك لمطالعة بعض الجرْنالات الباغضين لنا من غير سبب. ومن تلك المطالعة يتأصل في عروقهم بغض لنا وكره لجنسنا والمحبون لنا ينسبون أمورا غير ثابتة فنكذ بها أو نصدقها إن ذاك.

---

(1) الجملة بين هلا لـن مقطوعة في النص العربي وقد أثبتنا معناها اعتمادا على النص الفرنسي.

ولا شك أن في أيام قليلة تفتح البصار من يكرهونا وترتدقوة المحبين لنا التي تقع على غير قياس. وبالمطالعة والتدريس ستعلم فرنصا ما هي عليه أمة العرب وكيف تنقاد وتنصت اليها. فبالا عتدال الذي لم نحيد عنه، سنبين التجاوزات والاعتداءات التي أفسدت العرب ولا تزال تفسدها على فرنصة بل، على من تآمر عليهم (بحكمهم)[1]. فالمطلوب من ولات الجرايد وولات فرانصة أن يعطفوا على هذا الطبع (الجريدة) الذي لم يزل في حالة الصبا فانه يكون لرأيهم دائما موافقا وللأخوانهم ناهيا، والمراد توضيح المسائل بسراج منير.

---

(1) أدخلت تعديلات طفيفة على هذه الجملة لتصبح مفهومة.

53 ـ الحق في ملكية الأرض[1]

«الحمد لله»

أيها السادات (كذا).

«نخبركم وان مقصود الورقة اليومية (كذا) التي حدثناها فانها من أسهل الأمور وأبسطها. حماية العرب لدى فرانصة ولدى الفرنصاوية القاطنين ببر الجزائر وليحموا أنفسهم بواسطة الجرنالات كغيرهم من الأجناس والأمم...

فمن حق العربي أن يحسب لدى أهل الدولة كأخ الفرنصاوي» ويعد أن بين كاتب المقال دور العرب في الدفاع عن فرنسا في الحروب الأخيرة أردف بأنه لم يحصل للعرب أي نفع من قوانين تمليك الأرض. «فمن هذه السنة (1873) الى الآن ما وقفنا له على نتيجة ولا مصلحة. ومع ذلك ان العرب دفعت من أجله في خزاين الدولة أموالا عديدة ومنافعها تزيد كل سنة للخزينة، والعرب لم يتحصل لهم من ذلك التمليك شيء، بل أن بعض سكان دواوير انتزعت منهم أرضهم وأخذها الكولون...[2] يظنون في كل حين أنهم ينفقون عن أرض ورثوها عن آبائهم وسيورثونها للأولادهم. وحيث ان غالبا من تنزع منهم الأراضي التي يستقاتون منها والتي ولدوا فيها فشلت أيديهم عن حراثتها وغراستها فيتركون الحركة ويلازمون السكون فلو تكلم أصحاب الجرنالات السابقة بما صرحنا به اليوم. لا متكلفين بجعل بر الجزائر فرانصة، عوضا عن صياحهم بالقتل والغصب والحريق والنفاق، ونظروا نظرا ثاقيا في هاته المسايل كان ذلك أوفقا وأسبق.

---

(1) المصدر: المنتخب العدد 1 العنوان من وضعنا.

(2) قطع للكلمات.

فمن أهم الغرض هو تمليك الأرض للأربابها، فان صار العربي مالكا لأرضه سيحدث الأمان والعافية والخير الجزيل وينقطع أثر النفاق لأن أصحاب البادية إذا صاروا أصحاب ملك لا يهتمون بالخروج عن ملك أبائهم وأجدادهم لتعصيب (دعم) صف المنافقين ويزول جزعهم من عدم وفاء الدولة بما وعدتهم به منذ سنين وهو تمليك الأرض التي لم يزالوا يدُّوا (يدفعون) عليها الأموال و لم ينالوها حتى الآن.

54 ـ الضمان المشترك[1]

فأهالي الجزائر من حيث هم مطلقا ينبغي للعاقل أن يجعلهم أصنافا مختلفة والشاهد على ذلك ظروف التشاجر بينهم. ومنهم فلاح وصحب لفرانصة. ومن نفي هذا الفرق فقد غلط علط فاحشا كما أبرزناه سابقا... وان كان منهم من نافق عليها (فرنسا) فذلك لأجل الحكام الفرنصوية الذين عينوا لحمياتهم واعانتهم فإذا بهم صاروا يشتمونهم بعدما توسطوا في ضياع أرزقاهم... أيصوغ لدولة عظيمة مثل فرنسا ان تستحل الضمان المشترك... فالواجب قبل تمام هذه الا سطران أعرف وأشير على اخواننا أن يكونوا على رأي واحد بالمحبة والاعانة لبعضهم البعض وان يتخذوا فرانصة مثل أمهم المربية لهم والسراج الذي ضاءلهم والهادي لهم في أقرب مدة الى التمدن وسبيل الرشاد. فعليكم ان نطلبوا منها أدب (تعليم) أولادكم وتأديبهم دائما كي يرشدوكم الى طريق الخير والسلامة وأياكم ان تخافوا منها في طلب حقوقكم وما تحتاجون اليه مهما يمسكم غرض الى ذلك. لاكن أن خالف أحدكم القوانين الشرعية بفعل جنابة وغير ذلك، فعليكم ان تبيحوا به للحكام وان تشيروا اليه بالأصابع من غير حنانة ولا شفقة للانتقام منه ولتنجو من فعله.

---

(1) المنتخب العدد 2 ـــ 30 أفريل 1882. والمقصود بالضمان المشترك هو المسؤولية الجماعية.

55 ـ مقاطع من الكلمة التي ألقاها أحمد بن بريهمات أمام الجمعية الفرنسية لحماية أهالي المستعمرات في باريس[1]

«فالجماعة التي طرحت من مجلسها الصليب والهلال والانجيل والقرآن وانقادت بسجل واحد وهو محبة بني آدم فهذا الحب كما وضح في قلوبكم، خضعتم له وأسّستم جماعة... فياله من اهتمام رشيد ورأي سديد. وما يكون قصد فرانصة في الفتوح سوى رفع حالة التمدن المنخفضة (حالة التخلف) النازلة بالبلاد التي استولت عليها فلا غرابة في نيلكم المقصود فيما اجتهدتم في جلبه ومن خالف كلامنا هذا فليتذكر ان كثرة سكان بر الجزائر العايشون في ظل التذكار والرجاهم من عقب العرب الذين كانو بالأندلس ورأوا من حاز قصب السبق منهم في العلوم الفاخرة وما بلغ إليه من الأوج خلفاء غرناطة وقرطبة ولا بخفاكم انهم من البلاد التي تنج فيها ابن سيناء وابن رشد. فلا شك أن من يفتخر بأصل مثل هذا مشهورا بالعلم والذّين لم تزل الناس تتأسف عليهما، يقبل احسان التمدن الجديد ويشكر الشكر الجزيل وهذا يعد من أرسخ قيمه. فها أنتم أيها السادات (كذا) سمعتم من التاريخ والحكمة في شأن البلاد التي استوليتم عليها ما يغنيكم عن زيادة الشرح... وانما أتيتكم بزيادة أخرى وهو أن تضيفوا لما كلفتم أنفسكم به جبر الأهالي بأسرهم على التعلم من غير أداء أجرة.

---

(1) المنتخب العدد 4 ــ 14 ماي 1882. أحمد بن بريهمات هو ابن الشيخ حسن بن بريهمات مدير المدرسة الثعالبية. كان مترجما عسكريا وهو يعتبر من المثقفين الجزائريين البارزين ومن الذين دافعوا عن الشخصية الجزائرية ومقوماتها في هذه الفترة الحالكة من تاريخ الجزائر.

ولا أختم مقالتي هاته الا بالكلام على بلدي وبالتأسف غاية الأسف على ما حل بها فان تكلم فيها بارود فكلامه رصاص وان أنكره فان سكوته ذهب. وعند رجوعي الى افريقيا فها أنا أصير تحت حمايتكم كالأهالي الأخرى وأحدث أناسي بما رأيته في فرنسا من ضيافتكم الكريمة وقبولكم اياى أحسن قبول... وقد علمتموني احترام ما كنت أحبه وسفيتم قلبي من جراحاته الغزيرة فعليكم أيها السادات بالمبادرة للصنيع.

56 ـ مرسوم 13 فبراير 1883 والأهالي المسلمين[1]

ان الموقف الذي أخذه أعضاء المجالس البلدية من المسلمين حول الاجراءات التي تخص تطبيق مرسوم 3 فبراير 1883 والمتعلق بالتعليم الابتدائي الاجباري قد أثار، وبحق الصحافة الجزائرية.

لقد نشرت جريدة لا فيجي بتاريخ 23 سبتمبر مقالا رائعا حول المستقبل السياسي والاجتماعي لأهالي الجزائر. كما خصصت صحيفة بوتي كولون بضعة سطور لهذه المسألة أما لبوتي الجريان (الجزائري الصغير) فقد نشر مؤخرا مقالا معمقا مبدعا بين فيه استنادا الى تاريخ العرب أخطاء وأغلاط السيدين حمدان بن مرابط وقدور بن عبد الرحمن... كما أن السيدين الكريمين سي حامد بن يوسف من البليدة وسي علاوة بن يحي من مستغانم فقد احتجا بشدة، قد تكون مغالية، على أعضاء المجالس البلدية المسلمين أما الشابين، محي الدين بن الشريف وابن الوزان فانهما قد دافعا عن وجهة نظر هؤلاء الأعضاء. وكل هؤلاء تحدوهم في اعتقادي مشاعر خالصة ولكننا نستطيع أن نستخلص بكونهم لا يقترحون أي حل وسط للمستقبل بخصوص المسألة نفسها وكيفية تطبيقها في المستقبل. ولا حتى اقتراح اجراءات انتقالية كفيلة بارضاء الجميع وهذا ما أنوى القيام به في هذا العمل المتواضع وعلى ذلك

---

(1) المصدر: Ahmed B. Brihmat, «le Decret du 13 février et les indigènes musulmans» Alger, 1883, 21 p. تناولت هذه الدراسة وضعية التعليم في الجزائر منذ 1830 كما بيت ما يجب أن يكون عليه موقف المسلمين الجزائريين من المرسوم الخاص بعلمنة التعليم في المدارس الأهلية. لقد نشرت هذه الدراسة في كراسه على نفقة جماعة من الشخصيات التي شكلت فيما بينها شبه رابطة تدعوا الى نشر التعليم بين الجزائريين.

فانه يبدو لي أنه من الضروري القيام باستعراض موجز لتاريخ التعليم العام في الجزائر قبل وبعد عام 1830.

لم يكن المسلمون في عام 1830. متأخرين، بهذا القدر من الزاوية التعليمية كما يحلو للبعض ترديد ذلك لقد، كان يدرس بالجامع الكبير الموجود في شارع البحرية بمدينة الجزائر أثنا عشر علما...

وفي عام 1857 قام المبجل المارشال راندون بارسال تقرير مفصل للأمبراطور حول الفوائد التي يمكن استخلاصها من تعليم المسلمين وطالب بتأسيس مدارس في الريف ومعاهد عليا في المدن... لقد أعطت المدارس الريفية نتائج رائعة، فالمعلمون العرب والفرنسيون كانوا يتبارون في العمل والحماس والتفاني. ولكن في عام 1871 وبجرة قلم ألغى الأميرال دي قيدون معهدي قسنطينة والجزائر كما ألغى المدارس الريفية وثم دمج المعهدين في الثانويات متجاوزا بذلك كل الاعتبارات.

وفي المناطق العربية (في الريف) ليس هناك أي جهد في هذا المجال (التعليم) وبهذا الخصوص فإنني أريد بهذه المناسبة رفع تهمة غير صحيحة موجهة ضد العرب الساكنين في المناطق الريفية لقد تردد كثيرا بكونهم يرفضون تعليم أبنائهم فالعرب هم في وضع يستحيل عليهم ارسال أبنائهم الى المدرسة لسبب بسيط من السهل إدراكه وأنني أخذ على سبيل المثال قرية الأربعاء، فمن وسطها حتى الى محيط ما بين أربعة وخمسة كيلومترات فكل الضياع والممتلكات الواقعة في داخل هذه الدائرة هي أملاك فرنسية وعلى ذلك فان الأهالي يجدون أنفسهم بالضرورة بعيدين عن المدرسة. وما دام هذا هو الوضع، فهل من المعقول ان يطلب من طفل يتراوح عمره ما بين سبعة الى إثنى عشرة سنة أن يمشي يوميا ما بين ستة عشر الى عشرين كلو مترا للذهاب الى المدرسة؟ فالأهالي الصغار الذين ينطلقون من مزرعتي للذهاب الى قرية الأربعاء في عربتي يتحتم عليهم أن يقطعوا يوميا 28 كليوا مترا....

ان قوانيننا وتقاليدنا، التي فسرت بطريقة غير موفقة من طرف السيدين ابن مرابط وابن عبد الرحمن لا تعارض مطلقا ادخال الاصلاحات في كيفية تعليم اطفال العرب من الجنسين، بل هي على العكس، تستوجب علينا قبول هذه الاصلاحات بل والمطالبة بها وتطبيقها تطبيقا تاما فليسمح لي هنا بإيراد بعض الأحاديث النبوية بهذا الخصوص «ان المفضل من بينكم أيها المسلمون هو الذي اكتسب العلم وعمل على نشره بين الناس» «اطلبوا العلم ولو في الصين».

وفي رأيي انه يجب الزام العرب بتعلم اللغة العربية مع اللغة الفرنسية في نفس الوقت الذي يتحتم معرفتها بالضرورة. ويكفي في رأيي الاشارة الى قائدة تعلم اللغة العربية. وهذا بدون ان أتحدث عن كنوز المعارف التي توجد في المكتبات العربية والتي ستضيع حتما أو تكون خسارة بالنسبة لكل الناس، إذا ما تقرر شطب هاته اللغة في مدارسنا.

وفي الختام ان مرسوم 13 افبراير لا يمس مطلقا بعقائدنا الدينية فهو من جلائل الأعمال ــ بالنسبة لمستقبلنا ــ الذي تكرمت به فرنسا علينا؛ فلنرسل اخواني المؤمنين أبنائنا الى المدرسة، أطفالا وبناتا ولنبعد عنا نصائح أولئك المنافقين باسم الدين الذين يتخذون من جلهنا سلاحا يستغلونه لفائدتهم الشخصية، فلتكن لنا ثقة في كرم فرنسا بقبولنا وخضوعنا للقوانين التي تسنها، خاصة قانون 13 فبراير.

ان روح الانصاف العليا والرغبة في الوئام، التي يتحلى بها السيد الوالي العام، هي بالنسبة لنا ضمانا أكيدا بأنه في كل مرة نكون فيها على الطريق السوي نستطيع الاعتماد على دعمه ومساندته. فالسيد رئيس الجمهورية والسيد وزير التعليم العام قد تركا له حرية واسعة فيما يتعلق بتطبيق مرسوم 13 فبراير، بالنسبة لنا وثقة منا في أخلاقه العالية فاننا نسمح لأنفسنا بأن نقترح عليه الاجراءات الانتقالية التي نعتقد أنها سترضى أغلبية المسملين وتلائم بين مختلف المصالح الاجتماعية.

1 ــ يلحق بالموظفين الفرنسيين في مدارس الذكور معلم من الأهالي الذي يدرس جزءا من الصبيحة فقط.

2 ــ ينشيء منصب لمعلمة مسلمة في مدارس البنات الى جانب المستخدمين من الفرنسيين.

3 ــ في كل مفتشية لمدارس البنات تعين سيدة مسلمة يتم اختيارها من طرف السيد مدير الأكاديمية.

4 ــ مرافقة البنات الى المدارس ومنها الى منازلهن وبشكل صارم من طرف أبائهن وعند التعذر من طرف الخدم الذين يتم تقديمهم الى المديرة وتعتمدهم هي من طرفها.

5 ــ بسبب البلوغ السريع لدى البنات المسلمات أو من أجل طمأنه أمهات العائلات اللائي قد ينزعجن لحالات البلوغ المبكرة هاته وتمكين البنت في نفس الوقت من الحصول على مستوى مرضى من التعليم فان الحد الأعلى للسن يخفض الى عشر سنوات بالنسبة لهن.

والآن اخواني، انتهبوا جيدا لما أقوله لكم:

1 ــ اننا عندما نرسل أولادنا الى المدرسة فاننا سنعودهم على محبة الفرنسيين والصداقات التي تنسج في هذه الظروف هي وحدها التي تبقى.

2 ــ بقدر ما يكون عدد البنات كبير في المدرسة بقدر ما يكون عدد النساء أقل في بيوت الترفيه.

3 ــ بقدر ما يكون عدد الأطفال أكبر على مقاعد المدارس بقدر ما يكون عدد الرجال أقل أمام المحاكم الجنحية ومحاكم الجنايات.

ان التعليم الاجباري العلماني والمجاني، الذي سينتشر بيننا تحت رعاية الحكومة الفرنسية الكريمة يحمل في طياته سر بعثنا ونهضتنا.

الجزائر في 7 أكتوبر 1883

57 ـ في تعليم الأهالي[1]

انها لمسألة خطيرة تلك التي تتعلق بتعليم الأهالي إذ هي من القضايا التي تشغل بال أكثر الجزائريين وعن حلها يتوقف ربما، المصير النهائي للمستعمرة. يوجد بالفعل كثير من عدم الثقة ان لم يكن من الحقد بين ملاك البلاد الجدد وبين القدامي يمنع العنصر ان من الاندماج في بعضهما البعض بسهولة وهذا التشكك وعدم الثقة الذي يغذية التعصب الديني سيستمر مادام الشعب العربي قابعا في جهالته.

انه لمن واجبات الجمهورية العمل على رفع المستوى الفكري والاخلاقي للجنس العربي المغلوب. وهذا دين أخذته فرانسا على نفسها منذ اليوم الذي وضعت فيه أقدامها على أرض الجزائر.

ولكن كيف العمل لتحقيق هذا الهدف؟ يجب اقتياد الطفل العربي الى المدرسة ويجب افتكاكه من بين أيدي أبائه الجهلة والمتعصبين، غير قادرين على إدراك المنفعة الكامنة في التعليم وفي الحضارة الفرنسية.

ان هذه الشبيبة الجزائرية التي يقع على عاتقها جانبا من مستقبل الجزائر ــ إد لا يطالب أحد، حسب علمي، بوجوب طرد العرب ولا بمحوهم الآن ــ فهم بذلك عنصر يستلزم الأخذ بعين الاعتبار، وهذا بقطع النظر عن المسألة الانسانية فان من مصلحة المحتل ان يعمل على تمدين المستعمرة. وعلى هذا فالتعليم يمكن أن تجعل من العربي رجلا مستنيرا ومتخلقا، وخاصة لكي يصبح فرنسيا. فتعليم القراءة والكتابة لا

---

(1) المصدر: Medjdoub Ben Kelafat, «de l'Instruction des sirdigenes» Constantine. S.D. 12p.

يكفي، فهذه المعارف السطحية جدا يكون ضررها أكثر من نفعها فهو محتاج الى تعليم معمق وراسخ إذ هو وحده الكفيل بتغيير أفكاره جذريا. ولن يفيده من هذه الزاوية شيء أفضل من دراسته للتاريخ والجغرافيا.

فالتعليم إذن هو المدرسة ويجب على الأهالي ان يذهبوا الى المدرسة لتلقي المعارف وكذلك من أجل تعلم الأخلاق المتحررة من الأفكار الدينية الضيقة والمتحيزة.

وقد يقال أن هناك مدارس أنشئت على ذمة الأهالي فلماذا لا يرتادون اليها. ان السبب في ذلك بسيط للغاية فالاسلام لم يظهر الا منذثلاثة عشر قرنا فقط والمسلمون لا يزالون قريبين جدا من جذورهم، فلهم نفس التعصب الذي كان لدى المسيحيين أثناء الحروب الصليبية ومن هنا فان كل من لا يشاركهم معتقداتهم فأنهم يكاد يعتبرونه عدوا لهم... فهم يعتقدون بالفعل أن معلمينا متعصبين مثل المؤدبين عندهم ويظنون أنهم يقضون وقتهم في تعليم الديانة المسيحية التي يدرسونها لهم ويحاولون ادخالهم فيها وما دام هذا اعتقادهم فليكن لهم معلمون من الأهالي فهؤلاء لا يشكون فيهم كثيرا...

ومن بين الاجراءات المستعجلة التي يستوجب اتخاذها أضع في مقدمتها: إنشاء مدارس لتخريج المعلمين الأهالي تحتوي على برنامج خاص للقبول والمسابقات وامتحانات التخرج. وهذا النوع من المدارس الذي يوجد منها الآن مدرسة في الجزائر والأخرى في قسنطينة، قد أعطت نتائج مرضية... غير أن هذه المدارس ستكون عديمة الجدوى ما دام المعلمون الأهالي يتقاضون رواتب ضئيلة وغير كافية فهم يتقاضون حاليا ثلاثين فرنكا في الشهر وفرنكا واحدا عن كل طفل. وهذا الجزء الثاني من المرتب غير قار، ففي القرى الصغيرة لا يتعدى الخمس أو ست فرنكان في الشهر.

وهناك أسباب أخرى تمنع الأهالي من الذهاب الى المدرسة؛ كثيرا منهم يرغبون في ارسال ابنائهم اليها ولكنهم يخافون من انتقادات الجيران

وليس هناك طريقة أخرى لمعالجة هذه الحالة سوى فرض اجبارية التعليم الذي سيخلصهم من هذه المخاوف.

ويمكن اختبار هذا الاجراء بالنسبة للأهالي المدن الذين هم على علاقات يومية مع الفرنسيين وعلى ذلك فهم أقل تمرد عن المدنية.

وهناك سبب آخر أكثر خطورة يمنع المسلمين من الارتياد الى المدارس الفرنسية وهو المتمثل في الضرورة التي يشعر بها كل مسلم في وجوب حفظ القرآن... فالتغلب على هذه العقبة يكمن في اعتقادي في انشاء مدارس بنصف التوقيت... وبهذا يستطيع المسلمون الصغار الذهاب صباحا لتعلم القرآن في الزاوية وبعد الظهر الى المدرسة الفرنسية لتعليم اللّغة... اما موضوع الغاء الزوايا فان هذه المسألة لن تطرح الا عندما يتم إلحاق إمام مكلف بتلقين التعليم الديني للأطفال المسلمين بكل مدرسة فرنسية...

فلنضع إذن يدا في يد، ولنتكاتف معا لتيسير انجاز الدور الحضاري لفرنسا في افريقيا الشمالية.

58 ـ عريضة ضد التجنس ومن أجل لدفاع عن حقوق القضاء الاسلامي[1]

قسنطينة في 10 جويلية 1887

الحمد لله

الى السادة أعضاء مجلس الشيوخ

الى السادة أعضاء البرلمان باريس

سادتنا:

نحن الموقعون أسفله، مسلمو سكان الجزائر، قد تطرق الى علمنا مشروع القانون الذي قدمه السيدان ميشلان وقوتيي، والذي يهدف الى إدماج المسلمين جملة في الأمة الفرنسية عن طريق ما يسمى بالتجنس.

كما علمنا كذلك، ان هذا المشروع لقي قبولا حسنا من طرف عدد كبير من أعضاء جمعيتكم (البرلمان) المحترمة، وكذلك من طرف محرري الصحف الباريسية وشخصيات أخرى التي تسعى دائما لتحسين الوضعية الاجتماعية لشعب الأهالي المسلمين، وترغب في أن تراه على قدم المساواة مع الأمة الفرنسية بخصوص التمتع بالحقوق السياسية والوصول الى أعلى الدرجات في سلم المعارف الانسانية، عن طريق الدراسة ونشر التعليم، وفي النهاية لغرض تحقيق تقدمه المستمر في طريق التقدم والاندماج.

---

(1) المصدر: عريضة طبعت بقسنطينة بتاريخ 10 جويلية 1887 وقع هذه العريضة ألف وسبعمائة شخص وتمت المصادقة على هاته التوقيعات في بلدية قسنطينة بمحضر شيخ البلدية السيد ميرسيي يوم 5 أغسطس 1887 وبالرغم من أن معظم الموقعين ينتمون الى المقاطعة الشرقية من البلاد وفيهم أعضاء من المجالس المنتخبة والموظفين والمدرسين والتجار والمزارعين غير أن الموقعين يتكلمون باسم الجزائر كلها وطرحوا قضايا ذات أبعاد وطنية تشمل كل عمالات البلاد.

هذه هي أهداف نواياكم النبيلة وعطفكم. وانه لمن الواجب علينا أن نشكر سياداتكم الموقرة على ذلك وان نبجل قدر المستطاع مشاعركم الكريمة غير أن هذا الاقتراح لايلائمنا ولا يستجيب لرغباتنا من وجهة نظر الواجبات التي ستترتب عليها بالمقارنة بالحقوق والامتيازات التي سنحصل عليها، كما سنوضح لكم ذلك.

وجهة النظر الأولى:

ان الدخول في الجنسية الفرنسية ستكون آثاره بالنسبة لنا هو الالغاء الكامل لقوانيننا ونظمنا، سواء فيما يتعلق بالمسائل المادية (العقارات والأملاك) أو بالأحوال الشخصية؛ والحال ان الكل يعلم ان القانون (الشريعة) عندنا هي أساس الدين وانه غير مسموح لنا الخروج عن هذه الطريق السوى اما الأجراء الاحتياطي الذي اقترحه السيدان ميشلان وقوتيبى والذي يرمى الى المحافظة على بعض المسائل المتعلقة بالأحوال الشخصية، فهو اجراء غير كاف ولا يمكن ان تكون له أية نتيجة عملية.

وبالفعل، فالمسائل المتعلقة بالأحوال الشخصية عندنا هي مسائل معقده جدا وتبرز تحت أشكال مختلفة، ويتطلب البت فيها اصدار أحكام تستند على الفقه الاسلامي من طرف القاضي الطبيعي المكلف بتنفيذها ونعني بذلك القاضي الاسلامي وليست هناك حاجة تدعو الى التوضيح بأن هذه الأحكام ستختفي في نفس الوقت كما تختفي الشريعة نفسها بحكم الدمج داخل الأمة الفرنسية. وبالتحديد، فان أعز ما نرغب فيه والذي نتشبث به أكثر من أي شيء آخر هو المحافظة على شريعتنا، فاخضاعنا بالجملة وبدون قيود للجنسية الفرنسية سيجرنا الى ترك تقاليدنا مما سينجم عنه اضطراب في عوائدنا. ذلك انه يوجد في القوانين الفرنسية ترتيبات تتعارض وتتناقض تناقضا مباشرا مع شرائعنا وحتى مع روح المعتقدات الاسلامية نفسها.

وجهة النظر الثانية:

ان الحقوق التي ستمنح للمسلمين ستكون من نوعين مختلفين:

1 ــ الحق في الوظائف والمناصب من كل نوع.

2 ــ المساواة التامة مع الفرنسيين في الحقوق السياسية وأمام القوانين الانتخابية.

وبناء على هذا، فالشيء الذي لا يقبل الجدال هو أنه لكي يعين المسلمون في وظائف يجب أن يستوفوا الشروط المطلوبة بخصوص الكفاءة والاستعداد، وهذا يتطلب مسبقا التوفر على مؤهلات جامعية والحصول على قدر كاف من العلم والمعارف الضرورية لشغل هذه الوظائف وهو الشيء الذي ينقصهم بالضبط، انعدام الكفاءة وغياب المؤهلات المتخصصة. أما فيما يتعلق بممارسة الحقوق الانتخابية بكيفية سليمة ولمصلحتهم فهذا لن يتسنى دون جلب اللوم عليهم ــ إلا إذ توفرت فيهم الشروط الآتية:

العلم والحرية والاستقلال:

وللأسف فمسلموا الجزائر متخلفون من زاوية التعليم والتمدن الفرنسي فالأغلبية منهم بمعنى سكان الريف هم أميون تماما قابعين في جهالة مطلقة ولا يسترشدون الا بنزوات قادتهم ورؤساهم الذين يخافون منهم غريزيا، خوفا شديدا. وفي ظل هذه الظروف فان هؤلاء السكان ليسوا مستعدين وغير قادرين على استخدام الحقوق الانتخابية استخداما جيدا فالواقع المنحط الذي هم عليه لا يسمح لهم بالاستفادة من هذه الامتيازات بالتمتع بالمنافع التي يمنحها التجنس وعلى ذلك فالهدف المتوخى منها لن يتحقق[1].

(1) مؤشرا عليها في النص.

وهكذا فان أول اجراء يستوجب اتخاذه هو اعتماد طريقة تهدف الى تبديد ظلام الجهالة عن طريق انشاء المدارس ونشر التعليم وتوفيره للأهالي الصغار الذين سيتم اعدادهم بهذه الطريقة لاستقبال الاصلاحات النافعة التي ستؤدي الى التمدن والى الاندماج لأنه لا يمكن الحصول على نتائج في هذا المضمار الا بالتدرج. ونتيجة لكل هذه الملاحظات ومن أجل إبعاد كل لبس في أذهان سياداتكم فإننا أخذنا المبادرة بعرض هذه البراهين عليكم والمطالبة في هذا المكتوب في نفس الوقت، باسمنا نحن هيئة أهالي الجزائر المسلمين بأن الشيء الوحيد الذي يلائمنا هو المحافظة على وضعنا الاجتماعي وعلى شريعتنا المدنية منها والدينية(1) وعلى كل الأمور التي ما انفكت الحكومة الفرنسية تحميها منذ أكثر من خمسين سنة وهي بعملها هذا كانت تسترشد بروح واهتمام سياسي عالي وكذلك من أجل احترام ما نصت عليه معاهدة استسلام الجزائر عام 1830(2) وهو الوقت الذي دخل فيه بلدنا تحت حكم فرنسا.

ونحن واثقون بأن الحكومة الفرنسية المتشبعة بروح العدل المبني على الحرية سوف لن تفرض على رعاياها اجراءا على هذه الدرجة من الخطورة بدون أن يسبق ذلك طلبا صريحا منهم بهذا الشأن خاصة وان الباب مفتوح حسب القوانين الجارية أمام كل أحد يرغب في للاستفادة من التجنس وفق مبادرة حرة نابعة من اختياره.

وبعد هذا، فإننا نعتقد أنه من واجبنا اخطاركم بأن هناك مسائل هامة تتعلق بتحسين ظروف حياة المسلمين وتطوير العلاقات الودية بينهم وبين مواطنيهم من الفرنسيين تستحق البحث والدراسة الجادة كنوع من الاجراءات التمهيدية لاندماج الجنسين في المستقبل، تورد منها:

---

(1) موشرا عليها في النص.

(2) مؤشرا عليها في النص.

1 ــ تنظيم المدارس العربية ودراسة الطرق والوسائل لجعلها في متناول كل المسلمين.

2 ــ منح الأهالي الأعضاء في المجالس البلدية والمجالس العامة نفس الحقوق التي للاعضاء الفرنسيين، في مهامهم الحالية، بدون أي قيد؛ بمعنى الغاء التمييز الموجود حاليا فيما يتعلق بانتخاب شيوخ البلدية وثوابهم في المجلس البلدية وكذلك فيما يتعلق بحق الانتداب في المجالس العامة، الى المجلس الأعلى بالجزائر ــ حيث لا يوجد لنا أي تمثيل فيه للدفاع عن حقوقنا وبعبارة واحدة المساواة التامة بين أعضاء الهيئات الانتخابية على أي مستوى كان.

3 ــ اتخاذ اجراءات لوقف الضرر الذي نعاني منه من جراء التنظيم الجديد للقضاء الاسلامي الناجم عن مرسوم 10 سبتمبر 1886.

4 ــ قيام الحكومة باتخاذ اجراء يسمح للعمالات الجزائرية بأن يكون لها نواب مسلمون منتخبون بواسطة اقتراع مضيق من طرف أبناء ملتهم بشروط يتم تحديدها وسيكلف هؤلاء النواب بتمثليهم في البرلمان والذين يمكن اختيارهم من العرب أو من الفرنسيين. وبهذه الكيفية يوضع حد لعملية حرمان السكان الذين يتجاوز عددهم الثلاثة ملايين نسمة من عدم وجود وسيط ــ الذي هو في أشد الحاجة اليه ــ بيننا وبين الحكومة الفرنسية للدفاع عن حقوقنا ويشرح لكم كل المسائل التي تكون لنا فيها مصلحة أو يكون من شأنها إلحاق الضرر بنا.

أما بخصوص الممثلين الحاليين لكل الجزائر، فإنهم انتخبوا من طرف العنصر الفرنسي وحده فهم لا يستطيعون الدفاع عن حقوقنا بالاستقلالية المطلوبة خاصة عندما تكون هاته الحقوق تتعارض (أو تبدو كذلك) مع مصالح موكليهم. انه لمن المبادىء المرعية أن مندوبا واحد لا يحق له التصرف، انطلاقا من تفويض من طرف واحد في مسألة تتعارض فيها

مصلحة الطرفين ومن هذا القبيل تندرج المسائل التي لها علاقة بالنظم الضريبية والرسوم المختلفة الجارية في العمالات الجزائرية فالاصلاحات المطلوبة في هذا المجال يجب أن تستند على مبدأ العدل والانصاف في توزيع الأعباء الذي يحفظ حقوق الدولة بدون أن يلحق أي ضرر كان بمصالح المموليں.

كما أن مسألة تكوين الملكية والاصلاحات التي تتضمنها تحتاج هي كذلك الى دراسة. وباختصار، هذه المسائل وقضايا أخرى كذلك التي تختص بها الجزائر والتي سيكون من الاملال القيام بتعدادها، تستحق اهتمامكم وتتطلب دراسة جديدة من طرف سياداتكم.

ولأجل هذا حضرات السادة أعضاء البرلمان، فاننا نترجاكم ان تقوموا بتعيين لجنة مختارة من بينكم تكلف بالقيام بجولة في العمالات الجزائرية لاجراء تحريات واسعة للتعرف على وضعية الأمور وسماع مقترحاتنا وبحث مطالبنا، بهذه الطريقة ستتعرفون على حقيقة الأمور بشكل دقيق وستظهر لكم الحالة كما هي بدون غطاء وستدركون كما ستدرك الحكومة من جهتها أين يكمن طريق العدل والانصاف عند تطبيق القوانين التي تخصّنا واعداد الاصلاحات المتعلقة بنا. ونحن من جهتنا سنتمكن بهذه الطريقة من وضع حد للأضرار التي ثعاني منها وخاصة تلك الأضرار الناجمة عن طبيق المرسوم المتعلق بالقضاء الاسلامي الصادر في 10 سبتمبر 1886.

وبالفعل، منذ بدإ تطبيق هذا المرسوم، على الرغم بكوننا مقتنعين منذ البداية بكونه يتعارض مع كل ما كنا نأمل فيه ومع ذلك فاننا لم نرفع أي شكوى ضده ذلك إننا كنا نرى انه بعد وقت وجيز من بدإ تنفيذه فان السلطات القضائية ستتبين هي بنفسها الاضرار المترتبة على تطبيقه، وهي الأضرار التي يقع عبئها على المسسلمين وان هذه السلطات ستتأكد بكون هذا المرسوم سيّئا من جميع جوانبه.

هناك حادث يبرهن لكم على أن هذا المرسوم مضر بالأهالي في المناطق الجزائرية هو أنه أثناء زيارة السادة الوزراء صحبة الوالي العام خلال شهر أفريل المنصرم، فان عددا كبيرا من الممثلين أعضاء الهيئات الانتخابية وكذلك أشخاص كثيرين من المقاطعات الثلاثة أدركوا ان من واجبهم أن يضعوا بين أيديهم (الوزراء والوالي العام) شكاوي بيثوا فيها مآخذهم على هذا المرسوم، منها النقاط الرئيسية الثلاثة الآتية:

1 ــ الشعور بالغبن والذل بتطبيق هذا القانون الذي يرمى الى إبطال الشريعة الاسلامية في عناصرها الاساسية بتجريد قضاتها الطبيعيين من الحق في الفصل في القضايا التي ليست لها علاقة بالأحوال الشخصية؛ القضايا المدنية الممتلكات والعقارات وتحويل هذا الحق الى القضاة المدنيين.

2 ــ التأخير والتسويقات التي يعانون منها قبل الفصل في قضاياهم من طرف القضاة المدنيين بسبب قلة عدد هؤلاء من جهة ولأنهم لا يعقدون جلساتهم الا مرة واحدة في الأسبوع ولمعالجة شئون أخرى كذلك من جهة أخرى. لقد نجم عنها أن كثيرا من الناس يمسكون عن تقديم شكاواهم مفضلين التخلي عن مصالحهم وهذه الحالات تظهر على الخصوص في النزاعات التي تستوجب البت السريع، مثل تلك التي تحدث في الأسواق فالناس يضطرون الى التّخلي عن حقوقهم تجنبا للتأخيرات والمصاريف.

وبالفعل فان معظم النزاعات التي تحدث بين المسلمين هي حول أمور قليلة الأهمية ومحدودة القيمة وإذا قمنا بحصر عدد الأحكام التي صدرت من طرف القضاة المدنيين والتي تخص المسلمين في هذه الفترة وقارناها بعدد الأحكام التي أصدرها القضاة (المسلمون) لنفس الفترة فاننا سنلاحظ ان مصالح الناس النقدية أصبحت مهددة بالخطر والشكاوي التي يرفعونها للاستخلاص حقوقهم هي في تناقص مستمر.

3 ــ مصاريف القضاء التي تثقل كاهل الناس كثيرا. وبما أن شكاواهم كثيرة ومعظمها تتعلق بأمور ليست بذات أهمية والتي كانت في الماضي بيت فيها القاضي بدون أية مصاريف فانه سيكون من العدل إذن أن تبقى المعاملات التجارية والعقارية وكل الأمور الأخرى من صلاحيات القاضي وهذا من أجل مصلحة المتقاضين انفسهم ولغرض تيسير الحلول وتخفيض النفقات وبعبارة أخرى من أجل التسهيل والسرعة في البت والاقتصاد.

فالسادة الوزراء قد وعدونا بأنهم سوف لن يهملوا مطالبنا بل على العكس فانهم سيهتمون بها وسيعملون على رفع الأضرار التي ثعاني منها. اننا سنجدد اليوم أمامكم مطالبنا ونترجي سياداتكم السامية ومن الحكومة ان تنظروا الينا بعين الرحمة والشفقة، اننا نتوسل اليكم تأجيل تطبيق مرسوم 10 سبتمبر 1886، واعادة العمل بالقضاء الأسلامي بنفس الشروط التي كان يعمل فيها في السابق بمعنى حسب ترتيبات مرسوم شهر ديسمبر 1866. وإذا ما تعذر الغاء المرسوم المشار اليه الغاء تاما فلنراجع تفاصيله من أجل وضع حد للمضايقات التي ثعاني منها من جراء تطبيقه.

ونطالب أولا: بان للمتقاضين الحق في اختيار الجهة القضائية التي يوكل اليها الفصل في نزاعاتهم القاضي (الشرعي) أو القاضي الفرنسي إذا ما اتفقوا على ذلك، اما إذا اختلفوا فان المدعي هو الذي يكون له الحق في الاختيار وهذا الاجراء يتماشى مع مباىء الحرية التي يجب أن يتمتع بها كل واحد، ومع مبادىء القانون، وبالفعل، فان أحدا لا يجهل بان قبول الطرفين لأية جهة قضائية أو لأي تحكيم مع الصلاحيات الغير محدودة، فان هذا لا يتعارض مع القواعد الشرعية.

كما نطالب أيضا بأن الفصل في النزاعات التي تحدث حول أمور تتراوح قيمتها ما بين خمسة إلى مائة فرنك تبقى من صلاحيات القاضي

(الشرعي) لغرض تخفيض المصاريف بقدر المستطاع ومن أجل سرعة البت، خاصة بالنسبة للمسائل التي تستوجب البت فيها بسرعة كتلك التي تحدث بين الناس في السوق وقد جاؤوا من بعيد من أجلها ويتحتم عليهم العودة مباشرة في نفس اليوم بعد اغلاق السوق.

2 ــ نطالب كذلك بأن يبقى الفصل في النزاعات التي تخص شئون الزراعة من صلاحيات القاضي وهي قضايا يتطلب الفصل فيها عادة الاعتماد على الأعراف والتقاليد التي هي تختلف من جهة الى أخرى حسب الأماكن والعادات في مختلف المناطق الجزائرية ويمكن أن نقارن هذه الأعراف بمجالس البريدوم، التي هي محاكم خاصة عند الفرنسيين والتي تخرج أحكامها في بعض الأحيان عن قواعد القانون.

هذا هو العرض لرغباتنا وشكاوانا الذي نتقدم به الى كرم سياداتكم، واثقين من انكم ستتقبلونها وستقومون باتخاد اجراءات لتحسين حالنا وابعاد الأضرار التي نعاني منها عنا. وإننا سنكون معترفين لكم والى الأبد بالجميل، وندعوا الله ان يجعل حكومة فرنسا المجيدة، دائما قوية، منتصرة وموفقة.

59 ـ مرسوم 10 سبتمبر 1886

«معلومات موجهة للحكومة الفرنسية حول مختلف المصالح التي تخص السكان المسلمين بالجزائر»[1]

«... أنني أعرف جيدا أن حكامنا لا يسعون الا لخدمة المصلحة العامة وأنهم يبذلون جهودا مشكورة من أجل ذلك ويريدون الخير لكل مخلوق وخاصة لبني الانسان وفي عنايتها الكبيرة بمصالح المسلمين وضعت الادارة الفرنسية قواعد جيدة وأسس متينة لكل ما يتعلق بصلاحيات القاضي متوخية في ذلك ضمان وحماية مصالح الناس الموكولة الى هؤلاء القضاة.

ومن أجل تحقيق هذا الهدف وضعت موضوع التنفيد التنظيم الأول في هذا المجال قائما على أسس راسخة حسب قواعد الشريعة الابدية ثم قامت بتنظيم ثان ثم ثالث مدخله في كل مناسبة من هذه المنسابات تغييرات وتبديلات في مختلف اجزاء هذا الهيكل... لكي يصل كل طرف الى النتائج التي يسعى اليها بدون نزاع ودون خلاف.

لقد سارت الأمور على هذا النحو حتى عام 1886 عندما أصدرت الحكومة مرسوما جديدا لتحقيق أهداف نبيلة وبنية خالصة... ولكن عند التطبيق تبين أن بعض ترتيباته تجعله صعب التنفيذ. وقد نجم عن ذلك

---

(1) المصدر: Ben Badis el Mekki renseignements pour le gouvernement glorieux sur divers interets de la population musulmane en algerie CONSTANTINE 1889 . 11p. — كراسة كتبت أصلا باللغة العربية وترجمت الى الفرنسية وسحب منها خمسمائة نسخة.

تعقيدات بالنسبة للقضاة المدنيين وأضرار بالنسبة للمتقاضين. وسأقوم، لاعطاء توضيحات حول التقاط التي هي محل جدال، باستعراض هذه المسائل واحدة بعد واحدة.

الملاحظة الأولى:

قبل اصدار هذا المرسوم كان القضاة الفرنسيون مثقلين بأعباء كثيرة وقد أضيفت اليهم أعباء جديدة بتكليفهم بالفصل في المنازعات التي تقع بين المسلمين مما ترتب عنه عمل كثير وارهاق شديد بالنسبة لهم... فهذه العوائق يقع عبئها على المتقاضين الذين لحقت بهم أضرار حقيقية باضطرارهم الى حضور عدد كبير من الجلسات قبل البت في قضاياهم وما ينجم عن ذلك من تركهم للأعمالهم، خاصة لما تعلم أن معظم هذه القضايا عديمة الأهمية، وإذا أضفنا الى هذا المصاريف الباهضة الناجمة عن ذلك فاننا سندرك السبب الذي يدفع الناس الى التخلي عن حقوقهم تجنبا لهذه الأتعاب والمضايقات»...

(اقترح السيد ابن باديس حلين لهذه المشاكل)

«إما أن يكلف القاضي الفرنسي بالفصل في المنازعات التي تحدث بين الأهالي وحدهم دون غيرها من القضاييا، وفي كل يوم عدا أيام العطل الرسمية. وأما تنزع صلاحيات الفصل في القضايا غير ذات أهمية من القاضي الفرنسي لتسند من جديد الى القاضي (الشرعي)».

الملاحظة الثانية:

من بين الأضرار الناجمة عن تطبيق هذا المرسوم هو منع المسلمين من عرض نزاعاتهم التي تخص الممتلكات أمام القاضي (الشرعي) في حالة اتفاق الخصمين على ذلك... وبالفعل، فانه لا يوجد هناك عائق من وجهة نظر الادارية أو القانونية يمنع رجلين من اختيار القاضي الذي يفصل في

نزاعهما، إذا اتفقا مسبقا على قبول قراره فهذا الحق هو واحد من ثمار الحرية التي تقوم على أساسها الحكومة الحالية.

الملاحظة الثالثة:

ان المصالحة بين المتخاصمين هي طريقة توصي بها وتحث عليها كل القوانين والتشريعات القضائية منها والادارية فهذا الحل، عندما يتم التوصل اليه، يطفىء نار المشاحنات ويضع حد للخلافات والاحقاد ويهديء الخواطر... ومن هنا، فانه من الضروري لفت انتباه الحكومة لهذه النقطة للايجاد وسيلة تفتح أمام المسلمين طريق المصالحة.

الملاحظة الرابعة:

حسب ترتيبات البند 52 من المرسوم المشار اليه أعلاه فان القضاة (الشرعيين) لا يستطيعون القيام بتقسيم التركات الا إذا كانت تتكون هاته من الممتلكات وحدها دون العقارات فالضرر يتمثل عندما تكون التركة مكونة من العنصرين وتكون قيمتها ضئيلة، ففي هذه الحالة فان التركة تصبح مهملة لأنه لا القاضي ولا الموثق يقبلان بالتنقل الى عين المكان للقيام بالتصفية وعلى ذلك، فعندما تكون التركة مكونة من ممتلكات وعقارات يتم تكليف الموثقين الفرنسيين وحدهم بتصفية العقارات ويتولى القاضي (الشرعي) من جهة تصفية الممتلكات الأخرى.

الملاحظة الخامسة:

لقد نص المرسوم في بَنْده الأول على المبدأ الذي ينص على استمرار خضوع المسلمين للشريعة والأعراف في كل ما يتعلق بقضايا الأحوال الشخصية وعند معالجته للأحوال الشخصية والمسائل المتعلقة بها فان المرسوم تناولها بشكل عمومي وبدون تحديد، عكس ما كان الشأن في الترتيبات التشريعية السابقة. وهذه المسائل هي بالفعل كثيرة

ولكنها معروفة ومحددة وتختلط في بعض الأحيان بالقضايا العقارية، ولهذا السبب لم يتم التعرض اليها بالتخصيص وبحكم اختلاط المصالح الحالية بها فان القضاة الفرنسيون يرفضون البت فيها ـــ أما مرسوم سنة 1866 فعلى العكس من ذلك، فهذا حدّدَ في البند 24 هذه المسائل وقام بتعدادها واحده واحدة...

مكي بن باديس 13 نوفمبر 1889

60 ـ عريضة سكان مدينة تلمسان[1]
(7 أفريل 1891)

الى سيد وزير الحربية، باريس
الحمد لله وحده
سلام عليكم سلاما تاما مديدا ما دام الليل يعقبه النهار.

منذ الخطوات الأولى التي خطتها الأم الفرنسية على أرضي الجزائر، وحرصا منها على مراعاة العدل والكرم، فقد منحت لمسلمي هذه البلاد بمقتضى المعهادة الحق في الاحتفاظ بعقيدتهم وشريعتهم وممتلكاتهم واحترام النساء، وحماية الأشخاص والابقاء على القوانين التقليدية والعادات الموروثة منذ قرون.

هكذا كان موقفها عندما وضعتْ يدها على مدينتنا تلمسان، وبالحاح من طرفنا. ولقد تأكد في عدد من المناسبات دماثة أبرز الحكام وحلمهم أزائنا.

وعلى ذلك، ففيما يتعلق بنا نحن مسلموا مدينة تلمسان الذين خضعنا دائما لسلطتكم منذ اليوم الذي ظهرت فيها بيننا ونفذنا دائما وبإخلاص كل الواجبات التي أنيطت بنا سواء عن طريق الجهد الجماعي أو على مستوى الجهود الفردية وذلك بكل الحماس الذي لدينا ملتزمين التزاما

(1) المصدر: A.G.V/1H 1003 لم نعثر على النسخة الأصلية بالعربية لهاته العريضة وانما على ترجمتها الى الفرنسة والتي قام بها الترجمان العسكري بريف.

دقيقا حدود الواجبات التي أنيطت بنا. ولقد قمنا، وبصفة خاصة ضد أعداء فرنسا مثل بوعمامة وأسلافه عندما حاولوا إشعال فتيل الحرب في الجزائر. ولقد أمتثلنا خلال حقبة طويلة من السنين الى كل القوانين العامة وكذلك للأجراءات الخاصة التي تتعلق بقمع الجرائم العادية أو المخالفات السياسية. وأيضا تلك التي تتعلق بالنظام الجبائي الخاص المفروض علينا مثل الزكاة والعشر. ونحن بمسلكنا هذا قد أوفينا بجميع التعهدات التي إلتزم بها أجدادنا إزاء فرنسا عند الاستسلام، على أمل الاحتفاظ بحرية عقيدتنا التي لا يمكن فصلها على كل حال، عن نظامنا الاجتماعي. وحسب الحكمة الدارجة، فالحياة الدنيا هي عماد الدّين.

لقد اتصلنا بالمشروعين اللذين أعدهما السيد مار تينو واللذان يهدفان الى:

1 ـــ جمع مسلمي الجزائر في حلف مشترك مع الأمة الفرنسية عن طريق اصدار مرسوم التجنيس.

2 ـــ اخضاعهم للخدمة العسكرية الاجبارية.

ولقد استقبل هذان المشروعان بالرضى، على ما يبدو، في الجمعية الوطنية التي حولتهما الى لجان خاصة للبحث والدراسة.

ولكن من الواضح جدا أن قبولهما سيؤدي الى القضاء على مبادئنا الدينية وتشويه روح شريعتنا والى الاعتداء على حق الاحترام الواجب نحو نسائنا وأشخاصنا، بمعنى، أن هذا سيؤدي الى الغاء مجموعة من الضمانات وربطنا، في حالة تبعية، برباط مشترك لن نستطيع التخلص منه أبدا.

واننا نعترف مع ذلك أن صاحب المشروعين يهدف من ورائهما الى تحسين وضعنا عن طريق دمجنا وتكريس حقوقنا أمام الأمة الفرنسية وفتح

الطريق أمامنا الى الوظائف العامة والدرجات الجامعية، وتسليمنا الأسلحة الحربية ودعوتنا لاستخدامها. إنها لمشاعر نبيلة تعبر عن اخلاق عالية وتواياطيبة ازائنا، ومن الواجب علينا ان نشكر الروح الطيبة التي أملتها.

ومهما يكن الأمر فهذه الأحكام لا يمكن تطبيقها علينا لأنها خطيرة على ديننا وحتى علينا نحن انفسنا. انها لا تتلائم معنا بسبب الجهل المتفشي فينا والذي يجعلنا غير مؤهلين للتمتع بامتيازات الادماج، وغير قادرين على ممارسة الحقوق الانتخابية بكيفية مرضية. وعلى ذلك، فنحن لن نقبلها ولا نستعد حتى لقبولها لأن فائدتها والنتائج المرضية التي ستسفر عنها ليست واضحة في الوقت الحاضر.

ولو لم نكن مهددين بالتعرض للالآم المضنية التي ستنجم عن هذه التغيرات التي ستطرأ علينا، لكنا من الأوائل الذين يترجونها للأننا ندرك آثارها السعيدة التي ستضفي علينا، في الحياة الدنيا. ان حمل الأسلحة الحربية هو فضل كبير في أعيننا ولكننا لا نستطيع التضحية بديننا من أجل امتيازات دنيوية.

ان ما يعتز به المسلمون، أكثر من أي شيء على الأرض هي عقيدتهم وأولادهم ولن يقبلوا أبدا التخلي عن الشيئين الأعزين اللذين هما موضوع حنانهم وأن الأخطار التي نشير اليها هي أخطار حقيقية وان تعلقنا بديننا هو أفضل برهان يمكن الاستفاد اليه للتدليل على وفائنا الدائم وحرصنا الشديد على تنفيذ جميع التعهدات التي التزم بها أجدادنا نحو الحكومة الفرنسية.

ومع ذلك،، فباب الاندماج مفتوح على مصراعيه أمام كل من يرغب في الوظيفة كما نلاحظه الآن عند عدد كبير من الجزائريين الذين هم من جنسنا، ومن ناحية أخرى فان النتيجة الأولى التي ستنجم عن المشروعين المعنيين هو الغاء معاهدة الاستسلام التي سبقت الاشارة اليها وهذا بعد ان تم تنفيذها وتكريسها مدة سنين طويلة.

ان هذه المعاهدة تمثل نوعا من وصية أوصى بها الجد الكبير كإكرامية مقابل الحصول على التعويضات التي له حق الانتقاع بها. وبما أن أحكام هذا التعاقد قد تحققت وفقذت في مجموعها فلا يحق للمستفيد أن يلغى هذا التعاقد سواء من وجهة النظر القانونية أو من زاوية مصلحة السياسة الافريقية، لأن متطالبات السياسة الأوروبية لم تكن قد أخذت بعين الاعتبار في الزمن الذي وقع فيه هذا التعاقد.

وعلى ذلك، فكم كان قلقنا عظيما عند انتشار هذا الخبر وبلغ علمنا لقد أصبحت الحياة قاسية جدا بالنسبه للكبير منا والصغير على السواء، وأصبحنا فريسة للغم والحزن الشديد وبالرغم من ذلك، فنحن ندرك أن الأمة الكبيرة التي تتحلى بمشاعر جد عادلة والتي تسترشد بمبادىء الحرية سوف لن تسمح بحدوث أعمال مضره بالدين، بل على العكس إذ هي تتكرم بترخيص ممارسة جميع العبادات واحترام المعاهدات وبكونها تحرص دائما على تعويض تعلق رعاياها بها بتجنب اتخاذ قرارات من شأنها أن تبعد قلوبهم عنها.

ففي كل مرة تريد تحقيق هدف ما، فهي لا تهمل أبد ضرورة الأخذ بعين الاعتبار الزمن والمكان والناس، إذ هي تدرك جيدا أن الحوادث مرهونة بساعتها. ولقد استوحت حكمتها من رجال موهوبين ذوي عقول راجحة ونزاهة كاملة وأظهرت براعة في اختيار وجهات النظر التي تظهر فائدتها لكل من يريد ان يتجنب خيبة الأمل.

وفرنسا تعرف كذلك، أن الأراضي الجزائرية واسعة جدا وأنه يحيط بها سكان أجانب كما أنه يقيم عليها أناس ينتمون الى مختلف الأجناس وأنها لن تكون محمية بدرجة كافية ضد مشاريع بعض المتهورين خاصة عندما تصبح في حوزتهم أسلحة عسكرية.

اننا نقدم لسعادتكم عرض حال عن وضعيتنا كتعبير عن وجهة نظر وكترجي كذلك، لدفع الخطر عنا والذي يهددنا بكل تأكيد والذي يتمثل

في المشروعين اللذين تقدم بهما السيد مارتينو. يجب إبعاد هذه الأخطار عنا نهائيا بالابقاء على الوضع القائم الذي نحن عليه. ذلك أن الأختيار الوحيد الذي نفضله نحن مسلمو الجزائر هو الأبقاء على وضعنا كما هو وعلى ديننا وشريعتنا وتقاليدنا كما حافظ عليها حتى الان رؤساء حكومة فرنسا.

وإذا ما تكرمت فرنسا بالعمل من أجل وضع حد للتعسف والظلم الذي تعاني منه بصفة خاصة، وهذا خارج موضوع عريضتنا هذه، فان قرارها سنشرقه وسنعتبره برهانا جديدا على دماثتها وكرمها وهو ما سيضمن لها في المستقبل تعلق جميع القلوب بها.

هذا هو الرجاء الذي نتقدم به اليكم وهذا هو حالنا الذي نريد اطلاعكم عليه واننا نأمل أن تحضى هذه المطالب بقبول سعادتكم وان لا تترك مهملة منسية وأن تهتموا حقيقة بتحسين وضعيتنا الاجتماعية وحمايتنا من الأخطار التي تهدد ديننا وأرواحنا في نفس الوقت. كما نأمل أن نتلقى جوابا مرضيا يطمئن قلوبنا التي استحوذ عليها القلق الشديد ويسعدنا بتبليغنا قبول رجائنا.

وأخيرا، تأمل من سعادتكم أن تكونوا قد تقبلتم بعطف، الشكوى التي بعثناها اليكم في عام 1887 من أجل اعادة صلاحيات النظر في القضايا التي تخص أمور شريعتنا الى قضاتنا والتي هي اليوم تندرج ضمن صلاحيات القضاة الفرنسيين.

اننا ندعو الله أثر كل صلاة ليمنح لكم التوفيق والنصر والمجد.

لقد بعثنا لسموه رئيس الجمهورية الى باريس النسخة الأصلية من هذه العريضة التي تحمل 11791 توقيعا كلهم مسلمون من دائرة تلمسان وفيهم موظفون في المدينة ورجال الدين والقضاة وغيرهم وكذلك تجار وملاك ومزراعين ورجال الصناعة.

ونرجو منكم قبول تحياتنا، ملئها الاحترام العميق

تلمسان 7 أفريل 1891

61 ـ جواب بعض أعيان قسنطينة عن استجواب اللجنة البرلمانية الفرنسية التي وفدت على الجزائر خلال ربيع 1891[1]

الحمد لله

لما بلغنا اشتغال الدولة الفرنسية بتأسيس أمور المسلمين سكان بر الجزائر وإصلاح حالهم وجلب المنفعة لهم ودفع المضار عنهم وتحقق عندنا ذلك بقدوم المعظم السيد فرانك شفو أحد الأعضاء بالسيناً (مجلس الشيوخ الفرنسي) لبلدنا ودعائه إيانا للحضور لديه بواسطة السيد البريفي وحضرنا نحن وجماعة بيرو الكونساي جنرال وسمعنا ما وقع من الكلام من أولئك السادات وعرفنا من لسان السيد السنتور المذكور المسائل التي نحن مسؤولون عنها ومحتاجون للجواب عليها وطلبنا منه أن يأذن لنا بالجواب عنها بالكتابة وأباح لنا ذلك على سبيل الاطلاق بحيث يمكننا أن نتكلم فيها أو في غيرها من الحقوق وكنا نحن وكلاء على عامة المسلمين سكان عمالة قسنطينة، وكان الواجب بطريق الشرع والسياسة على الوكيل أن يقوم بحق موكله بالجد وغاية الجهد ولا يبالي قائل ولا بلوم لائم، فشر عنا حينئذ في التأمل والتدبر فيما يجب في الجواب عن كل مسألة بكلام مختصر مفيد. ولا شك أن عقول أرباب الدولة الراسخة تفهم شرحه وايضاحه فنسأل الله ــ تعالى ــ الاعانة والالهام للصواب ونقول المسألة الأولى حال المسلمين

---

(1) المصدر: مجلة الشهاب صفر 1357 (أفريل 1937) وهذه الوثيقة منشورة أيضا في: د. عمار طالبي «ابن باديس حياته وآثاره» ج 4، ص ص 23 ــ 32 الجزائر 1968.

مع الكولون الفرانسيويين فالجواب عنها أن المسلمين سكان اقليم ا لجزائر مثلهم كمثل الأغنام التي رعاتها عاجزون عن القيام بها على الوجه الأكمل وسبب ذلك أن الحكام الآن مربوطة أيديهم على صرف الأموال في المصالح العمومية ولا يقدرون أن يحدثوا شيئا الا بمساعدة وموافقة من أعضاء الديوان العام في العمالة المعبر عنه بالكونساي جنرال وانه لا يكون فيهم الا الخمس أو السدس من المسلمين وان الكثير من الأعضاء الفرنسويين لا يكترثون بعامة المسلمين ولا يبالون بمنافعهم ويعز عليهم صرف المال في مصالح الملسلمين الخاصة بهم فلا يكون حينئذ للمسلمين ناصر ولا معين لان كلمة اخوتهم المسلمين في الكونساي جنرال كلا شيء. ومع هذا فان الكونساي جنرال يطلب المرة بعد الأخرى ابعاد المسلمين عنهم واخراجهم من بينهم. نعم قد يكون بعض الأعضاء الفرانسويين راغبا في مصالح المسلمين ولكن لا يجد سبيلا لذلك لقلتهم بالنسبة لغيرهم وربما لا تسعهم مخالفة اخوانهم، ومثلهم الحاكم فانه مربوط اليد على التوصل الى جانب المنفعة للمسلمين والأصل في ذلك كله أن الكثير من الكولون سكان اقليم الجزائر ضد للمسلمين ولا يحبون لهم الا الضعف والتلاشي والهلاك ووكلاؤهم في الديوان العمومي يسيرون على حسب غرضهم وقصدهم.

وأما الحكام مع كونهم مربوطة أيديهم كما ذكرنا فإذا ظهرت منهم الحمية على المسلمين توجه لهم الكولون بالاذاية والذم في الجرنالات وغيرها فمنهم من يصبر لذلك ومنهم من يتقلق ويكره وظيفته، ويرغب في الرجوع لفرنسا وها نحن نبين سبب حقد بعض الكولون أو الكثير منهم على الممسلين. وذلك السبب أمر باطني يعتقدونه في عقولهم ويظنون ان المسلمين منتصبون دائما لايقاع الاذاية لهم والأضرار بهم في أموالهم أو ذواتهم ويزعمون ان دين الاسلام هو الذي يحرضهم على ذلك وخصوصا القرآن وقد رأينا في بعض الجرنالات كلاما منسوبا لبعض السادات في السينا يوافق ما يعتقده الكولون في جانب المسلمين من أن القرآن يحرضهم على الجد في إذاية الفرنسيونيين وذلك غلط صراح.

أما أولا فان الركن الأعظم في الدين الاسلامي الصلاة خمس مرات بين اليوم والليلة وهي لا تقام الا بقراءة القرآن، والا تكون باطلة فهذا هو السبب الذي أوجب على المسلمين قراء القرآن وتعليم أولادهم له في المكاتب ليحصلوا بذلك معرفة القلم العربي ومعرفة اللسان العربي الخالص الذي تكتب به الكتب ويتوصلون الى حفظ القرآن وقراءته في الصلوات.

وثانيا فان دين الاسلام يوجب على المسلمين الوفاء بالعهود وعدم الغدر والمكر وعدم الفساد في الأرض، ولولا خوف الاطالة لجلبنا النصوص الدالة على صدق قولنا من الكتاب والسنة. ومن جملة ما يقوي الحقد في قلوب الكولون انه مهما تقع من مسلم جناية الا ويسبون بها جميع جنس المسلمين ويعيرونهم بذلك في الجرنالات وغيرهم و لم يتأملوا في أن ما يفعله أصحاب الجنايات المعروفين بالجرأة هو من طبعهم من زمن ولاية الاسلام ومع ذلك فان كثير ما يصدر منهم يقع على اخوانهم المسلمين. وأيضا فان الجنايات لا يخلو وقوعُها في كل بلد وفي كل أمة. والحاصل ان الذي يعتقده المسلمون وخصوصا ذوو الخبرة بأحوال الدول ان الدولة الفرنسوية أشد رفقا وحناقة على رعيتها وانها تراعي جنس الخليقة الأدمية من غير نظر للمخالفة في الدين أو في الطبيعة وانها ترغب دائما في تبديل طبيعة أهل الغلاظة وجلبهم الى التمدن واتقان الخدمة وحسن العيش والامتزاج والمؤاخاة. ولكن لم يتم ذلك المراد لبعدهم عن المسلمين وعدم اطلاعهم على أحوالهم فلو كان الفرنسوين المقيمون باقليم الجزائر مجتهدين فيما هو غرض للدولة ومساعدون للحكام على صرف الأموال في الأمور التي تصلح حال المسلمين وتخرجهم من الظلمة الى الضوء وتسدد أحوالهم ولا يبخلون بصرف الأموال في الأسباب التي ينتج منها ما ذكر كاستعمال المدارس ونحو ذلك فلا شك ان قصد الدولة يتم والمرض الذي في المسلمين يزول ويعم الخير والنجاح جميع الناس في أمد قليل فيتخلص مما ذكرنا ان المسلمين أن نالوا خيرا بسبب اجتهاد الحكام وتعبهم في ذلك كما وقع ذلك مرات من بريفي

عمالة قسنطينة وخصوصا وقت المسغبة ونزول الجراد فهم فرحوا واستبشروا وإذا نزل بهم أمر مضر صبروا على مصيبتهم التي تؤديهم الى الفقر والخصاصة وسوء الحال ولم يجدوا ناصرا كضيق الأرض عليهم وانتزاعها من بعضهم وثقل المغرم عليهم واجراء الأحكام على من تراخى في دفع المغرم، أو عجز بالخطية والحبس على حسب ما يقتضيه قانون لا تديجينا وغير ذلك مما يطول شرحه؛ وخصوصا واقعة السكيسطر على التهمة بايقاد النار من غير حجة قاطعة. فينبغي للدولة أن تتنبه لهذه الأمور وتتخذ طريقا يتوصل بها المسلمون الى حقوقهم ويستعملون لهم نوابا في المجالس الكبرى على المنوال الذي يتأتى ويمكن على طريق السداد. ونرغب من السيد السينتور ان يتأمل في البرشور الذي كنا استعملناه في شرح[1] حال العرب في تاريخ الرابع والعشرين من أفريل عام 1882، المسألة الثانية ادخال المسلمين جملة في «الناطور اليزاسيون» واعطاؤهم الحرية الكاملة في اختيار أعضاء النواب عنهم في ديوان العمالة أعني «الكونساي جنرال». الجواب عن هاته المسألة لا يخفي على أحد أن المسلمين وخصوصا سكان البوادي قليلا ما يكون منهم من يدرك المقصود من كل حاجة وما ينتج منها وكثيرهم في غاية الجهل والغلاظة حتى انه إذا أظهر لهم بعض الأفراد بحسب عقله الفاسد ان القصد من هذه الحوادث الأضرار بهم وافساد دينهم أو غير ذلك رسخت تلك المقالة في أذهانهم وجزموا بها وحصل لهم غاية القلق بخلاف الناس العقلاء العارفين للأمور فانهم يعلمون ويتحققون ان قصد الدولة من ادخالهم في «الناطور اليزي» توقيرهم واحترامهم وتسهيل الطريق للتوصل الى حقوقهم. لكنهم لا يرغبون في ذلك مراعاة لما يقع من الخلل في مسائل دينية كالميراث والنكاح والطلاق وغير ذلك، فبهذا السبب لا تجد الا أفرادا قليلة يرغبون في «الناطور اليزي» وأما انتخابهم المنواب عنهم فلا يليق بهم

---

(1) أصدر هذه الكراسة السادة: أحمد بن سليمان،، حميدة بن باديس والسيد الأخضر بن بركات. وعمار بن نعيمي. و ترجمت الى الفرنسية من طرف السيد ميرسي ونشرت في شهر ماي 1882.

لجهلهم للأمور وكونهم مربوطين دائما لكبرائهم من حكام أو غيرهم فينتج حينئذ ان اختيار النواب يكون على حسب غرض بعض الأفراد لا على حسب غرض العامة وربما يتولد بينهم الهرج والمناقشة فبهذا السبب ينبغي أن يكون أمرهم في ذلك مفوضا لحكام الدولة لأنهم بحسب الجهل الموجود في كثيرهم والاعتماد في أمورهم على رأي غيرهم صاروا كالمحاجير. نعم انما يليق بهم بعد زمان وذلك حين تنتقل طبيعتهم في الغلاظة الى التمدن لكن ينبغي للدولة ان تزيد في عدد نواب المسلمين في «الكونساي جنرال» وأن تجعل لبعض أولئك النواب مدخلا في مجمع «الكونساي سبريور». وإذا أرادت الدولة الجد في نفع المسلمين فينبغي أن تجعل لهم نوابا بالقامرة من أبناء جنسهم، ان أمكن أو من الفرنسويين ويكون اختيار النواب الفرنسويين بنظر نواب العامة من المسلمين في الكونساي جنرال مع شخص أو شخصين من أعضاء «الكونساي منسبال» المسلمين يعينهم «الكونساي منسبال» من كل «كمون» وينبغي للدولة ادخال أعضاء «الكونساي منسبال» من المسلمين في اختيار «المير» كما كان الأمر في السابق لأن «المير» وخصوصا في الفلاجات هو الحاكم في كل شيء وكثير من سكان الكمون هناك مسلمون باضعاف فكيف يمنعون من اخيتار من يليق بهم ويعرف أحوالهم؟

المسألة الثالثة: الزام المسلمين بالدخول في خدمة العسكر بالجبر على حسب الترتيب الجاري في فرنسا، الجواب عن هاته المسألة انها ثقيلة على كافة المسلمين لا يرضون بها ويتألمون منها غاية بحسب ما يراعيه ويخممه كل طائفة منهم وخصوصا الجبر والالزام وحيث يكون الأمر كذلك فالأولى والأليق فتح الباب للناس في الدخول في عسكر الطريور فانه يوجد العدد الكثير ويحصل المقصود بالغرض وطيب النفس. نعم قد جرت العادة انه إذا احتاج جانب المخزن للاستعداد للحرب في نازلة يطلب من سكان الأعراش الاعانة في ذلك ويعين على كل فريق عددا معلوما فينقادون لذلك بلا كلفة فغالب الظن إذا طلب جانب المخزن من كل عرش عددا معلوما يحملون السلاح ويتعلمون

الحرب والسفر أمدا معلوما فانهم لا يخلون بذلك وأيضا فنبغي التأمل في انه إذا صار أهل البادية كلهم حاملين السلاح ربما تقع بعض الفتن، ولو مع بعضهم بعضا. ألا ترى أن من جملة عوائدهم الفاسدة إذا تشاجر أحد من عرش مع واحد من عرش آخر قامت الفتنة بين الفريقين وتضاربوا بما يجدونه بأيديهم وربما تقع بينهم الموت فأنظر إذا صارت أيديهم عامرة بالسلام مع هاته الطبيعة. المسألة الرابعة: في ذكر ما نزل بالعرب من الفقر وسوء الحال بسبب انتزاع الأرض منهم وعدم قدرتهم على مفارقتها، والرضى بالبقاء فيها بالكراء الغالي الذي يوقعهم في ضعف الحال وذهاب المال وذلك ان كثير من الكولون لما يأخذون الأرض ولا يقدرون على خدمتها والقيام بها وتحصيل الفائدة منها يؤول أمرهم الى اكرائها الي العرب بالسعر الذي لا يقدر المكتري على تحصيله وتحصيل معاشه والمغرم اللازم له فيتلاشون ويعجزون عن الحرث ولا يجد رب الأرض لمن يكريها فيبيعها ان أمكنه أو يتركها وينتقل وبهذا السبب لم تتم عمارة «الفلاجات» كما ينبغي، ويوجد كثير أراضيها خاليا والعذر محقق للكولون في العجز عن تعمير الأرض لأن أرضنا وان كان ترابها جيدا فانها معدومة الماء الا في مواضع قليلة وان الحمى لا تفارق النوحي الكثيرة منها وتضر الذوات التي نبتت الأرض الجيدة الصحيحة كأرض فرنسا وبالجملة فكثير أرضنا بالنسبة لقلة الماء كذات بلا روح. المسألة الخامسة في كيفية تمليك أراضي العرش لأربابها وتميكينهم بالعقود الذين يتوصولون بها الى البيع والرهن وغير ذلك. الجواب عنهاا ان ذلك الترتيب وان كان فيه عدل وانصاف ووفاء بالحقوق لكنه لا يناسب حال الأعراش وما جرت عليه عادتهم من التداخل في بعضهم بعضا والانتفاع بالمرعي مع بعضهم. ولما وقع ما ذكر أولا:

تمزقت أراضيهم ودخلها الأجانب وحصل لهم ضيق في انتفاعهم بأراضيهم ضد ما كانوا عليه سابقا ولا شك ان الأليق بهم لو أبقتهم الدولة على حالهم السابق من الانتفاع بالأرض فقط كالحبس، وليس لهم البيع ويدفعون الحكر الذي هو منزل كالرّنْط على الكونسيسيون فبذلك

يستقيم حالهم ويكونون في غاية الهنا في عيشهم ولا يقدر واحد أن يضر بأخيه، وأما إذا صار هذا يبيع قطعة من ناحية وهذا يبيع قطعة من أخرى انحلت عليهم أبواب الهرج والاختلاط مع من لا يناسب قصده طبيعتهم. وأيضا ففي بقائهم على حالهم منفعة لجانب البايلك من حيث انهم يدفعون الحكر. المسألة السادسة: قضية الشريعة، الجواب عنها أن الدولة الفرانسوية كانت احترمت شريعة الاسلام وأمرت باجرائها على أصلها ونصبت القضاة في كل ناحية وضبطت أمورهم بقوانين مؤسسة على أحسن ما يكون وأباحت لمن شاء من المسلمين اعادة النظر في خصومته لدى مجالس «الطريبونال» و «الاكور» واستمر الحال على منوال حسن الى ان برز القانون المؤرخ بسبطامبر سنة 1886 فردت خصومات المسلمين الى «الجوج» على أن يحكم بينهم بمقتضى شريعتهم. و لم يكن ذلك، وصارت الأحكام تقع بين المسلمين على خلاف شريعتهم ولاجل ذلك يقع كثيرا تكسير أحكام الجوج في مجالس «التريبونال» اذ تعاد. ومع هذا فلما كانت أشغال الجوج كثيرة ولا ينتصب لحوائج المسلمين الا مرة في الجمعة ويحتاج في فهمه للقضية بواسطة الترجمان الى زمان طويل ويحتاج أيضا طالب الخصومة الى المصروف الذي يبلغ في كثير من الأوقات الى أزيد من الحق الذي يطلبه ويتعطل طالب الخصومة على اشغاله بسبب تردده الى محل الحكم، وتأجيل خصومته الى جمعة بعد جمعة، فضاعت الحقوق وصار الناس يأكلون حقوق بعضهم ويقع بينهم بسبب ذلك الحقد والاذاية لبعضهم بعضا. والحاصل ان القانون المذكور أضر بالمسلمين غاية الضرر وخصوصا من جانب ابطال الاسيسورات وعدم تسمية من مات أو عزل وحط درجة من لا زال موجودا من المشاركة في النظر الى المشورة فقط مع أن «الاجواج» الفرنسويين محتاجون للاستعانة بهم فإذا أمكن الدولة ان تبطل العمل به وتأمر بالعمل بالقانون البارز عام 1866 ففي ذلك خير للمسلمين وان لم يمكن ذلك بدلته و لم تبقه على حاله. ولو تتبعنا شرح المسائل التي أضرت بالمسلمين بسبب القانون المذكور في شريعتهم وقعنا في الأطناب في الكتابة.

والمسألة السابعة: قضية المغرم على المسلمين، الجواب عنها: لا يخفى على أحد ان المسلمين يدفعون المغرم على طريقين واحدة على حسب عادة الاسلام في الزمان السابق وواحدة على حسب السيرة الجارية بفرنسا ولا شك ان في ذلك ثقل لأن الرجل صار حاملا لحملين وقد حصل للناس ضرر وخصوصا من جانب ما جرى به العمل من ان الرجل ينسب له ما لا يملكه من الحيوان وغيره ويلزم باداء المغرم عنه وان عجز أو تراخي عن الدفع يقع عليه الحكم بالخطية والحبس. وآخر ما نختم به كلامنا أن تأسيس اقليم الجزائر مثل بناء قصر عظيم والبناء يحتاج الى أساس والأساس يحتاج الى صانع عارف بالبناء ويحتاج الى الآلات كالجير والحجر والرمل وغيرها. واما الآلات تيسر العيش للناس ونشر العلم والصناعات بينهم ليتحولوا الى التمدن والرّفق بهم والتسوية بين الفريقين، فإذا تمت هذه الأمور كمل بناء الأساس ووجب شكر الصنائع الذي خدمه وهم الحكام، ويكون بعد ذلك تمام القصر وز نيته بحصول المؤاخاة بين الناس، وصفو الباطن وتمام العافية والرفاهية في العيش، ونرغب في وقف على غلط عن شيء مِمًّا قلناه فيصفح كما هو شأن الكرام والسلام[1].

حرر في العاشر من أفريل 1891 محد الطاهر بن الحاج علي معيزة حميدة بن باريس وعمار بن أحمد

(1) الجواب وقعه أربعة أعيان من قسنطينة ولكن الشيخ عبد الحميد بن باديس لم يتبين اسم الشخص الرابع الذي وقع على الجواب.

62 ـ جواب القايد يحيى الشريف للجنة البرلمانية الفرنسية(1)

الحمد لله وحد
في 28 جولييت سنة 1891

الى حضرة المعظم الأرفع سعادة السيد رايس أعضا المجلس الاعلى بباريس بعد اهدا أشرف السلام عليكم كما يليق برقيع مقامكم انه قد ورد علينا كتابكم السامي المؤرخ في 25 ماي سنة 1891 يتضمن عدة مسايل في جانب المسلمين سكان القطر الجزائري تلتمسون الجواب مني اليكم عنها وهي مبنية على خمسة فصول، فالفصل الأول يتضمن شان ترتيب التمليك والأحوال النسبية المقرر لها القوانين المؤرخة سنة 1863 و سنة 1873 وسنة 1887 وما نقول في نتائجها والشروط الواجبة في نزع الأملاك من أربابها على مقتضى القوانين المؤرخة من سنة 1851 الى سنة 1859 وقانون التمييز بالاسما النسبية المؤرخ 23 مارس سنة 1882 والسلف بالزيادة بين العرب وما يظهر في شأن البانكة فاعلم أيها الحضرة السنية ان قوانين التمليك المذكورة لم يعد العمل بها الا بالضرر على الملسلمين إذ الافتدا بها اتلف لهم أراضيهم من أيديهم وجلب لهم خساير واعمال شاقة كابدوها مع كميصارات التمليك والجميطراوات المكلفين بالتحديد فمن سنة 1863 الى

(1) المصدر: «جواب من القايد يحيى الشريف أحمد بن سليمان كونسيي جينرال بعمالة قسنطينة صاحب نيشان الحرمة الساكن بقصر السطير حكم سطيف أجاب به رايس الكمسيون بباريس عن المسألة الجزائرية» سطيف، مطبعة روكا ، 1891.

الآن ما نتجت فايدة من ذلك ولا شهادناها. وكذا الأراضي المنزوعة من أربابها ولقد شاهدنا ثلاثة أعراش من أقرب جهة الينا قد خرجت جميع أراضيهم من أيديهم ولم يبق لبعضهم الا أقل القليل الأول عرش مجانة حكم برج بوعريريج والثاني عرش عامر دايرة سطيف والثالث عرش ريغة كمون ريغة الممتزجة. ولما كان عرش ريغة هذا هو وطني ومسقط رأسي فها أنا أوضح لمعاليكم حالة من جانب أراضيه مما ضاع منها وما بقي للأهالي وذلك ان جملة ترابه 168315 هيكتارا فدخل من ذلك في حيازة الدومين 60000 هيكتارا غيب و 40071 هيكتارا من جانب الخمس والنفاق الخصوصي المضروب به الوطن بسبب فتنة سنة 1871 و 3000 هيكتارا أراضي مخزن و 1500 هيكتارا سباخ ملح بالجملة الصايرة في حيازة الدومين 104571 هيكتارا وأخذ من الباقي للكمينال 30541 هيكتارا فتصير مع ما قبلها 135112 هيكتارا فكلها كانت للأهالي يتصرفون فيها فلما رفعت أيديهم عنها لم يبق لهم بعدها الا 33203 هيكتارا ويوجد في هذا الوطن نحو ستة الأف بيتا تشمل على نحو ستة وثلاثين الف نفس من السكان فإذا وزعت عليهم بقية التراب الخالص لهم على حسب البيوت أو النفوس فلا يتحصل للواحد منهم الا أقل من هيكتار واحد فهل ترى إذا جاء كميصار التمليك لتمليك سكان هذا الوطن كيف يتمكن له أن يقسم هذا النصيب اليسير على الوف من النفوس التي صارت بسبب ما نزع منها الى ضيق كبير حتى أداهم ذلك إلى المحرث بالنصف من الغلل مع الالتزام لصاحب الأرض بشرط إداء الغرامة كلها على الحارث ومنهم من يكترى الأرض بالقيمة الغالية التي تضاهي قيمة الشراء فزادهم ذلك ضيقا على ضيق ولاهم مهرب من ذلك فهذا مما هو صار عندنا ولا شك ان في مواطن أخرى يوجد ما هو أشد منا ضيقا.

وأما التمييز بالاسما النسبية الصادر قانونها في 23 مارس سنة 1882 فليست لايقة للمسلمين جميعا ولا هي في دينهم بل هي غير مقبولة لديهم وما رضى بها من رضى منهم الا قهرا وغلبة إذ يعلمون انه لا فايدة لهم

في التسمية بها وانما تجر الى فساد دينهم الذي هو رأس مالهم، واما السّلف بين العرب بالزيادة فهو ربى وحرام في شرعنا وكذلك البانكة الفرنسوية وانها ما خالطها المسملون الا بسبب الاحتياج اللاحق بهم مع انهم يأخذونها هنا المائة فرنك بزيادة ثلاثين أو أكثر في العام وبغلنا انها في فرنسة توجد الماية فرنك بزيادة أقل من فرنكين في العام فساغ للمجتاج اليها ارتكاب أخف الضررين وهو التسلف من بانكة مثل فرانسة أحسن.

والفصل الثاني ما نقول في الانعام بالأراضي على الفرنسويين أو الا جنبيين وبيعها منهم وكذا انتقالهم من برهم الى الوطن الجزائري ودخول الا جنبيين في الجنس الفرنسوي فالجواب عن ذلك ان الانعام من الدولة بالأراضي الدومينية على الفرنسويين أو الا جنبيين الذين في طاعتهم حسن لكن نرغبوا ان يكون مثلهم المسلم المحتاج للأرض في الأنعام عليه وكما يباح لهم بيعها فلكذك يباح للمسلمين ولا يحرمون منها لأنها كانت بلادهم أولافهم أولى بها من الأجنبيين أعطا أو بيعا لتكون التسوية في الحقوق بين الجميع.

والفصل الثالث ما نقول في غرامة العرب وما يليق لها من التغيير وكذا غرامة القبايل وغرامة الفرنسويين الجزائريين هل ينبغي ان تكون كما في فرنسة أم لا، وفي شان السّخرة وأراضي الدومين وبيعها والغيب وتحديدها وصيانتها والانتفاع بالمياه وطرق الحديد والمراسي ما هو أولى للدولة ان تعامل به أهالي بعض الدايرات المحتاجين للاعانة والمكوس والطرق وخدمتها.

فالجواب عن ذلك هو ان المغارم الواجبة على العرب شاهدنا ها ثقيلة عليهم حيث كانت متنوعة ومع ذلك فلا تخلو من زيادة المتولين عليهم في موجباتها وإذا عارضناهم في ذلك احتجوا علينا بالقانون فما يلزمنا حينيذ الا السكوت والصبر وكذلك المكوس في ضررها فينبغي للدولة ان تتدارك

ذلك بما يتمكن لها من تخفيف المغارم والمكوس عن الأمة، وأمّا أراضي الدومين فينبغي ان يباح بيعها لكل طالب سوا كان فرنسويا أو عربيا أو أجنبيا كما تقدم قريبا، كما أن معاملة الدولة للمحتاجين من أهالي الدايرات مسلمين كانوا أو نصارى وانعامها عليهم بما تنجبر به أحوالهم من الدراهم أو أراضي الدومين فهو من عدلها واحسانها فينبغي لها أن لا تنسى التفضل والامتنان عليهم، واما ما عدا هذه المسايل المذكورة في هذا الفصل بالظاهر ان يبقى كل شي على حاله المعلوم به.

والفصل الرابع السوال عن تعليم العربية والفرنساوية وما نتج منه وما ينبغي له على حسب قانون سنة 1883 وتعليم الطب للعرب والقبايل والشريعة الاسلامية والفرنساوية من قضاة وجوجوات والشرع الجاري بوطن القبايل والتراجم وما يجب في محاكم الجرايم المعبر عنها بلا كورد اسيز والا عوان وجلب العافية والقانون المعروف بلاند يجينه وترتيب البلدة الممتزجة وضمان الأهالي المشترك ودخول العرب والقبايل في الجنسية الفرنساوية وما يتحصل من الفايدة إن ادخلوا في سلك الجند العكسري.

فالجواب عن ذلك هو أن التعليم للفرانسيسية والعربية مما يجب الا الاعتنا به والاجتهاد في تحصيله وغاية قصدنا تكثير المدارس وكل مدرسة يكون فيها معلمان أحدهما لتعليم التلامذة اللغة الفرنسوية ومما يتعلق بها والآخر يعلمهم القرآن العظيم وأحكام دينهم من صلاة وصيام وغيرهما كي يكونوا محافظين على ما فرضه الله على كل مكلف وأما الاقتصار على تعليم اللغة الفرنسوية خاصة فلا ينتج منه الا نسيان دينهم وجهلهم بمعالمه وفي ذلك ضرر عليهم لا يخفي على كل عاقل فكان من الواجب اصلاح دينهم ودنياهم، واما تعليم الطب فهو من أهم الأمور ويحق للمسلمين الاعتنا بمعرفته، وأما الشريعة الاسلامية والفرنساوية وقضاتهما فلا ينخفي ان ضدين لا يجتمعان. فان الشريعة الاسلامية مبنية على القرآن العظيم والحديث النبوي فلم تزل ثابتة الأصل لا فيها زيادة ولا نقصان ومن خالفها فقد

حاد عن سوا السبيل وقضاتنا يتحكمون بها ويفصلون النوازل بين الخصما في الزمن القصير ولا يلحق الخصماء كثير من المصروف في جميع الا شيا تافهة كانت أو ذات بال، والشريعة الفرنساوية بخلاف ذلك لأنها مبنية على القوانين والقوانين حادثه ومختلفة بحسب أغراض المولفين لها بنظرهم لما يناسب الفرنساويين في فرانسة وحكام الصلح يتحكمون بين المسلمين بها بلا تعديل ولا تجريح ولا تزكية وانما إذا اتاهم الخصم بشاهدين ولو كانا فاسقين غير عدلين فيحلفهما ويقبل شهادتهما ويتحكم بها على الآخر على ما شاهدنا فلم يمكن الجمع بينها وبين شريعتنا وبذلك لم ينتج من العمل بها الا الضرر للمسلمين في دنياهم. ودينهم فاما في دنياهم فلما يعرض للخصما من كثرة المصاريف ولو في حاجة تافهة والتطويل بفصل النوازل حتى يتحصل الملل من ذلك ويسلم صاحب الحق في حقه، واما في الدين فالحكم بغير ما أنزل الله في كتابنا، فالمطلوب من الدولة ان ترد شريعتنا الى أصلها فيصير لها مطلق النظر في جميع الأشياء الذاتية والمالية، كما أن الشريعة الفرنساوية لها الحكم في الجرايم من قتل وسرايق وجراحات وجميع أنواع الجنايات والتشديد بعقاب الظلام والبغاة لتتقرر العافية والهنا في المواطن كلها، واما الشرع الجاري بوطن القبايل فلا يليق بهم لأن لفظ الاسلام يشمل العرب والقبايل وشريعة المسلمين متحدة فلا محيد لهم عنها، وأما المترجمون فيحق اعدادهم فما في الامكان أكثر مما هم عليه لا نهم الواسطة بين الفرنساويين والمسلمين لا كن يشترط فيهم أن يكونوا من البلغا في اللغتين نطقا وكتابة سوا كانوا فرنسويين أو مسلمين أو اسرايليين ومن كان غير بليغ فلا ينال ذلك. لأننا شاهدنا بعض التراجم قاصرين عن الا ستيفا بما يلقي عليهم من الجانبين ويترجمون على غير صواب فيحصل من ذلك التغليط للحكام وتصير ترجمتهم سببا باعثا لضياع الحقوق. واما محاكم الجرايم والاعوان ولا نديجينه وترتيب البلدة الممتزجة فليس لي كلام فيهم وانما لكم الاجتهاد فيها تستقيم شونهم، واما جلب العافية فلا يتم الا بقهر الظلام والمتمردين والتشديد في عقابهم ولا يقهرهم الا التفويض للحكم المخزني في أمورهم الرديئة، وكذا

الحكم الشرعي لا يفلتهم كما كان عليه الامر أولا. لأن في هذا الوقت قد انحل الحكم باتساع الحرية وكثر الظّلاّم والمعتدون وصاروا يتجرأون على من هو أضعف منهم فينهبونه وشاهدناهم احضروا امام حكام الصلح المنتهي اليهم أمرهم فاطلقوا سالمين بلا عقاب فكيف لا يعودون الى ارتكاب ما كانوا يفعلون. واما الضمان المشترك فلا نريدوه إذ فيه ظلم من كان بريا من الذنب والله يقول من يعمل سؤا يُجزى به، وأما الدخول في الجنسية الفرنساوية فهو أمر عظيم علينا لأنه الخروج من ديننا وشريعتنا وتبد يلهما علينا ودخول المسلم في غير دينه كفرو نحن لا نرضوا به ولانقبلوه وغاية قصدنا ان المسلم يبقى مسلما والفرنساوي فرنساويا من غير تحويل احد عن ملته فلكم دينكم ولنا ديننا. واما ايجاب ادخال المسلمين في الخدمة العسكرية والزامهم بها مثل الفرنساويين فذلك لا نرضوا به لما فيه من المضار العايدة عليهم من ترك دينهم الواجب عليهم التحفظ به وتضييع فوايدهم ومصالحهم وخد متهم على عوايلهم، واما من جاكم مختارا الدخول في العسكرية كالعادة فهو في اختياره ونرضوا به.

والفصل الخامس ما نقول في ترتيب الأمور المخزنية مما يجب على الوالي العام وعمال العمالات وتعيين أمورهم وتنظيم الوطن الجزايري ايحق أن يكون كما فرنسة أم لا وهل يليق اتخاذ وزير للأهالي الجزايرية على مقتضى الاوامر البارزة ما بين سنة 1858 الى سنة 1860 وما يتعين فيمن يكون منتخبا من المسلمين لأن يكون عضوا في أي مجلس كان هل الاليق ان يكون مختارا من جانب الدولة أو بالقرعة وهل ينبغي للعرب أن يدخلوا مع الفرنساويين في التقريع على من يكون أولى للولاية في القامرتين وهل يحتاج العرب أن يكون منهم أعضا بكمسيون الكونسيل الا على بالجزاير وما يليق له من تغييرا وتبديل وهل يجب ان يبقى العمل جاريا على مقتضى الأوامر والقوانين الجارية أو يصير جريانها كما في فرانسة.

فالجواب عن ذلك ان كل ما تقدم ذكره في هذا الفصل ينبغي أن يبقى كل شي على حاله دون تغيير ولا تبديل ماعدا الأمور الآتية وهواننا نود أن يكون من المسلمين أعضا في القامرتين وفي الكونسيل الا على بالجزاير ويكونون قد اختارتهم الدولة لأنها أعرف بمن هو صالح لذلك من ابناء جنسنا ولا يكون عليهم تقريع أبدا لأن القرعة تكون النفس بين المقترعين ويفسد الأمر بينهم ويقع من ذلك تعيين بعض الا راذل الذين ليسوا باهل لتلك الوظايف الرفيع شأنها. وأما من يتعين من الفرنسويين للولاية بالقا مرتين بالقرعة فيجب اجتناب المسلمين من ذلك وعدم الدخول مع الفرنسويين في التقريع عليهم على كل حال، وهذا الذي أدركه فهمنا من المسايل المشار اليها وقد اجبناكم عنها بما حضر لدينا من الأجوبة ونرجو منكم الصفح والتجاوز عنا إن كنا قد اخطانا في شي منها مع مزيد من احترامنا لعلو مقامكم والسلام من يحيى شريف أحمد بن سليمان-اجوان-بريغة كونسيل جنرال حكم سطيف عمالة قسنطينة امنه الله آمين.

63 ـ «شكاية وقعت من أعضاء المجالس البلدية من أهالي الكومونات الآتية أسمائهم وهو: كمون واد سقان وقطار العياش وعين سمارة»[1]

مقالة غريق أمام طبيب شفيق

الحمد لله

مقدمة:

إيها السادات أعضاء المجلس الأعلى أحد أعضاء المجلس البلدي يطلب من سيادتكم ان يرفع صوته لكم بالوقار والاحترام عنده وروده كم لى اقليم الجزاير الا حسن ومرحبا بوصولكم الينا بلا طاقة لي أن نجعل هنا خطبة تشتمل على جميع المسألة الجزائرية لقصور همتي لأن هاته المسألة المهمة المرتبكة التي اضطربت منها العقول بفرانسة وخصوصا الجزاير لا يمكنني تدقيقها كما يجب بل لا نجد من يفصلها غاية الا الأعضاء المعينون من وكلاء القامرة الرفيعة الجمهورية الفرانصوية التي لنا فيها أمان عظيم فنرجو منها قضاء ما نومله واتكا لا على ذلك الترجي وسعيا في مصالح عامة الجزايرية قد عزمت بالاحترام ان بنين لسعادتكم خدمة جعلتها زمن الفراغ بعد التأمل في حوادث الأيام مشتملة على أخبار واضحة حقيقية ولا شك انها تفيدكم في أمور كثيرة فالمراد من سعادتكم أن تنطروها بعين الرضى وتلمحوها بفكركم زمنا يسيرا وهي تنقسم على تسعة فصول سنذكرها مفصلة.

---

(1) المصدر: «شكاية...» قسنطينة مطبعة مارل د.ت. (1891).

الفصل الأول في بيان حالة العربي بمنزلة الغريق.
الفصل الثاني في سبب هلاكه.
الفصل الثالث في تعريته.
الفصل الرابع في كيفية قبض الغرامة.
الفصل الخامس في شأن القانون المعبر عنه بلاند بحنة.
الفصل السادس في التعليم.
الفصل السابع في الشريعة الاسلامية.
الفصل الثامن في الانتخاب.
الفصل التاسع خاتمة وطلب.

فاما الفصل الأول في حالة غريق امام طبيب شفيق، ففي قولنا في هاذا المعنى غريق يدل على الجنس العربي الطبيب يدل على محب الهيئة الانسانية وهم السادات أعضاء المجلس الا على الجمهوري فكيف لا يعرف بحالة غريق الانسان الذي قرب غرقه في معظم الماء في حالة العربي المقهور المنزوع عليه ملكهُ حتى أدركه الفقر وبلغه نهاية الاحتياج وكيف لا يعرف بطبيب شفيق أعضاء الديوان المذكور الذين بلغوا مجهودهم في المسألة الجزايرية وبينوا نور الحق في الحالة المسية المستعملة للعربي وشرعوا معا في إيضاحها للأمة الفرانصوية المضطربة من أجل حالته المشومة المكدرة فلا ريب انها في نفس الأمر كذلك. نعم إن ذلك الغريق المسكين تراه مطروحا في الأرض مغشيا عليه وهو مختنق عادم التنفس حتى كادت روحه ان تزهق وبقربه طبيب شفيق حنين متألم القلب تشبه حالته وهو يتأمل فيه مفكرا نفسه بحزن في الدواء النافع له لعله يمنعه من الموت وإذا بوجهه الفايق ظهرت عليه علايم الفرج ولماذا لأنه اعترف بحالة المريض مضره شديدة ولاكن بروها يكون إن شاء الله فهل يبروه أو تيركوه متوجعا؟ المستقبل يعرفنا بذلك.

الفصل الثاني في سبب غرقه، عند مشاهدتكم الغريق أمامكم فأول ما يخطر ببالكم المشوش هوا البحث على ما كان سببا لذلك الغريق، ففي

هاذه الحالة سنلقي ذلك السوال بقولنا ما السبب الأول في حالة العربي الأن ونطلب الأسباب في خروج فرانصة على السيرة المحمودة الملتزمة بها لحفظ حقوق الجنس المغلوب، فبمقتضى العهد الصادر بالجزاير بتاريخ عام 1830 كانت فرانصة الغالبة التزمت بانها تحترم الدين والعوايد الاسلامية وتبقى كل أحد على حقه ولا تغير من تلك الحالة الموجودة شيا لا كن بعد مدة انخرم ذلك الوعد المحترم من جهة الغالبين وبدؤوا بنزع الاملاك الترابية والاخذ لجميع الأحباس الموجودة في ذلك الوقت واستمرت هاكذا على التغيرات العظيمة مع انها التزمت بعدم التغير وزعمت في ذلك ان العرب هم الذين نقضوا شروط العهد أول مرة ببقايهم مسلحين ومضادين على الغالب ومغتنمين للماوقات ليقيمون فيها ويطردونهم من الوطن. وعلى تقدير وفق ذلك فأهالي شرق الجزاير هل هم ضامنون فيما يقع عند غربي أهل الجزاير وهل يكون من الصواب معاقبة سكان القالة عند وقوع فتنة في العمالة الوهرانية مثلا وفي مثل ذلك يقول حكماء العرب كل شاة معلقة برجلها ومعناه في اللوغة الجارية كل شخص مسول عن أفعال نفسه والحالة أن فرانصة العظيمة الممدنة التي التزمت بتربية الأهالي الذين هم كالاطفال لا يتم مرادها الا إذا وبخت ولدها المستلخل وكلفته جبرابو فاء الشروط التي صدرت سابقا والتزامها ولا تجعله من المعادين لها لأن الأب لا يمكنه أن يطرد ولده إذا لم يوف له بالوعد، فحينئذ باعتبار شأنها المعظم بين ساير الأمم التي تجاوزت البحر وانتشرت على هاذه الناحية بمكارم الاخلاق والتمدن وأنوار التقدم وتصلح أحوال الأهالي وتفحص على انتقالهم من الضعف الى القوة وتذوقهم حلاوة العلوم والصنايع والفنون وغير ذلك كان من الواجب عليها أن تظهر محاسن اخلاقها من الحنانة والكرم وغير ذلك لما استولت على أمة معروفة بتواريخها كان من الواجب عليها أن تردها للحالة التي كانت عليها فارطا ولا تكرهها بأنواع العقوبات التي ابرمتها عليها من حين استسلامها.

الفصل الثالث في تعريته، ان 22 في شهر أبريل سنة 1863 صدر من المجلس السلطاني قانونا يقتضي تملك الأهالي بوطن الجزاير مضمونة ترسيم الاعراش والدواوير بينهم ويملكهم بما احتوت عليه أرسامهم وهاذه الخدمة يتم عملها بحذوث قانون آخر يصدر في 26 جليت سنة 1872 الذي أبعد كل حق ضعيف واثبت للأهالي حقا مقررا لا يتغير أصلا فهاذا القانون وان كانت فيه فايدة ظاهرة يحتاجون اليها لاكن فيه ضرر كبير، أوله إذا انتقل العربي من وطنه الى ناحية أخرى لطلب معيشته ضاع حقه بمجرد خروجه وكذلك الوارث الأجنبي يضيع حقه ويعطي للمخزن أو لغيره والشاهد على ذلك أن في عام المسغبة هملت الناس من الشر الذي وقع فيه سنة 1867 وحين رجوعهم الى أوطانهم وجدوا ما كان بأيديهم صار في أيدي البايلك ووزع كغيرهم لغيرهم ومن ناحية أخرى ان السيد الكومصار انكيتُور بيده قانون يفوض له إن وقع الخصام" بين اثنين على أرض يمكنها إن شاء بيد المخصمين وان شاء بيد الدومين والغالب انه يمكتها بيد الا خيرو أما الجبال المشجرة يمكنها من غير مقالة ولا تعليل كما يملك أيضا الأراضي التي هي ذات الديس والحشيش الى الحوز أي الكمون وهاذه الأراضي يواجرها الكمون بالدلالة وينتفع بثمن الاكتراء، فأين يوجد العربي الذي له طاقة على القدوم الى ذالك الميدان الذي تحضر فيه التجار الأغنيا الناظرون في ذلك الاكتراء تاويلا وتجارة يتوصلون بها الى قهر العربي وأخذ ماله فبحسب ذلك يصير العربي محصورا مقهورا بين يد المكتري والمتملك أي الدومين حتى يصير العربي في غرض الباخس وهو الحارس المتولي مراعات الغيب. ومن جهة أخرى تراه حاصلا في شهوة المكتري الذي حلف أن يفقره وكتيرا من أهالي العيال شاهدوا بأعينهم هاذا الاختلاس المهم في ضياع أرزاقهم. فيأسف عليك الحق أين ذهبت ثم يا أسفا عليكم أيها الحقوق الانسانية بيسما حل بناكم رأينا من الناس الذين سلموا في أراضيهم واوكارهم اجتنابا من الضرر الحال في كل وقت وزيادة على ذلك فإن القانون المؤرخ بالثلاثين ديسمبر سنة 1878 منع الأهالي من شراء الأراضي الدومين لماذا منع المسلم من شراء الأراضي

التي كانت بيده سابقا وأبيح للطليان والصبنيول والأرباويون مطلقا شراء تلك الأراضي؟ فكيف باهتمامكم الذي صدرت منه تلك الشروط القاهرة وأين يوجد هنا أثر العقلية المستحسنة الراقية الموصوفة بها فرانصه العظيمة الكريمة. وأيضا الرّبي الذي أجيز ووافقت عليه الدولة هو من جملة الأقسام المضرة با العربي وقد استعمل غاية الاستعمال على الاسرايليين وهم كما لا يخفاكم حرصهم على كل ما فيه ربح ولو كان خسيسا. فلذلك ترى العربي المسكين مسرعا اليهم من شدة الفقر والاحتياج وإذا نظرتهم تجدونهم مالكين أراضي كثيرة لا يحرثونها لأنهم ليسوا من أهلها ولا كن يرسمها للغير بقيمة أبلغ من قيمة الشراء فبهذي كمل الاسرايلي ما كان يخصه لفقر العربي ومع هاذا فالقليل من التراب الذي منع من النفاق أو من أخذ الغصب استهلك بالربى. وأيضا فإننا محققون بوجود نواحي إذا سار الانسان فيها مدة من قرية الى أخرى لا يرى قطعة منسوبة للعربي فلا تسأل أيها القاري عن مسبب تحول ذلك الملك من يد العربي الى يد غيره ولا تتعجب من ذلك بعد ما عرّ فناك. به غيران العربي إذا مر بتلك الأثار الأبوية يتفكر مسقط رأسه الذي كبرت وخلقت به أولاده وربما قبر فيها أباه أو أمه أو أخاه أو جدا محترما عندهم فحينئذ يتكدر حاله وتضيق بقلبه حتى يهتم في نفسه بارتكاب أمر فضيح ذاهبا عقله منحلة قوته ثم يسترجع لمولاه الذي قدر جميع ذلك راضيا بأمره. وهاك منبع آخر يخرج منه ضرر فادح للعربي وهو ايقاد النار في الغابة. نعم النار المتهوم باضرامها العربي فيها ضرر لا يختفي على كل واحد من سكان الغيب ولا كن عوضا ان تحرق الحطب أحرقت ذلك العربي فإذا أراد العاقل المميز للأمور وكان ذا رأي صايب وصاحب حنانة وشفقة البحث أيقدر ان يقول أن العربي هو الفاعل لذلك وهل يتمكن له الجزم بقلبه ان ذلك الا يقاد سببه المسلم مع أن هاذا الانسان لا يجهل ما سيلحقه وأهله من العقوبات الشا قة لما لا يخفي ان أسباب اضرام النار كثيرة ولا حاجة لنا أن نعارض فيها لا كن الظاهر في ذلك هو أن الحكم المخزني لا يبحث عر تلك الأسباب وانما يلزم أهالي العرش أو الدوار الواقعة بهم النار

بثقاف السكيستر يجعله على أملاكهم ويمهلهم مدة لتمام ذلك التقاف. وهناك أيضا ترى أن الدولة القاهرة مسلحة على العربي بقانون جعلته لتجده وقت الحاجة اليه وهو القانون المؤرخ سنة 1881 على الضمان المشترك سنتكلم عليه في آخر هاذا الفصل فيكيف يكون الانبراء من ثقاف السكيستر فاذا أمهل مثلا سكان عرش مدة خمسة أعوام لينقذوا أنفسهم من الثقاف بقوا على تلك الحالة ثم ان الذين دفعوا الثمن الملزوم عليهم في كل سنة من غير تفريط يأخذون أملاكهم وأثاثهم بعد أخذ الدولة خمسا من الأرض فقط واما الذين لا يدفعون شيا أو عجزوا عن الدفع قدر عام أو عامين فيرون جميع ما يكسبه مصير في حيز الدولة ولا كن حيث كان وضع الثقاف عاما فلابد من أداء الثمن الملزومين بدفعه ولا يرد لهم البايلك البلاد المأخوذة منهم. ولأجل تأدية حقوق البايلك تأتي جماعة العرش وتحكم على الجميع فهاذا يبيع غنمه والآخر يبيع بغاله وذاك يبيع رمكته وحاصله بعد أن تذوقهم العذاب الأليم يدفعون للدولة ما تحصل ويمكنون حينذ بالمبارات المعروفة بالمالُفِي، وكما ذكرنا أعلاه ان العرش بعد مباراته من الثقاف تبقى رقبة كل واحد من أهله مثقفة عليه من حيث الأداء المدفوع جملة لا تحصل منحَ براءة تامة. فعلى هاذا ان قانون الدولة الفخيم سنة 1891 لا يكون تنجيزه الا عند هلاك العرب ومهمى تكن فيه فايدة يمنع منها ويحرم من فايدته وتانيا الثقاف حسبما بنياه أخرب العرب من جهتين أولا أخذ أراضيهم وثانيا أخذ ما يكسبونه من الحيوانات والأثاث وهاذه النتيجة المشومة هي النار فهل يحسن الانسان أن يتهم العربي بشعل النار فهاذا مما لا يقبله العقل ومرادنا هنا أن نبين كيفية تخليق الثقاف ولا كن نتأسف على قصورنا في ذلك حيث اننا لم نجد ما يلزمنا لتفصيله لعدم وصولنا الى الا دارات الموضوعة في توقيع تلك الخدمة ولاكن السدات أعضاء مجلس الكمسيون لهم طاقة على ذلك وإذا اطلعوا على تلك الدفاتر لا شك انهم يحققون التأويلات المضرة المستعملة في جانب العربي والذي نحققه لكم الآن هو ان كل عرش أو دوار وقع عليه ضرب السكيستر ما أمكنه النهوض

مما نزل بهم حتى صار كمثل زرع اصابته الحجر فصار أرضا بيضاء كأنها لم تنبت شيا خالية. وقد كنا وعدنا ان نتكلم على القانون المؤرخ سنة 1881 أعلم ان هاذا القانون وكذا المعبر عنه بلاند يجنة الذي سنتكلم عليه بعد هو الذي حير جميع العقول المهدنة الصابرة حتى صار الانسان ينسال نفسه هل يوجد حقيقة رجال في عصرنا يحدث منهم هاذا السوء الغريب. لا شك أن أصحاب القامرة الفرنصويين قد غلطهم وكلاء العامة بالجزاير الذين هم أشد عداوة للعربي وفعلوا بهم كفعل اكريميوا الذي قال من القامرة وقت ان كانت في غاية الحرج والمصايب التي حلت بفرانصة سنة 1870 القانون الذي أدخلهم في الجنسية الفرانصوية وكذلك تظن أن الوكلاء الكارهين للجنس الاسلامي كانو ينظرون الوقت ويعرضون تلك القوانين الجايرة الغريبة فيحصل مرادهم ولآن ترانا موكدين واننا لا نظنوا الوكلا المنتخبين بفرانصة يرتبون هاذه النصوص الظاهرة منها الجور والعداوة المخفية لأننا نعلموا غاية شفقتهم وحنانتهم حتى لا يخطر ببالنا شيء ولو طرفة عين وليس مراد ناهنا أن نتبرعوا باللوم على الوكلاء الجزايريين في شأن العداوة الظاهرة ولا كن تناسف على عدم تسويتهم لحقوقنا وضمها مع حقوق الكلون وتميزهم لكل ذي حق حقه فلا يمكننا ان نسمح في سيرتهم معنا التي اشتملت على تركنا في محظ الجدال في مسألة الجزاير ومهما أدخلونا فيها حملونا على الذم والقدح ووصفونا بقلة الخير والطاعة وعزمنا على النفاق هاربين من التقدم لا ندرك فعل الخير ولا فهمه والحاصل اننا ذوات لا فايدة فينا جزاهم الترك والاهلاك.

الفصل الرابع في الغرامة، ليس مرادنا هنا أن نتكلم على كيفية ترتيب الغرامة الثقيلة الملزمة على العربي لأن كلام السيد بليه بالقامرة كافي في ذلك وانما مقصودنا هنا الكلام على كيفية قبض تلك الغرامة فنقول إذ عجز عربي مثلا عن دفع ما وجب عليه في الأجل المعين يرى اللوسى أتيا لداره فإذا أوصله الزمه بالقدوم الى الفيلاج الذي بقربه هو وزمالته فحينذ ذلك العربي يسوق حيوانه وخلفه زوجته بين الجدارمية واللوسى وهو ما شى بذل واحتقار ورأسه مكسور وحاله متغير الى الفلاج القريب الذي لا يجهل

ما سيقع له فيه بمجرد وصوله لتلك القرية يشرع اللوسي في بيع ما بيده فإذا كان ثمن المبيع يكفي واجب الغرامة والمصاريف فأولايك المقبوضون يطلقون سالمين ممنوعين من كل عقوبة أخرى وذلك بالحرية الواجبة لهم وإذا كان ثمن المبيع لا يكفي لما ذكر فالرجل يطلق وتمسك زوجته على سبيل الرهن فيما يخصه من تمام الدفع وغير خاف على كل انسان بان هاته الامانة النفيسه المحترمة لا تمكث زمانا طويلا في ذلك المكان الردي لأن العربي يحمل كل مشقة ومضرة لأجل ان يفدي زوجته المرهونة فلهاذا شهدنا مرارا مساكين في هاته الحالة يقرضون خمسة فرنكة بعشرين. وهاك نوع آخر وهو انه إذا أتى عربي للدفع خمسة وسبعين فرنك وجبت عليه ومكن الخزناجي بالذي وجب عليه بكارطة صرفها ماية فرنكة مسكها الخزناجي قايلاله تاخر هاك وأصبر ثم إذا أتى بعده عربي آخر يسلك خمسين فرنكية وجبت عليه ولاكنه لم يجد منها الا خمسة وعشرين فرنكة فيعطي الخزناجي توصيلا لهاذا الأخير بخمسين فرنكية تامة ويقول للأول الخمسة والعشرون فرنكية الباقية لك عندي قد أخذتها عوضا عما تخلف للثاني وأنت تسلكها منه. فعند ذلك ينكر العربي ذلك قايلا انه لا خلطة بيني وبينه ولا نعرفه وليس هو من مشتتي يصيح بأعلى صوته غيضا حتى يودّيه للكفر ماذا وكل ذلك لا يفيده شيا وما عليه الا الصبر فهل الخزناجيون ضامنون حقيقة في ذلك لأنهم قايلون نحن عمال ملكفون بادخال النقود الواجبة ويكفينا تحصيل الدراهم عن قدح الناس. وعند تمام هاذا الفعل نشير بأن العربي لا يصدق في قوله وانه دايما من غير تخصيص يجرد عليه أكثر مما يكسبه حقيقة وبلغنا بأن أحد الجرادين نطلب العفو عن عدم ذكر اسمه قاعدة عامدة وهي ضرب عدد مال العربي باثنين.

الفصل الخامس في ذكر القانون المعبر عنه بلا اند يجنة اعلموا اننا كلما شهدنا المقالات بالجرايد الفرانصوية المنشيه بغاية الوقاحة في شأن الظلم الواقع بأهالي الا لزاص واللورين وثبت عندنا الغيض القوي الذي تقدم بذم الجنس الألماني التي أساءت أحوالهم النفيسة وحصل انشراح كلي

وذلك بكلام لشجيع تهتز منه الأرواح ظاهرا منه الغيض الحقيقي وأبانوا فيه حبهم الوطني الخالص حتى أدركتنا الغيرة من حالهم ولاكن ليس مرادنا ان نكون تحت طاعتهم فالله يعصمنا من ذلك بل لا نكون مثلهم لنا من يدافع علينا ويتكلم علينا ماذا يحصل لهم من الفرح وعلو همه حيث يتفكرون ان بقربهم من جهة الغرب أكثر من ثلاثين مليونا من الأرواح متفكرين عليهم نعم تكبرهم جايز إذا تفكروا أمهم الأولى التي نشرت يد الحماية ونصرهم بكلامها مراقبة عليهم ببالها مجتهدة فيما يخرجهم من تلك الحالة. فيا أسفا حيث لم تكن حالة العربي كذلك بل هو متروك لا سوال عليه فنقول ان جميع المتوظفين من أولهم الى آخرهم يكرهون العربي ويحقرونه وغيرهم من مطلق الناس الأروباويون يسؤون أيضا اليه ممثلون في ذلك الى الحكام فان كان العربي جاهلا اهلك بضرب الأرجل والعصا وأن كان قاريا فيجعلون له ضررا في نفسه عند اطلاعه على الجور الواقع ببني جنسه وعلى عدم الاستواء الشرعي بالقانون المعبر عنه بلاند يجنه جعل العربي في تصريف كل متوظف كان. وينتج ان كل أحد له ان يعاقب العربي أن كان حبيبا للحاكم المفوض له التصريف في ذلك القانون. وهذا الحاكم إذا أراد عقوبة العربي لا يمتثل الى القانون بل يحكم عليه بعشرين يوما في السجن ويمنعه من أعطاء خبزة يتقوت بها التي لا يحرم منها كل مسجون ولو قاتلا. وقد شاهدنا مرارا بعض نساء العرب يمشون نحو الخمسة عشر كيلو ميتر ياتون أزواجهم المحبوسين بما يتمعشون به وأشد ما هو واقع ان ذلك القانون صار استهزاء والسبب في ذلك هو صغر المتوظفين الذين مشتاقون حرمة. وزيادة على ذلك ان هاولا، الشبان كانوا قبل توليتهم بتلك الوظايف في غاية الأدب والبشاشة والبسط تحولوا كان بهم سحرا حتى يصيرون كأبناء الملوك لهم طبايع لطيفة رقيقة وشهوات صعبة ومزاج مقلق وحالة معبسة حاصلة لهم فيه شاهية ومكدرة حتى لا يطيق التمييز عن ذلك التحول التام. من له خبرة ومعرفة تامة بعلوم الهية وسبب ذلك التحول الذي اتلف تلك الطبايع الحسنى الأولى هو بعدهم من المجاورة المهلكة لهم، وحكمهم المفوض على

أكثر من خمسين الفا عبدا يتصرفون فيهم كيف شاء، ووجودهم في مكان منسي مهجورا لا فايدة للانسان ان يشتغل بهم ووجدوا أنفسهم في ملاء من الناس يقبلون أيديهم صباحا ومساء ويملقون من أجل ذلك سمعناهم مرارا وقت انشراحهم وبسطهم يقولون لو كان الاختيار لنا لرضينا بالتصريف على ماتين ألف مسلم أولى وأحسن من خمسة وعشرين أروبايين. فترى ديارهم قصورا وأقل مرغوبهم هو اعطا، الأ وأمر. وإذا أدركهم الغيظ فيا ويل العربي الذي وجد بقربهم وعند ذلك ترى كل متهم يرتعد وينزل سكوت كالموتى على الحاضرين حتى يصير كل منهم أبكم وغايص في التفكر خايفا من سقوط الصاعقة عليه هاذا والرعد يتكلم من غير فتور على قطع أمال الحاضرين الذين يرضون بمقابلتهم لمدافعة العدو ولا سماعهم ذلك الصوت الهايل الغليظ وإذا بصاعقة نزلت أيها السامع لا تخشى من الضرر الذي يحصل من سقوطها فانه ليس بعظيم وانما ينتج منه عزل شيخ أو طرد شاوش. ولنا أقوال غريبة في سيرة أولايك الحكام الفاجرين المشتغلين بصيد الطير والحوت ولعب النيشان وغير ذلك مما يسرا لقلوب عوضا عن أن يهتموا بأمور حوزهم ويبحثو بسياسة محمودة عادلة ليصلحوا أحوال الناس الذين في حكمهم.

الفصل السادس في ذكر التعليم. ان أعداءنا الذين يدعون انهم يعرفوننا بأي قطر، ذكر والمن أراد سماعهم اننا هاربون من التمدن والتعليم وان ديننا هو عرضة للتقدم وكتابنا العزيز يمنعنا من تعليع العلوم سوى ما فيه ومن أجل ذلك حكموا بأن اجتهاد الدولة في هاذا الشأن صار خايبا ولم يحصل منه شي أو أن المدارس التي جعلتها بقيت خاوية خالية من التلامذة. فما أغلظهم بهتانا وافتراء وما أعمى بصيرة المتعرضين لنا فيها نحن معترفون بأن الدولة خسرت شيا كثيرا وفعلت جهدها في ذلك ولاكن المسلمون بفرحون بذلك مهما رأوا الدولة اخترعت مدارس عندهم وأيضا نتحقق أن هاذا المدارس معمورة بالتلامدة الراغبين في التعلم الراجين المكافات التي يأخذ ونها آخر السنة واما المعارضون لنا يلزمهم ان يتفكروا

القانون الملزم للقراءة جبرا فيجدونه لم يخترع الا منذ سنة 1882 وفي مدة ثمان سنين من حين بروزه لا تكفي لأولادنا أن يكونوا كلهم علماء فكان عليهم ان يمهلوا قليلا قبل تعرضهم لنا وقبل بروز القانون المذكور كانوا أولادنا يذهبون الى المكاتب الصغيرة والمدارس الكبيرة ومدرسة الطب بالجزاير لا تخلو من تلامذة العرب ولهاذا إننا متكبرون فارحون لما شهدنا انفسنا من هو طبيب نجيب وفسيان حاذق وتراجم فطنا ومشايخ مقدرة بالاربويون الذين يتهموننا بالجهل ولسنا قابلين إدراك العلوم. هل ينسوا اننا كنا في العصر المتوسط المعروف بالموييناج معلميهم وممدنيهم ألم يتفكروا بأنهم أخدوا أصل العلوم التي هي الآن أخدوها من عندنا وفي مدارسنا العظيمة الفاخرة با العلوم وكانت أربا متأخرة خشنة تستفيذ منها جميع العلوم التي استفدناها من اليونان وكملناها واتقناها. نعم بالواجب علينا أن نزعم بما ذكرنا لأنه حق لنا وماغرك أيهُ المعارض إذا لم تعترف بذلك لا شك أنكم تقدحون فينا بأنه لم يبق لنا أثر رايحة العرب الأولين بالعلم والمعارف والحذاقة وبإننا اتهتزمنا وتهنا بظلماة لا يدر كلها العقل قد غلب علينا الجهل ونزل علينا سهو حتى ملكنا غافلين عما يقع حولكم وامامكم. فالجواب عن ذلك أن فضايل الأمم فانية ككل ما خلق الله في ملكه والأمة لما بلغت الدرجة العالية التي تمت فيها علومها وبها بدا نقصانا فحيند تبعت الطريق التي قدرت على الأمم السابقة وكذلك تتبعها الأمم اللاحقة فهل الأرباويون أن هاذا للقضاء لا يلحقهم كما لحق اليونان والرومان والعرب فبجوابهم مستندين للتاريخ أن ذلك واقع لا محالة ونطلب العفو من القاريين عن مجاوزتنا عن مقصد هاذا الفصل لدخولنا المراد التاريخية الفيلسوفيه ونحن متأسفون نخوض حيث الجانا الجدال هنا. قد كنا ذكرنا سابقا أننا فرحون بما نتج فينا من أهل العلم فإذا كثرت المدارس ولزمت قراءة العرب على حسب من غير ما يشوش فلا شك ان تكون النتايج أكثر مما كانت ولا يمسنا حياء. إذا قلنا أن السبب المانع للبعض منا من ارسال أولادهم الى المدارس هو تحققهم بعدم تدريس لغتهم الأصلية العربية بتلك المكاتب وخوفهم من فساد عقولهم ونسيانهم

لأصولهم ودينهم وملتهم وذلك ما يزعمون وصوابا كان أم لا فكما يرون ليس ذلك من شدة الديانة التي يصفوننا هو سبب الامتناع لبعض العرب الملوم به علينا مرارا الذي هو متكرر عندنا أولا لا كن شعايرنا هي الكبرى والرافعة لكل جنس يرون تعظيمها. فعلى ذلك إذا رتبت وسهلت تعليم العربية يكون ذلك لها دليلا على فكر واسع واتباع العزبي الى مقصوده ويذهب جميع الأوهام التي كانت بعقله وبالجملة فيكون تكليف الدولة بهاته اللغة الشريفة الغنية الجارية في غالب جهة العالم حسنا. ولا تتخذنا أعداء لما عرضنا عليكم ترتيب اللغة العربية وان لا تصيحوا علينا كما صاح سابقا السيد لوالي العام مسيو ترمان بقوله نعم إن أعداء فرانسة ليس هم العرب ساكني الخيام بل الذين علمناهم لغتنا ورفعناهم الى درجتنا فيجب علينا احترام كلامه اللايق بمقامه.

الفصل السابع في شريعة الاسلام، حسبما ذكرء آنفا ان فرانسه كانت التزمت في عهد استيلايها على الجزائر سنة 1830 ان توفي الدّين والشريعة وعوايد المسلمين الجزايريين فأما الدين فليزمنا أن نعترف بذلك فهو باق على أصله الأول ولم يغيرْوا فيه شيا بل حفظوه واتقنُوا مدخوله وفعلوا رواتب للقايمين به وهاذا من شان ما يليق بأولاد الحرية الخيرية التي وقعت في سنة 1789 لا كن عكس الامر فيما يمكن الشريعة التي تغيرت كثيرا وضاع منها شيء مهم وصار يصدر المرة بعد المرة قانون أوامر من الدولة لكي ينزع من الشريعة بعضى التصرفات ويفوضها الى حاكم الشريعة الفرانصوية ليوسع تصرفهم فيها بقدر الطاقة ولا نحتاج الى تكرر تفصيل القوانين والأوامر المغيرة للشريعة من يوم الأخذ الى الآن لأنه يصير ثقيلا. ولا كن نقول على كل حال ان الدايرة التي أحتوت عليها شريعتنا صارت تضيق بالتدريج قاصدة نقطة النهاية ولما شاهدوا القضاة ذلك الضيق الفاشي تعجبوا منه واجتهدوا في الخدمة المكلفين بها على طبق عقولهم ومعرفتهم وما أفادهم ذلك شيا وفي الوقت الذي كانوا هم وجميع المسملين يترجون في رجوع ما كان نزع لهم فإذا بأمر مؤرخ في 10 سبطنبر 1886 عجزهم

عجزا كليا وصير صفتهم الشرعية بصفة كتاب رسمي فنتج من هاته الحالة ضرر كبير لأبناء جنسهم وهو ضرر لا يمكن لنا وصفه الا بالنقل هنا للشكاية الصادرة من سكان قسنطينة في سنة 1887 المرسلة الى أهل القامرة ونصها: «أن منذ برز هاذا التنظيم الجديد ما تحققنا بعدم لياقته بنا و لم نبادر للاعتراض عليه بل أردنا ان تمضي عليه مدة من الزمان يضهر بها لأرباب الحكومة الشرعية أنفسهم ما فيه من المضار العايدة على المسلمين ويتحققون انه غير موافق من جميع الوجوه ومما يتحقق لكم أن هاذا التنضيم تضررت به الناس في جميع المواطن الجزايرية هو انه لما قدم علينا السادات الوزراء مع السيد القوبيرنور جنرال في شهر أفريل الماضي بادر بعض نوابنا في المجالس المنتخبة وكثيرا من الأهالي في العمالات الثلاث التي تقدمت للشكاية لهم مصرحين فيها بما أصابهم من الضرر مبينين لهم وجوه ذلك من ثلاثة أمور الأول ما حصل لهم من الاهانة بهاذا التنضيم إذبه انقضى ركن من الشريعة حيث نسخ الأمر بها فيما يتعلق بالحقون المالية وانتقل الحكم في ذلك للجوج دبي الثاني ما حصل لهم من التعطلات والتطويل في فصل النوازل على أيدي حكام الصلح ورجوع الأمر في شأن شريعتنا الى ما كن عليه العمل جاريا بحسب تنضيم القانون الأول مؤرخا في دصنبر سنة 1866 وان لم يكن ابطال القانون المذكور بالكلية فنطلب تغيير جزئياته وابطال ما أضربنا استعماله فأول ما نطلبه هو أن بكون للخصمين الخيار للحاكم الذي يفصل نازلتها قاضيا أو جوجا هاذا ان اتفقا وان اختلفا فالقول للطالب وبذلك تكون الحرية التامة للناس وهاذا الترخيص موافقا لأصول الشريعة اذ لا يخفي الرضى من الخصمين بحكم أي حاكم كان وتفويض الأمر له لا تعارض الشريعة ثانيا ان النوازل التي قدر المال فيها من الخمسة فرنكية الى الخمسماية يبقى فصلها على يد القضاة لتنقيص المصروف على الخصماء وتسهيل الانفصال بينهم لاسيما النوازل التي يجب الحكم فيها على الفور كالخصايم الواقعة في الأسواق بين الخصماء الذين يقدمون عليها من النواحي البعيدة ويتفرقون بيومهم ثالثا أن الخصايم المتعلقة بالمسايل الفلاحية

ينبغي أيضا فصلها إذا لحكم فيها في الغالب بحسب العرف الذي يختلف باختلاف عوايد السكان وأحوال الأوطان الجزايرية فالمناسب ان تقاس على ما هو جار به العمل عند الفرانسويين في مجلس البرودوم الخارجة أحكامها من القواعد الشرعية لأنه كلامها لقلة عددهم ولكون مجلس حكمهم مرة في الأسبوع مع ماهم من كثرة الشواغل فصار الرّجل من الناس تيرك انشاء الخصم ويسلمون في حقوقهم من الملل ولاسيما في النوازل التي تستدعي التحكم على الفور مثل ما يقع في الأسواق وذلك فرارا من التطويل والمصاريف إذ في الغالب نوازل المسلمين لا بال لها ولو استعمل الاحصاء لعدد ما وقع في هاته المدة من الأحكام على يد حكام الصلح وقبل مع عدد الأحكام التي كانت تقع في مدة مثلها على يد القضاة في نوازل المسلمين لبان به أن الأمور قد اهملت من ملل الناس حتى قل اعتناءوهم بمطالبة حقوقهم الثالث أمر المصاريف الشرعية التي أضرت بالناس حيث أن خصايمهم كثيرة وجلها في الأمور التافهة بل وكانت تفصل على أيدي القضاة من غير مصروف أصلا وكان من الصواب ان تبقى الخصايم المتعلقة في الحقوق المالية كغيرها تحث نظر القضاة ورفقا بالناس وتسهيلا للأنفصال وتنقيصا للمصاريف وقد صدر لنا الوعد من السادات الوزراء بأنهم لا يهملون شكايتنا بل انهم يتأملون فيها ويرفعون علينا الضرر للذي اصابنا وها نحن جددنا لجانبكم العلي شكايتنا أيها السادات وللدولة الشفيقة علينا طالبين منكم ابطال الديكري الصادر في 10 سبطانبر سنة 1886» الفصل الثامن في ذكر الانتخاب، لاشك ان سبب الحالة المضرة التي نحن فيها الآن هو الكيفية الناقصة المجعولة لنا للانتخاب في الدواوين الجزايرية اما في دواوين العمالة فنحن في عرض الدولة لأن الستة أعضاء الكمسيون في كل مجلس عام منهم قياد واغوات مختارون من جانب الدولة بالقصد لا يتعرضون للمقالة الموضوعة وان كانت لنا فيها ضررا يوافقنا مع الدولة باتفاقهم يوافقون على ما أرادت الدولة بغير فهم لما وافقوا ولما كانوا بوضايفهم فلا حرية لهم وانما تجدهم هناك كالزينة أو جرم لا فايدة

فيه ولا نفع موضوعين استهزاء وفي ذلك خلل لشروط الانتخاب لأن أولايك الاعطاء في الحقيقة وكلاء الدولة التي سمتهم لحاجتها لتجر مراد المنتخبين على حسب القانون. واعضاء المجلس البلدي بعكس ذلك فهم منتخبون بالجنس لهم طاقة على التكلم في مصالحنا والمدافعة عنا لاكن جعلوا عددهم قليلا لتزول الطاقة على التكلم ويضيعون جهدهم فلهاذا كلما طلبوا حاجة في منفعة جنسهم يلاقون تعريضا قويا وبه يلقون أعضاء الا رباوية أغراضهم فحينيد وكلاؤنا لما ثبت عندهم كثرة مضاديهم المتفقين على عكسهم في جميع الأمور مع ضعفهم وقلة عددهم في المجالس البلدية وما ينتج من معارضة الفريقين غير متساويين سلموا في ذلك لاصحابهم محل الجدال والبعض منهم يمتنعون طوعا من حضور تلك المجالس للأسباب التي ذكرنا والدليل عندنا على حط قدرهم هو منعهم من مشاركة انتخاب المير ولا يخفي على أحد ماذ صادر لهم من الذل والحقارة لما رأوا أنفسهم ممنوعين من الحقوق والواجبة لهم التي نالوها من المنتخبين لهم ومهما كررنا فذلك حق لنا حيث شهدنا دايما القوانين الخصوصية المحتوية على بني الجزاير حقارة العرب وعكس ذالك الفايدة. وعلى كل حال وكلأونا بمجلس العامة كالعدم وبالمجالس البلدية قليلون القوى لا محالة انهم موجودون ومرسومون في دفاتر الدولة والحكومة واما في مجلس الوالي العام بالجزاير فلا يجدون أصلا وكذلك في القامرتين ولا يلزمنا جحد عكس ما يزعم به خصماؤنا الذين لا يبالون بما يكتبون بل نتحقق ان هناك حقين مضادين لا يتمكن نفع أحدهما بدون مضرة الاخر فيحينئذ نقول هناك أحد الأمرين إما أن تعترفوا بالحقوق الاسلامية وتمكنونهم بالطاقة للتكلم على حقوقهم وإما أن لا تعتبروا أقوالهم في شكايتهم وتتخذوا طريقهم طريقة الغالب مع المغلوب لاكن حاش أن يكون ذلك من شأن الدولة الفرانصوية الجمهورية المعتمدة على الحرية الأخوية والاستواء ان تسلك بسيرة جايرة غير معترفة بحقوق المغلوبين لا، فهاذا لا يكون وهاذا من المحال وقبل تمام هذا الفصل ظهر لنا من الصلاح أن نفكر في كيفية ترتيب جماعة المحلفين المعبر عنهم بالجورى التي جمعية خيرية اخترعتها العقول الانسانية فنقول هو كما

لا يخفي على احد انها مشتملة على الفرانسوية قفط بمعنى انه ليس فيها عرّبي مع أنه إذا استند الانسان الى القواعد المجعولة التي بمقتضاها يكون كل متهم يحكم عليه بنوا جنسه هل يتمكى الجزم بان ترتيب الجوري الآن هو موافق القواعد المذكورة وهل يكون من الصواب ان الانسان إذا وجد في بعض الأوقات أحد من الكلون له سبب لكره العربي وأمامه عربي متهوم ان يحكم عليه لينتقم منه وهل يكون من الصواب ان يكون حكام العربي من الناس الذين هم متضيقين من مجاورتهم مع أن فايدتهم في عدم وجودهم بقربهم فعلى فهمنا ان ترتيب الجوري غير موافق لا صله عند رؤيتنا والقصد من الأختراع الجوري هو ابعاد الخوف بالذي حصل للناس عند ظنهم بان الجوجوات الذين كثر أشغالهم بمشاهدة الجرائم حتى صاروا يظنون الناس كلهم متعديين قاتلين ويحسبون كل متهوم مذنب والآن هاذا الخوف لا يكون لنا فالقايلين الذين يعتقدون بأننا سراق قاتلون قطاع الطريق فظهر لنا من الصلاح تغيير ترتيب الجوري المجعول لنا ونترك للجماعة ان تخترع أساسا لترتيب جديد لا يق صواب.

الفصل التاسع خاتمة وطلب، فيتحصل مما ذكر سابقا بأننا لسنا في الحالة التي يصفوننا بها في فرانسة يعني في غاية الفضل والنعمة حرارا فرحين لا يخصنا شي بل هو عكس ذلك انما نحن متوجعون وفقراء حاملون الذل والضرب ونساونا عير محترمات ونحن في غرض كل متوصف وحاصلة نحن عايشون تحت عدة من القوانين المخصوصة التي اهلكتنا وقتلتنا فأراضينا بها منزوعة ومنها مثقف وشريعتنا مبدلة حاملين ثقل المغارم وفي عوض شريعتنا سريعة الفصل قليلة الخصاير جعلوا لنا شريعة أخرى واما الحكام المعروفون بالادمينسترانور يستهزؤون بنا ووكلاء. الجزاير يكرهوننا ظاهرا والمتوليون لهم صلابة معنا بالحاصل وكلاونا مدخلهم غير لايق في الجمعيات واخواننا يحكمون عليهم أناس فايدتهم في عدم وجودهم فحينئذ من قال ان العربي في أحسن ما يكون من السعادة والحرية فذالك أشد الافتراء وقول من غير إدراك ولا صواب وخلل من الاعتقاد الانساني ومن زعم أيضا أنه فارح

لا يخصه شيء فذالك قياس فاسد كما إذا قيل ان المحكوم عليه بالموت فارح فبعد تمام قولنا هاذا فاننا أختصرنا في شكاية نعرضها على القا مرة ونطلب أولا ترتيب المغرم بكفية ذات عدل وصواب وثانيا ابطال القوانين المخصوصة المعبر عنها بلاند يجنه والضمان المشترك وثالثا تحويل القانون المؤرخ 30 في سبطنبر سنة 1878 فيما ينفع العرب ورابعا جعل الانتخاب وكلاء مستقلين منتخبين انتخابا عموميا موافقا وعلى قدر حقوننا وذلك في المجلس البلدي ومجلس العمالة والمجلس الكبير بالجزاير وفي القامرتين وخامسا تأويل ترتيب جماعة الجورى ودخول العرب فيها وسادسا رد للقضاة جمع ما نزع منهم في الحكومتين وسابعا تكثير المدارس وترتيب التعلم في اللغة العربية فيها هاذا هو الاصلاح الذي نطلبه منكم أيها السادات والآن حيث اطلعتم على ما هو مضر لنا وحيث ان حالتنا المالية حصلت لكم منها شفقة وغيظ واجب علينا افشاء ما ضربنا وحاصله ان أرد تم انقاذنا من الغرق أفلا تكونون سببا في انقاذنا واعتمادنا الخالص عليكم والسلام.

64 ـ «عصيان الأهالي»[1]

«رَدٌّ على مقال نشر في جريدة نوفو بروقري دي لالجيري بتاريخ 9 جويلية 1891»

لا ندري أي من الأثنين يحرض على العصيان؟!

هوجمت عريضة وجهها مجموعة من أعضاء المجالس البلدية من الأهالي إلى اللجنة الثامنة عشرة[2]، هجوما عنيفا في مقال نشر أمس في جريدة (نوفو بروقري دي لالجيري). ان كاتب هذه القطعة الغير الممتازة، لسوء الحظ، قد نسى دكر اسمه ومع ذلك فقد استغرب عدم وجود الأسماء وتوقيعات أصحاب العريضة مع أن هؤلاء قد عرفوا بأنفسهم بما فيه الكفاية عندما كتبوا في أول الكراسة «شكاية وقعت من أعضاء المجالس البلدية من أهالي الكومونات الآتية اسمائهم وهم: كمون وادي سقاف وقطار العياش وعين سمارة» فليس إذن أبناء ملتي كما نشاهدهم الذين أو عزتهم الصراحة وانما كاتب المقال نفسه.

وبعد تثبيت هذا، فلنتتبع الآن المعلق على الكراسة؛ فهي في نظره تشكل عملا تمرديا حقيقيا ضد حكومة فرنسا وتهدف الى تحريض

---

(1) المصدر: Ben Bachtarzi Abdelhamid Ben Mestapha, «L'insurection des indigènes. Réponse à l'article paru dans le nouveau progrès de l'Algérie du 9 Juillet 1891» Constantine 1891, 4, p

(2) يقصد العريضة المنشورة تحت رقم 63. اللجنة الثامنة عشر هي لجنة مجلس الشيوخ الفرنسي التي وفدت على الجزائر سنة 1891 للاجراء تحقيقات واسعة حول الوضعية السائدة في المستعمرة في جميع القطاعات واقتراح الاصلاحات التي تراها ضرورية في المجالات المختلفة.

الأهالي ضد الادارة ولن نجد صعوبة في دحض الاتهام الغريب والمبيت ويكفي للتأكد من غباوته القاء نظرة على الكراسة نفسها لنجد أنها صيغت من أولها الى آخرها بتعابير كلها احترام وتقدير، واعتراف بعظمة فرنسا وبالجهود التي تبذلها والتضحيات التي تتحملها لتحسين حالة الأهالي وكذلك التعبير عن الرغبة في خدمتها بالاخلاص وعرفان ولفت انتباهها الرحيم الى حالة ابنها بالتبني. هذا هو مُلخص العريضة المعنية.

وأستطيع لولا خوفي من ملل القاريء، أن أتجول معه عبر هذه الكراسة، وعندها سيلاحظ كم كان ذلك السرور وتلك الغبطة التي عبرت عنها عند تعرضها للوطن الأم وكم كان مقدار الاحترام والتبجيل الذي افصحت عنه عند تقديم العريضة، فإنه سيدرك ويتأكد بأن فكرة العصيان التي أثيرت في المقال المذكور لا توجد إلا في المخيلة المريضة لكاتبه. وسوف لن أضيع الوقت ولن اتلهى في ذكر كل التفاهات التي يحتوي عليها هذا المقال ولكني لا أستطيع السكوت عن خطإ خطيرا ارتكبه المألف وبالرغم من أنني عربي، ومع ذلك فإنني لا أستطيع تحمل سب الجيش الفرنسي، وبالفعل، فقد أكد الكاتب بجد، أنه نظرا لقلة الثقة التي لفرنسا في كتائب الرماة الجزائريين، فإنها لم تبعث بهم الى تونس ولا الى التونكان. ستقول أن هذا الكلام غير معقول، أيها القارئ، ومع ذلك فهو صحيح وهذا ما كتب. إقرأ وستتأكد من ذلك وإنني اعتذر آسفا بكوني لا أستطيع أن أعطي قائمة كاملة لكل المدن التي تم الاستيلاء عليها ولكل المعارك التي انتصر فيها (التركوس) (الجزائريون) أثناء هاتين الحملتين، ولكني سأترك ذلك لقادة هاته الكتائب الذين هم مؤهلون أكثر من أي أحد آخر للدفاع عن رايتهم المهانة.

تكلمة:

نعود الى الكراسة لأقول بأنني بعيد من أن اعتبرها كاملة بل تشكو نقصا كثيرا،، ولكنني أؤكد بأنها لا تحتوي على أي شيء من شأنه خدش

الادارة والمساس بها. مزودا بالمعلومات التي كانت تنقص كتابها الأولين فقد رخص لي هؤلاء بتصحيحها وتنقيحها وسوف تنشر في وقت قريب بشكل أكثر دقة وأكمل[1].

عن أعضاء المجالس البلدية المذكورين أعلاه
عبد اللحميد بن مصطفى بن باشطرزي

(1) أنظر العريضة التالية رقم 65.

65 ـ عريضة سكان مدينة قسنطينة[1]
(1892)

حضرات السادة أعضاء مجلس الشيوخ
حضرات السادة النواب

نحن في الجزائر أربعة ملايين من الأهالي المسلمين ونعيش وسط خمسمائة ألف من الأوروبيين نصفهم فقط من المواطنين الفرنسيين على أقصى تقدير والحال أن هؤلاء الأخيرين هم وحدهم يديرون وبالأحرى يحتكرون شئون البلاد، وبالتالي يستحوذون على كل الفوائد: فاليهم المجالس البلدية والمجالس العامة في العمالات والمجلس الأعلى للحكومة، واليهم الوظائف والمهام والمرتبات الكبيرة والصغيرة واليهم المالية والميزانيات والمنح والملايين التي تلقي بها فرنسا كل سنة، بسخاء، في الجزائر، وإليهم الاستفادة من التنازلات عن أجود الأراضي، واليهم المدن والقرى والضياع.

اليهم كل شيء
والينا نحن لا شيء

ومع ذلك فنحن أكثرهم عددا ست عشرة مرة، وندفع في شكل الضرائب بمختلف أنواعها ـــ يقطع النظر عن أي اعتبار ـــ الضعف أو ثلاث مرات أكثر ممّا يدفعون.

---

(1) المصدر: عن الدكتـور الطيب مـرسلي

Contribution à la question indigène
Constantine, 1894 pp 93-100.

وبالفعل، فنحن ندفع مثلهم:

كل الرسوم والتي بمقتضى اجراء تعسفي ملزمين بدفعها نقدا.

الضريبة العقارية على البنايات.

رسم على الكراء وعلى الكلاب.

ضريبة على المهن وضريبة للغرف التجارية.

ضريبة على أشجار العنب.

حقوق التسجيل والطابع الضربيين.

المكوس في الأسواق والساحات التجارية.

كل ضرائب العمالات والبلديات.

ومثلهم كذلك نساهم، بقدر امكانياتنا الضعيفة في تمويل كل الضرائب الغير المباشرة وفي الرسم على البحر وفي مدا خيل البريد والبرق والسكك الحديدية والحركة التجارية والصناعية والزراعية.

وندفع نحن وحدنا، زيادة عنهم:

الزكاة على الأنعام.

العشر على المحاصيل الزراعية.

الضريبة على البساتين.

الضريبة على النخيل.

الضريبة على تكوين الملكية.

الضريبة على الزواج وعلى الاحتفالات وعلى الأعياد الدينية والأعياد العائلية وغيرها. ونتحمل مصاريف الترجمات الشرعية وغيرها. ونستطيع أن نضيف بأننا ندبر بواسطة امكانياتنا وحدها، موارد لتغطية حاجات فقرائنا ومرضانا وأئمتنا ومساجدنا ونحن وحدنا نقوم بتغطية مصاريف دفن المسلمين المعدمين سواء أكانوا جزائريين أم أجانب لأنه إذا كان في ميزانيات بعض السنوات بنودا للصرف على هذه أو تلك من المصا لح، فان المبلغ المعتمد هو من الضآلة بحيث أن التكاليف تقع على عاتقنا بكاملها تقريبا.

يضاف الى هذا كوننا خاضعين للحجز أيضا ولحراسة المدن والقرى والطرقات والجبال الشبه الجرداء وضياع المعمرين ومكاتب حكام البلديات المختلطة وخيولهم وكلابهم. وحيوانات وبشر. فنحن كلنا خاضعين للتسخير الى أقصى درجة. كما أننا نأوي الموظفين والشواش والصبايحية والقياد والقضاة ورجال الدرك وحراس الغابات وكل من له علاقة من قريب أو بعيد بالسلطة.

آه نعرف جيدا أن هذا ليس قانونيا وأنه لن يرغمنا أحد على ذلك ولكننا نعرف أكثر، كم سيكلفنا ذلك إذا نحن لم نقم به، وعلى كل، ففي مناطقنا التي هي بصفة عامة خالية من الفنادق ومن المطاعم، أليس من الواجب استضافة أي كان؟ أو ليس مضطر هو الآخر على قبولها؟

نعم، يجب أن تراعي لنا جميع هذه الالتزامات التي تثقل كاهل مداخلنا التي هي في لأصل ضعيفة. وإذا ما أضفنا الى هذا، الغرامات والحبس ومصادرة الأسلحة التي نتعرض لها في كل لحظة، فأننا نسطتيع أن نؤكد وبدون تردد أن العربي الذي يملك أقل من المعمر، يدفع في النهاية ضعفين أو ثلاثة أضعاف ما يدفعه المعمر في الوقت الذي يملك أقل منه بكثير. فهل هناك حالة أشد بؤسا من هاته ومصير أكثر ألما من هذا؟!

كيف نستطيع أن نصمد؟ وكيف يمكن لنا أن ننشد الرخاء؟ فليس لنا صوتا مسموعا في سير الأمور كما أننا لا نستطيع أن نقول كلمة مؤثرة حتى في الشئون التي تخص الأهالي وحدهم.

أيها السادة:

إذا كنتم تنشدون ضياعنا فما عليكم الا أن تتركوا الأمور تسير على هذا المنوال، فأنكم ستبلغون الهدف بكل تأكيد.

وعلى كل حال فنحن بدأنا نحتك بهذا المصير منذ الآن. فالأمس كان البؤس يخيم على مقاطعة قسنطينة وحدها واليوم بدأ يقضم مقاطعتي الجزائر ووهران وغدا سيصبح عاما. وبعد قليل سنتحول الى قطيع من الجياع الذي يتحتم عليكم تقويته لكي يعيش أو ابادته لمنعه من أحداث الضرر. ولكنكم لا ترغبون في ابادتنا كما أنكم لا تريدون بؤسنا، وقد أكدتم لنا ذلك مرار وتكرارا وفي مناسبات عدة، كما أنه ليس لكم مصلحة في ذلك. وعلى كل حال، فمصالحنا متكاتفة، وقد تحملتم أمام التاريخ مسؤولية وجودنا ومستقبلنا.

إذن فأنتم لا ترغبون في الحاق الضرر بنا بل على العكس انكم تريدون الخير لنا. ولكن لما كانت هذه هي نواياكم، لماذا تتركون استمرار وضعية مليئة بالتعسف وبالخطر لمصلحة بضعة أفراد؟ لماذا ترفضون منحنا وسائل الدفاع عن مصالحنا بنجاعة، في المجالس المنتخبة في المستعمرة، والسماح لنا بأن نفوض لديكم في باريس مندوبين من اختيارنا يدركون مطامحنا ويعرفون مصالحنا واحتياجاتنا.

وكم سيزودونكم بمعلومات هامة ويقترحون عليكم اجراءات مفيدة يبددون الأغلاط الشائعة. ان تبديد الأغلاط وسوء التفاهم وتنفيذ المزاعم التي نكنها ضد بعضنا البعض، أليس هذا عملا على درجة كبيرة من الأهمية؟ فليس عدائنا و لا أنانيتنا ولا اللامبالاتنا هي التي تقتلنا ولكنه اهمالنا لكم واهمالكم لنا.

لو أن الأهالي تعرفوا عليكم جيدا، فانهم كانوا سيتوجهون اليكم في أغلب الأحيان وبكل طواعية ومن جهتكم فأنكم لو تعرفتم على حالتنا كما هي عليه بالضبط فأنكم لن تسمحوا باستمرارها ولو دقيقة واحدة أكثر من ذلك. نحن مقتنعون بهذا من أعماقنا ومتأكدين من ذلك كل التأكيد. ولوضع حد لهذه الوضعية الضارة بالجميع نترجاكم في أن تمنحوا لنا الحقوق الانتخابية.

اننا ندرك تمام لادراك أن هذه الحقوق لن تمدنا لا بالخير ولا بالسعادة ولكنها ستمنح لنا الوسائل لكي نسمعكم شكاوانا وهذه نقطة هامة في حد ذاتها. ونحن واثقون من أنكم ستستمعون الى ممثلينا بعطف وكرم وبأنكم لن ترفضوا أبد اجراء! منصفا وطلبا عادلا والتماسا مشروعا. ولكن، ونكرر ذلك، أن هذا يستوجب وجود هيئة ووسيط معتمد للايصالها اليكم مرفقا بكل المعلومات والتوضيحات المطلوبة والتي بدونها لا يمكن اتخاذ أي قرار بشأنها. هذه الهيئة وهذا الوسيط لا يمكن أن توجد وتتحقق بدون الموافقة على مشروع القانون الذي تقدم به السيد اسحاق عضو مجلس الشيوخ. وبما أن بعض ترتيباته، قد أيقضت على ما يبدو بعض الحساسيات وهي الحساسيات التي نحترمها من كل قلوبنا نقترح عليكم التدابير التالية:

ففي كل دورة تشريعية، يقوم مجلس الشيوخ بانتخاب لجنة من بين أعضائه من ثمانية عشر عضوا، وهذه اللجنة تعمل بصفة دائمة على غرار لجنة العرائض مثلا، يشارك في أعمال هذه اللجنة خمسة عشر مندوبا من الأهالي بأصوات قرارية واستشارية؛ مندوبا واحدا عن كل دائرة من دواير الجزائر، منتخبين من طرف أبناء ملتهم. فكل اجراء، سواء كان مقترحا من الحكومة أو من اللجنة نفسها أو من البرلمان، يتعلق بالجزائر، يجب أن يعرض على هذه اللجنة لدراسته وبعد تقييمه عن طريق الاقتراع، تقوم اللجنة بتعيين مقرر يكلف باعداد تقرير للبت في المشروع بالقبول أو بالرفض ويمكن للمقرر أن يكون من الأهالي، وفي هذه الحالة ولغرض الدفاع عن تقريره يسمح له بالمشاركة في جلسات البرلمان مؤقتا بشكل يماثل حضور محافظي الحكومة مثلا.

ومثل ذلك يفعله مجلس النواب الذي يختار لجنة من ثمانية عشر عضوا من بينها نواب الجزائر الستة من المعمرين، فان الخمسة عشر عضوا من الأهالي المشاركين في أعمال لجنة مجلس الشيوخ يحضرون كذلك جلسات لجنة مجلس النواب ويقومون بنفس الدور وبنفس الصلاحيات.

والى جانب مشاركتهم في أعمال اللجنتين البرلمانيتين، فان المندوبين الأهالي سيكلفون كذلك بمتابعة أثر الاجراءات المطبقة التي تخص الأهالي، لدى الحكومة والمصالح العمومية. ولن يكون هذا هو دورهم فحسب بل سيكونون همزة وصل بيننا وبين فرنسا فهم سيحملون الينا مشاعرها الودية والرعاية العطوفة، ويحملون لها منا، وفي كل مناسبة تعلقنا الأبوي واخلاصنا لها والذي لا يتزعزع. هذا ما سيكون عليه دورهم.

ان هذا التحديد لصلاحياتهم وحصرها داخل شئون تخص الأهالي الجزائريين وحدهم سيخمد، ونحن مقتنعين بذلك، الشكوك التي أثارتها قضية تمثيل الأهالي في البرلمان، حتى الآن. وبالفعل، فإنه إذا قبلت وجهة نظرنا هذه وهو الشيء الذي نأمله فلن نكون ممثلين لا في مجلس النواب ولا في مجلس الشيوخ وانما فقط في لجنتيهما الخاصين بالجزائر. فكل تدخل في مسائل غير التي تخص الأهالي سيكون محضورا على نوابنا. هذا فيما يتعلق بالبرلمان.

أما فيما يتعلق بقبولنا في مجلس الحكومة في المستعمرة، فان مشروع عضو مجلس الشيوخ السيد اسحاق كان سيرضنيا لو أن الأعضاء الأهالي كانوا أكثر عددا. لكنه مع الأسف لا ينص سوى على عضوين لكل مقاطعة. ونظر لأهمية هذا المجلس والمسائل التي ستعالج فيه فان هذا العدد ضئيلا جدا وغير كاف. كيف يمكن لعضوين في كل مقاطعة مهما كانت درجة مقدرتهم وتفانيهم ان يتحملوا وينجزوا العمل الكبير الملقى على عاتقهم، وبرفع عددهم الى ستة لكل مقاطعة فان ذلك سيمكنهم من القيام بعمل مفيد، وفي نفس الوقت فلن يؤدي ذلك الى تهديد هيمنة العنصر الفرنسي. وبالفعل، فان تركيبه على هذا الشكل، فالمجلس الأعلى سيكون فيه ستة وخمسون عضوا من بينهم ثمانية عشر أي أقل من الثلث، سيكونون من الأهالي.

أما فيما يتعلق بتمثيلنا في المجالس العامة (مجالس العمالات) والبلدية فان المقترحات المقدمة من طرف المشرف عضو مجلس الشيوخ السيد اسحاق ترضينا حاليا بما فيه الكفاية. هذه هي مطالبنا فهي مطالب معتدلة كما أنها مشروعة.

فالأمة الفرنسية التي ضحت مرات عديدة لكي تحمل للأجانب مبادىء الحرية والعدل والمدنية هل تستطيع ان ترفض المنارة الأولي لهذه المبادىء لشعب وضعه القدر تحت جناح وصابتها والذي لم يتفكك عن تقديم براهين عن تعلقه بها ووفائه لها منذ غداة الاحتلال.

ثقوا جيدا حضرات السادة، ان الذي دفعنا الى الكلام ليس هو العطش الى المباراة النظرية مهما كانت مشروعيتها ولكنها الضرورة الملحة للدفاع عن حاجاتنا المادية الأكثر ضرورية واستعجالا. إنه الأمل في أن نبعد عن اخواننا، خدامكم المخلصون الشجعان، كارثة غير مستحقة والتي توصي سمعة فرنسا وكرامتها على تجنبها مهما كان الثمن.

كلمة أخيرة قبل الختام:

منذ بضعة شهور وقعت انتخابات لأختيار النواب في الجزائر كما في فرنسا فالى جانبنا رأينا كل جماعة، وكل مصلحة وكل شخص يعرض بكل حرية وهدوء احتياجاته ومطالبه ويتلقى الضمانات بكونها ستلبي كاملة أو جزئية، ما عدانا نحن، فقد بقينا على الهامش كالمنبوذين، بأحزاننا المكتومة ورغباتنا الغير المسموعة وقلقنا المنسي ومطامحنا المكظومة في أعماق قلوبنا وشعورنا بالضياع الذي يدفع الى البكاء. ما هو الضرر الذي سيحدث لو أن فرنسا قالت لنا: أنتم كذلك أبنائي ولكم أيضا الحق في رعايتي واهتمامي فافعلوا مثلهم؟

وهل في مشاركتنا لكم في الحياة السياسية ورفع صوتنا الى جانب صوتكم في القضايا الحيوية التي تجمعنا، أفلا تحققون بذلك شيئين هامين

وجميلين في آن واحد: انكم ستعطون لنا بذلك دليلا على ثقتكم وعلى عطفكم الذي سيشدنا اليكم أكثر فأكثر وفوق ذلك سينزاح عن عاتقكم جزء من الحمل الثقيل الواقع على كاهلكم من جراء شئوننا، وتستطيعون في هذه الحالة أن تردوا على شكاونا بقولكم: إذا كانت شئونكم ليست على ما يرام فما عليكم الا أن تلوموا أنفسكم.

حضرات السادة:

ان وجودنا ومستقبلنا هو بين أيديكم، ولنا كامل الثقة في انصافكم. فقرروا، ولكن بالله عليكم لا تتأخروا أكثر فهناك خطر في البيت.

66 ـ افتتاحية العدد الأول من جريدة الحق[1]
«برنامجنا»

الحمد لله:

ان الهدف من اصدار هذه الجريدة هو من أجل الدفاع عن مصالح العرب الجزائريين وكذلك مصالح كل الفرنسيين الذين هم أهلا لهذه التسمية، والذين هم في استجابتهم للمشاعر الوطنية ينقمون على أولئك الذين يشنعون بنا، أولئك الذين يحاربوننا من أجل أن يتسغلونا أكثر.

أن برنامجنا مستقل ويقبل بكل صراحة الحكم الفرنسي الذي نسر به لأنه يترك لنا حريتنا الدينية ويحترم تقاليدنا. ان جريدتنا تتوجه الى الفرنسيين، ثم الى العرب، إلى الجزائر والى فرنسا أمنا الثانية. آملين اسماع مطالبنا المشروعة وأخذها بعين الاعتبار من طرف المجلسين (مجلس النواب ومجلس الشيوخ).

ان الصحفيين من أهل الجزائر قليلي العدد وصحف المستعمرة ترفض دائما، نشر مقلاتهم ــ في ركن «الرأي الحر» ــ على صفحاتها. والقليل الموجود منهم هو بعيد من أن يتملك قلما مثل قلم رشفورد ودريمون. وفي المقابل، فهم ان لم يكونوا بلغاء فهم يعرفون كيف يفكرون ويعالجون كل قضايا بمنطق وعن دراية، فان محرري هذه الجريدة سيقومون بدراسة كل المسائل ذات المصلحة العامة دراسة عميقة وبأسلوب بسيط ومتعدل، وسيفحمون أولئك الذين سيقومون بمهاجمة العرب على غير وجه حق، في المستقبل.

زيد بن ذياب

---

(1) جريدة أسبوعية تصدر في مدينة عنابة باللغة الفرنسية ثم باللغتين معا ظهر العدد الأول منها في 30 جويلية 1893 وتوقفت عن الصدور في العام التالي. للمزيد من التفاصيل حول هذه الجريدة. أنظر محمد ناصر ن.م وكذلك ز. ايحدادن ن. م.

67 ـ العدل العدل[1]

لقد قرر العرب في النهاية، الدفاع عن حقوقهم التي تداس كل يوم واسماع صوتهم المهمل، ولقد كان لنا مدافعين من بين الفرنسيين ولكنهم قليلون ونادرا ما ينصت اليهم. واليوم فنحن أنفسنا الذين سنتكلم. صحيح صوتنا ينطلق ضعيفا خافتا من صدورنا ولكنه سيصبح مدويا في النهاية في الأوساط الحكومية.

كل شيء له نهاية، فهناك عدد من الناس قد علف حتى تخم من أسلابناولم يبق لنا شيأ تقريبا وإذا ما لم يتم حماية القليل المتبقي لدينا وفي أسرع الآجال، فان الثروة العربية تكون قد عاشت.

بؤساء كما نحن الآن... أين هي قطعاتنا التي كانت لا تعد ولا تحص؟ وأين هي أراضينا التي كانت تمتد وبدون حدود؟ انها في بطون المرابين وأشخاص آخرين الذين هم بعد أن امتصوا دمائنا يتهموننا بالعصيان وبالوحشية.

فالذي يغضبنا ويحز في نفوسنا أكثر هو ما نراه من كون بؤساء الأمس والذين كانوا يرزحون تحت وطأة الاحتياج والذين كانت تغمرهم السعادة عندما كانت تمتد أيديهم لمصافحتنا تحولوا اليوم الى أغنياء أصبحوا يهاجموننا بضراوة أكثر من غيرهم. وهذا هو موقفهم في الجملة.

---

(1) جريدة الحق العدد 1 ـــ 30 جويلية 1893.

قد تسألوننا ربما لماذا بعد أن سليكم هؤلاء حتى من برانسكم يحتقرونكم الى هذه الدرجة من الدنائه؟ ان سبب ذلك بسيط، فهم يخافون من المتابعة بسبب الغش والربا وسوء الائتمان، فهم يحملون عليكم أوزارهم لتأمين أنفسهم، وسبق كل اتهام قد يوجه ضدهم.

بابا عصمان

68 - «الى المرتدين»[1]

ما هي فضائل رجل يرتد عن قوميته وعن دينه؟
ان مثل هذا الرجل هو أهل لماذا؟

فهل قاتل أخيه يستحق الاهتمام؟ وهل تستطيع الوثوق في وطنية الخائن لوطنه؟ ومثله كذلك، الذي يملك ذرة من الذكاء فيستخدمه ضد أخيه وهل يمكن لرجل ذي قلب أن يحب حقا خائنا مرتدا؟ ان الخائن الذي يحبكم اليوم ألا يمكن أن يخونكم غدا؟

من الشخص الذي يفضله الفرنسي؟ هل هو ذلك الرجل الذي يقول عن نفسه بكونه عربيا مسلما ويضيف بأنه ابن فرنسا بالتبني، أم ذلك الذي يعلن بأنه ليس بعربي ولا بمسلم ولكنه فرنسي؟ ذلك الذي ينسي اليوم بكون الدم المحمدي يجري في عروقه وأن أمه مسملة وبكون اسلافه قد دافعوا عن القضية الاسلامية؟ وهل مثل هذا الشخص يمكن ان يكون فرنسيا جيدا؟

فالرّجل الذي يتنكر لحليب امه هل يمكنه حب حليب امرأة أجنبية؟
نحن نحب فرنسا بدون أن نتنكر للاخواننا العرب ولسنا في حاجة لمحاربة أبناء ملتنا لنكتسب محبه فرنسا، للأننا رعاياها حقيقة وبالتالي نحن أبنائها وعند الضرورة نستطيع أن نبرهن لها عن وطنيتنا.

عبد الله

(1) جريدة الحق العدد 8 ــ 17 سبتمبر 1893.

69 ـ فتوى حول الهجرة[1]

ما قولكم في أهل بلدة مسلمين قد استولى عليهم الكافر وصار حاكما عليهم ولم يتعرض لهم في أمور دينهم بل يحثهم على اجراء

---

(1) المصدر: A.N.P/F.19 - 10934 استصدر هذه الفتوى المقيم العام جول كامبون خلال موسم الحج العام 1893. عند ما كلف أحد الحجاج الجزائريين وزوده بالهدايا بالاتصال بشيوخ المذاهب السنية المقيمين في مكة المكرمة والحصول منهم على فتوى حول موضوع الهجرة، مقلدا بذلك ما فعله بيجو حسب زعم ليون روش عندما استصدر فتوى في بداية الأربعينات من مكة المكرمة ترغب الجزائريين عن الهجرة. وكان غرض المقيم العام هو استخدامها لمد نفوذ فرنسا الى واحات توات وكان يخشى ان تجابه هذه المحاولة بمقاومة نشطة من طرف السكان. ومن جهة أخرى استعمالها لمجابهة حركة الهجرة التي بدأت مؤشراتها تظهر في مختلف المناطق في شمال البلاد. (أنظر البرقية التي بعثها الوالي العام الى وزير الداخلية بتاريخ 2 نوفمبر 1893 في A.N.P/F. 19 - 10934.

وبالفعل فقد ازداد قلق السكان عندما ترددت إشاعات حول احتمال قيام الحكومة بمنح الجنسية الفرنسية للجزائريين بالجملة وفرض الخدمة العسكرية الاجبارية عليهم، وهو ما اعتبر مساس بعقيدتهم وبالدين الاسلامي في الصميم. ولمجابهة احتمال اتساع حركة الهجرة نحو المشرق اتخذت الولاية العامة عددا من الاجراءات كما عمدت في نفس الوقت الى البحث عن أسباب ظهور هذه الحركة من جديد. ولقد عبر لوسياني، مدير الشئون الأهلية في الولاية العامة عن رأيه حول هذا الموضوع عندما كتب يقول: «... يجب إذن حسب رأيي اعتبار الأسباب التي أدت الى تذمر الأهالي (عدم قبول مطالبهم) ووضعيتهم الاقتصادية السيئة هي أسباب من الدرجة الثانية. فهي لا تفسر لذاتها حركة الهجرة التي حدثت، فهي لا تضيف شيئا أو تضيف شيئا قليلا للسبب الرئيسي الذي هو سبب خارجي، كما سبق أن وضحت أعلاه والذي له طابع ديني وسياسي معا. والعرب أنفسهم في أحاديثهم يطلقون على نزوحهم اسم الهجرة، والذي يعني في تاريخهم هروب الرسول من مكة الى المدينة والنازحون يسمون انفسهم بالمهاجرين وهي التسمية التي اطلقها القرآن على أولئك الذين اتبعوا الرسول الى المهجر. لقد لاحظ لي بعض الأعيان من الأهالي، وهذا صحيح بان معظم النازحين ليسوا من أولئك المتمسكين بشعائر الدين، وان خروجهم لم يكن دافعة الايمان ولكي فقط على أمل ان يجدوا في بلد آخر أرضا أكثر خصوبة وحياة أكثر سهولة. ومع هذا فأني مازلت مقتنعا بان الشعور الديني الذي هو دائما شعورا حيا حتى لدى أولئك الذين لا يقومون بشعائر الدين، قد لعب هنا دورا مهما. ويجب أن نتذكر دائما ولمدة أخرى طويلة أيضا أن مسلمي الجزائر كغيرهم من المسلمين في بلدان كثيرة أخرى) يعتبرون سلطان القسطنطينية ليس رئيسا روحيا فقط ولكنه أيضا وخاصة. عاهلهم السياسي الشرعي. وهل يعني هذا انه يجب عدم الأخذ بعين الاعتبار أي من الشكاوي التي عبر عنها الأهالي؟ لا بل على العكس، فأنا اعتقد انه يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار في أوسع نطاق ممكن ولقد استوجبت منها (الشكاوي) هذه المقترحات التي يشرفني ان أعرضها عليكم سيدي الوالي العام كخاتمة لهذا التقرير. فهذه المقترحات تهدف الى تحقيق غرضين: فمن جهة تلك التي تتعلق بالهجرة وتهدف الى منع تجدد حدوث حركة مماثلة في المستقبل، ومن جهة أخرى تلك التي تخص الاجراءات التي يتعين القيام بها في حدود الامكان والمفيد لترضيه مطالب السكان من الأهالي ومعالجة نقائص النظام الاداري المطبق عليهم، والتي هي مع الأسف جد حقيقية في الجزء الكبير من مناطق الحكم المدني». أنظر A.N.P/S.O. M-AFF. pol - C- 903.

أحكامهم الدينية ووظف عليهم قاضيا من أهل دينهم يجري عليهم الأحكام الشرعية وجعل له معاشا وافرا يأخذه على رأس كل شهر. فهل مع هذا تجب عليهم الهجرة أم لا؟ وهل تجب عليهم مقاومته ومحاربته مع عدم قدرتهم على ذلك أم لا؟ وهل بلدهم التي استولى عليها يقال لها دار حرب أم دار اسلام؟ بينوا لنا بيانا شافيا قاطعا للنزاع أيدا الله بكم الدين.

قال شيخنا العلامة رحمه الله في جواب نحو المسئول عن المهاجرة واجبه من موضوع لا يتمكن الرجل من اقامة أمور دينه بأي سبب كان ومن لم يقدر على ذلك يجب عليه الهجرة ان قدر عليها بأن كان له مال يكفيه لمؤنة الانتقال. فقد قال الله سبحانه في حق قوم اسلموا و لم يهاجروا مع تمكنهم من ذلك «ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم قالو كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها» الآية فلم يعذرهم ربهم مع استضعافهم بتمكنهم من المهاجرة الى محل آخر الا من استثنى في آخر الآية قال تعالى: «إلا المستضفين من الرجال والنساء والولد ان» الآية، المعني ان جهنّم مأوى جميع من ترك الهجرة إلاّ من هو مستضعف في جنس الرجال والنساء والولدان، حال كونهم لا يستطيعون حيلة في الخروج لعجزهم وفقرهم ولا يهتدون سبيلا أي لا معرفة لهم بالمسالك فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم ترك الهجرة. كذا قاله علماء التفسير وقال ﷺ من فر بدينه من أرض وإن كان شبرا من الأرض استوجبت له الجنة، وكان رفيق أبيه ابراهيم ونبيه محمد صلواة الله عليهم أجمعين. وفي معراج الدراية عن المبسوط: البلاد التي في أيدي الكفار بلاد اسلام لا بلاد حرب لأنهم لم يظهروا حكم الكفر بل القضاة والولاة مسلمون يطيعونهم عن ضرورة أو بدونها وكل مصرفيه والي من جهتهم يجوز له اقامة الجمع والأعياد والحدود. فلو الولاة كفارا يجوز للمسلمين اقامة الجُمع، ويصير القاضي قاضيا بتراضي المسلمين ويجب عليهم ان يلتمسوا واليا مسلما. وفي تنوير الأبصار وشرحه الدر المختار، لا تصير دار الاسلام دار حرب الا بأمور ثلاثة: باجراء أحكام أهل الشرك وباتصالها

بدار الحرب وبأن لا يبقى فيها مسلم أو ذمي آمن بالأمان الأول على نفسه. قال العلامة الطهطاوي في حاشيته عليه، وظاهره انه لو أجربت أحكام المسلمين وأحكام أهل الشرك لا تكون دار حرب... متى وجد قاضي من المسلمين ولو بإقامة الكافر واجريت أحكام المسلمين على ما وصف أعلاه لاتخرج البلاد عن أن تكون دار اسلام والله سبحانه أعلم.

أمر برقمه خادم الشريعة والمنهاج عبد الرحمن بن عبد الله سراج مفتي مكة المكرمة كان الله لها.

خاتم المفتي

2 ـــ جواب مفتي الشافعية بمكة المكرمة عن السؤالين الثاني والثالث:

«السؤال الثاني: لا تجب مقاومة الكفار مع عدم القدرة والله أعلم جواب السؤال الثالث: ان بلاد الاسلام لا تصير باستيلاء الكفار عليها دار حرب والله سبحانه أعلم.

المرتجي من ربه كل النيل محمد سعيد ابن محمد بابصيل مفتي الشافعية بمكة المحمية غفر الله له ولوا لديه ومشايخه وجميع المسلمين.

خاتم المفتي

3 ـــ جواب مفتي المالكية:

«الحمد لله وحده اللهم هداية للصواب»

«أما بعد فإني قد نظرت فيما أفاده السادة الاعلام فوجدته هو الصواب المعول عليه ولا يكون الاعتماد الاّ عليه فجزاهم الله أحسن الجزاء، وأقام بهم شعائر الدين وبالله الاعتماد».

«أمر برقمه مفتي السادة المالكية بمكة المحمية محمد عابد ابن المرحوم الشيخ حسين».

خاتم المفتي

70 ـ «مساهمة في توضيح المسألة الأهلية»[1]

ان المسألة الأهلية هي مشكلة حقيقية، بمعنى الكلمة، فهي من بين الموضوعات الأخرى، مسألة حساسة ومعقدة. وللحقيقة فان المسألة الأهلية هي بعينها المسألة الاسلامية بصفة عامة، بمعنى انها المسألة الشرقية بكل تعقيداتها، حاملة في طبعها بذرة جديدة، فالمسألة الجزائرية أو بالأحرى المشكلة الجزائرية تأخذ وجها جديدا في كل لحظة. وهي تفسر تفسيرات مختلفة كما يعلق عليها بنفس التنوع، حسب الأشخاص والمناسبات والأماكن والآراء المسبقة أو التجرد الذي ينظر به اليها.

أما حلها الذي يرغب فيه الكل، فان عددا كبيرا من الأشخاص، وبنية حسنة يعتبرون انه لا حل لها وانه ليس هناك ما يمكن عمله بالنسبة للشعب العربي الذي يجب ان ينقرض، بحكم طبيعة الأشياء كما انقرضت بعض القبائل البدائية في أمريكا الجنوبية أمام تقدم الحضارة. وآخرون أكثر تفائلا يعتقدون انه إذا كان الادماج السريع والنهائي غير ممكن فعلى الأقل يجب أن يكون هناك تقارب بطيء ومتدرج.

أما بالنسبة لنا نحن، وبدون أن نكون لا متفائلين ولا متشائمين ولكن لنا ثقة في المستقبل ونعتمد كثيرا على الزمن، هذا المعلم الكبير كما قال نابليون الأول.

---

(1) المصدر: Dr. Tayeb Morsly, «Contribution à la question indigène» Constantine 1984 الدكتور الطيب مرسلي، كان عضوا في المجلس البلدي لمدينة قسنطينة في هذه الفترة نشر عدة مقالات خلال عامي 1892 ــ 1893، في جريدة «اليبرتي كولونيال». والتي أصبحت منذ شهر مارس 1893 تحمل اسم «ليبير اسيون دي كولوني».

بالفعل، فلا يمكن تغيير أسلوب حياة شعب في بضع سنوات وبصورة فجائية خاصة عندما يكون الأمر يتعلق بشعب يستطيع ان يتذكر بأنه كان في يوم من الأيام سيد العالم. ألم تمر فرنسا التي يحلو لنا ان نأخذها كنموذج للأمم المتحضرة بمراحل متتالية التي نقلتها من حالة الهمجية والبربرية الى درجة العظمة؟ ألم يتطلب منها ذلك مرور قرون طويلة لكي تصل الى ذروتها؟

من كان يعتقد قبل قرون أن اليونان وروما ستتدهور ان في يوم من الأيام لتصبحا في المرتبة الأخيرة، تقريبا من بين الأمم؛ وهما اللتان كانتا ولمدة طويلة في طليعة حركة التقدم.

كل الناس تعرف ان الحضارة العربية كانت قد لمعت بشعاع مبهر، في الوقت الذي كانت فيه أوروبا بكاملها غارقة في ظلمات الهمجية. هذه الحضارة وان كانت عابرة وهذا صحيح، ولكنها أظهرت على الأقل بكونها قد وجدت وانها كانت نقطة الانطلاق للحضارة الحالية.

وبكل تأكيد، فان الشعب العربي له نقائص كثيرة، ولكن من هو الكامل على وجه الأرض؟ فالي جانب هذه النقائص التي نعترف بها، أو ليست لدينا محاسن يمكنها تعويض هذه النقائص وتزيد؟ فأعدائنا لا يروا فينا الا ما لا يلائمنا ويستعملون ذلك لخدمة قضيتهم. فالصحافة الجزائرية التي هي بين أيدي عدد من الرأسماليين هي معادية لنا بشكل ظاهر. فهي لا تدخر وسعا ولا تضيع فرصة لتضخيم وتهويل أي تجاوز يقوم به أحد من الأهالي وتستخلص دائما من ذلك نتائج مبالغ فيها. وهي في الواقع لا تستطيع عمل غير ذالك فكراهية العربي هي النغمة السائدة في الجزائر. فالجريدة التي ترغب في الاستمرار في الصدور أفلن تكون مضطرة الى مداهنة الاتجاه السائد؟

ويعتقد بالفعل أن بعض فرنسي الجزائر قد تركوا على الضفة الأخرى من المتوسط مشاعر الكرم الفروسي الذي يتحلى به وفي أرفع صوره أحفاد الغاليين، وانهم يتغيرن فلم يعودوا يشبهون إخوانهم في فرنسا.فمن بعيد يكون هناك شعور بالألم والشفقة لحال «هؤلاء العرب المساكين» وينصت لمشاعر القلب، ولكن على أرض الجزائر وامام هؤلاء العرب أنفسهم، فان الموظف يفكر أولا في نفسه ففاعل الخير يبدأ بنفسه أولا؛ لأن الدفاع عن الأهالي ليس عمليا وليس بمفيد. فليس هناك ترقية إذا كنا نحب العرب فالأهالي ليس لهم نفوذ وهم ليسوا بناخبين فلا يستشارون حتى في الاجراءات والأمور التي تخصهم. فأصدقائنا الاسرائيليون كانوا في نفس الوضع الذي نحن عليه قبل مرسوم كريميو[1] ولكن الآن كل شيء تغير بالنسبة لهم ولفائدتهم الكبيرة... فهؤلاء الاسرائليين هم (الآن) مواطنون فرنسيون فهم يصوتون مثلهم مثل لآخرين، وعلى ذلك فهم يدركون قوتهم ويعرفون انهم يحملون بطاقة الاقتراع التي هي سلاح رهيب ولكنه سلاح سلمي؛ والى جانبهم الأهالي، سادة البلاد السابقين أولئك الذين يكدون من أجل رخاء المستعمرة، هؤلاء الذي كان من المفروض أن يقرأ لهم حساب وبكل جدارة. ما هو شأنهم؟ لا شيء!...

(1) مرسوم صدر عام 1871، بمقتضاه حصل اليهود في مجموعهم على الجنسية الفرنسية وأصبحوا يتمتعون بحقوق المواطنة الفرنسية.

71 ـ «حول اندماج الأهالي المسلمين بالجزائر في الفرنسيين[1]»

اننا نريد أن نتحدث اليكم اليوم في كلمات وجيزة عن موضوع ادماج الأهالي المسلمين بالمواطنين الفرنسيين.

ان رأينا المتواضع حول هذه النقطة هو رأي شخصي ولكننا لا نعتقد اننا سنتهم بالغرور إذا ما أكدنا بأننا نجد عند الأغلبية من أبناء ملتنا نفس هذه الأفكار. وعلى ذلك فرأينا يمكن اعتباره في منظور متواضع، على أنه يمثل وجهة نظر العامة الجزائرية.ومن وجهة النظر الفرنسية، فليس هناك شك بأن الادماج تعترضه صعوبات جادة. وإذا كانت نخبة من الشباب الجزائريين الذين اتقنوا اللغة الفرنسية ويجيدونها والذين ترددوا على المدارس الفرنسية بمدينة الجزائر أو على المدارس الاسلامية[2] درسوا الأداب الفرنسية، لهم حول معظم المسائل أفكارا ومشاعر كأنهم فرنسيين حقيقين، فانه لا يجب أن ننسى ان هذه النخبة هي أقلية ضئيلة جدا وان عامة الأهالي الجزائريين هي بعيدة كل البعد من أن تستحق شرف الادماج. فهذا الادماج الذي يضفي صفة المواطنة الفرنسية لعامة من الناس جاهلة، هي ليست اهلا له وان دخولها في الوطن الفرنسي لن يكون بالنسبة لنا بدون خطر وحتى مثارا للسخرية.

(1) المصدر: BEN CHOAÏB Aboubeker Abdessalam, «De l'Assimilation des indigènes musulmans de l'Algérie aux Français» in, compte rendu du Congrès International de Sociologie Coloniale, Paris, 1900.

(2) يقصد المدارس الاسلامية الثلاثة المتخصصة في تخريج القضاة وموظفي القضاء الاسلامي والموجودة في كل من قسنطينة والجزائر وتلمسان.

ونريد هنا أن نستعرض على الخصوص النتائج التي ستسفر عن تجنس الأهالي المسلمين الجزائريين بالجنسية الفرنسية من وجهة النظر الاسلامية. وإذا كنا في هذه المسألة نتعرض للجزائر، فلأنها أعز من أي شيء آخر وبأن فرنسا هي مؤهلة أكثر من أية دولة أوروبية أخرى، لأن تصبح دولة اسلامية كبرى. وإنني متأكد بأن هذه القضية تجابه كل دولة أوروبية تحكم المسلمين وتعترضها نفس الصعوبات، وعلى ذلك فاننا نعتقد ان دراسة هذا الموضوع يندرج تماما في اطار هذا المؤتمر الدولي الخاص بعلم الاجتماع الاستعماري.

يمكن تعريف التجنس بكونه تخلي الفرد تخليا كاملا عن قوانينه وعاداته التي تتعارض مع قوانين البلد الذي أصبح مواطنا فيه والوقوع مستقبلا تحت طائلة القوانين المدنية والسياسية لهذا البلد. وبمقتضى هذا التعريف، فاننا نورد في المقابل حقيقة ثابتة ويدركها الكل بأن القوانين المدنية والدينية هي متداخلة بالنسبة للمسلمين، فكلا هما يستمد مبادئه من القرآن ومن الأحاديث النبوية ويكفي للادراك هذا فتح أي كتاب في الشريعة الاسلامية ليتبين مثلا ان دراسة فرائض الصلاة وسنتها واجراءات البيع والمعاملات تقوم على نفس المبادىء وتندرج في سياق واحد بدون أي تمييز، كما أن طبيعة هذين الموضوعين ليست مختلفة وبأنهما متصلتان شرعيا بفرع واحد من المعارف الانسانية.

إن القومية والدين هما موضوعان متداخلان دائما عند المسلمين ويعتبرانهما شيئا واحدا وان التمييز بين الشيء المدني والشيء الديني الذي كرسته التشريعات الأوروبية المنبثقة عن القانون الروماني هو شيء غير مفهوم وغير معقول عند المسلمين.

فالقانون أي الفقه هو جزء من الدين والدين ليس شيئا آخر غير الفقه ومن هذا المنظور فانه من المؤكد من وجهة النظر الأور ثوذ وكسية

الاسلامية ان التخلي حتى ولو كان جزئيا عن القانون المدني سيكتسي صفة الردة فليس من السهل التخلي عن قواعد، سواء أكانت هاته تتعلق بالميراث أو بنظام الأسرة أو بالبينات والأدلة الشرعية التي لها هي الأخرى أصولا اعتقادية. ولن نخشى القول،، وبكل صراحة، بأن التجنس بهذا المفهوم سيسيىء الى الأغلبية الساحقة من سكان الجزائر المسلمين وسيجعلهم يستبدلون الحب العميق الذي في قلوبهم لفرنسا بمشاعر أقل انقيادا.

ان الحجم الذي نريد أن نتقيد به بالنسبة لهذا التدخل المتواضع لن يسمح بان نعالج مطولا مختلف الوسائل التي من شأنها الأسراع في عملية التقارب بين الجنسين وهي ضرورة من أجل تعاونهما المفيد. وهذه المسألة هي على كل حال قد عو لحت عدة مرات وبمقدرة أعلى بما في استطاعتنا نحن القيام به. وسنكتفي فقط بالاشارة الى أن التعليم الفرنسي يبدو لنا، كما يبدو ولكل أبناء ملتنا المستنيرين بأنه من أقوى العناصر التي ستؤدي الى هذا التقارب في المستقبل،وعندنا مثلا يقول «ان الذي يجهل الشيء يكرهه» فدراسة الأداب وتاريخ فرنسا ومعرفة الدور المجيد الذي لعبته عبر القرون سوف لن يكون له أثر آخر، غير مضاعفه حبها في قلوب رعاياها الجزائريين وليس لدينا ما نشتكي منه، فقد وفرت لنا الوسائل لاكتساب هذه المعرفة.

فالمشروع الهائل الذي يرمي الى ايجاد تعليم ابتدائي للأهالي والذي أطلعنا السيد برنار، على خطوطه العريضة، واعادة تنظيم المدارس الاسلامية حيث أنه الى جانب ثقافة فرنسية جيدة يجعل موظفي المستقبل من الأهالي، على معرفة معمقة بالعلوم الاسلامية التي تمثل مجدنا. كل ذلك شاهد على مدى العناية التي توليها الحكومة الفرنسية لرعاياها الجزائر يينى ونتمنى كذلك أن لا يهمل الفرنسيون الذين سيعيشون الى جانبنا، دراسة لغتنا ليتمكنوا من التعرف على ما كانت عليه ثقافة وحضارة شعب في الماضي

انتابه بعض النوم الآن. وبكلمة واحدة. سنقوم نحن وبسعادة وسرور يقطع ثلاثة أرباع الطريق وليقبل هم بأن يقوموا من جهتهم بقطع الربع الآخر.

ولا أريد أن أختم دون أن أقول كلمة حول الجمعيات الاحتياطية الأهلية.

إذا كان هناك موضوع تبتعد فيه مشاعر وسلوكات الفرنسيين كثيرا عن مشاعر وسلوكات رعاياهم من الجزائريين فهو بكل تأكيد حول هذه المسألة الأساسية التي تتعلق بالتبصر والاحتياط فمن جانب هناك عدم الاسراف والتوفير والتعقل التي هي مضرب المثل في كل أوروبا ومن جانب آخر انعدام الوعي والتمسك بعناد بالعيش في الحاضر وانعدام القدرة على مجابهة اضطرابات المستقبل المحتملة. ان الجمعيات الاحتياطية ستقوم بذلك كما أتمنى بكل إخلاص.

بتربية الشعب المسلم في الجزائر على كيفية تصريف شئونه المنزلية باقتصاد وتبصر وسوف توحد في هذا الميدان طبعه ومشاعره مع السكان في فرنسا، الوصية عليه ويمكن لهذا الطبع وبهذه المشاعر ان تتحول الى واحد من العناصر الهامة التي تعمل علي التقارب بدون الاندماج الذي يبدو لنا على أنه أفضل صيغة للتعاون المثمر بين الشعبين في افريقيا الشمالية.

72 ـ «اقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الاسلام»[1]

ما أحوج الناس أجمعين من بوذيين ومسلمين ومسيحين واسرائليين وغيرهم الى حكماء لا يبالون لغوغاء العلماء الغفل الأغبياء والرؤساء الفساق الجهلاء يجددون النظر في الدين فيعيدون النواقص المعطلة ويهذبونه من الزوائد الباطلة مما يطرأ عادة على كل دين يتقادم عهده فيحتاج الى مجددين يرجعون به الى أصله المبين البري من حيث تمليك الارادة والسعادة في الحياة من كل ما يشين المخفف شقاء الاستبداد و الاستعباد، المبصر بطرائق التعلم والتعليم الصحيحين المهيء قيام التربية الحسنة واستقرار الاخلاق المنتظمة مما به يصير الانسان انسانا وبه لا بالكفر يعيش الناس اخوانا.

قد علم مما تقدم ان أهل الكتاب لا يقاتلون الا إذا بدؤا بالعداوة ومع ذلك فانهم يدعون قبل الحرب الى أحد الأمرين الاسلام أو إلانقياد، فان اسلموا كانوا اخواننا في الدين لا فرق بيننا وبينهم ولا تفاوت الا بتفاوت الأعمال ولا تفاضل الا بالتفاضل في العقول والعلوم... وان لم يقبلوا أحد الأمرين المذكورين فانهم يحاربون مع مراعاة المصرح بها في كتب الفقه. ثم إذا مالوا إلي الصلح يصالحون...هذا كله حين كان المسلمون في أوج الصعود وطالعهم سعد السعود وهم أولوا شرف شامخ وعز باذج وثروة تامة... اما اليوم وقد أصبحوا متقهقرين في جميع

(1) المصدر: الشيخ سيدي محمد بن مصطفى ابن الخوجة الجزائري. «اقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الاسلام» الجزائر 1902.

التقدمات العصرية فلا ينبغي لهم الاهتمام الا بشئونهم المعاشية؛ بخلاف الا فرنج فلا يخفي انهم بلغوا الغاية القصوى في القو ة والاستعداد ماديا ومعنويا وصدقت فيهم كلمة الله العليا: «يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا» وخصوصا الأمة الفرنساوية، فانها من أقوى الأمم الأروباوية ولها الجيوش الجرارة التي كل جندي منها ضرغام والاساطيل القهارة... والقلوب السليمة والطباع المستقيمة والصنائع البارعة والتحف الرائعة،، من ناسبتها السيادة والرياسة وزانتها الكياسة والسياسة صاحبة الدولة الفخيمة ربة الصولة العظيمة والمساعي المشكورة والأعمال المبررة والخيرات العميمة والمثن الجسيمة كاحترام العقائد وابقاء العوائد واقامة المعابد واحداث المساجد واحياء الدوارس وانشاء المدارس لتعليم الفنون العربية والوسائل الأدبية وما يتعلق بتحقيق الديانة الاسلامية... واشتهرت بالعدل والاحسان بين العالمين ولذلك أورثها الله المستعرات الكبيرة ونصرها على اعدائها في مواطن كثيرة... وانما بلغت تلك الغايات والتقدم في العلوم والصناعات بالتنظيمات المؤسسة على العدل السياسي وتسهل طرق الثروة واستخراج كنوز الأرض بعلم الزراعة والتجارة وملاك ذلك، الاّ من والعدل اللذان صارا طبيعة فيها. وقد جرت عادة الله في بلاده ان العدل وحسن التدبير والتراتيب المحفوظة من أسباب نمو الأموال والانفس وبضدها، يقع النقص في جميع ما ذكر كما هو معلوم في شريعتنا والتواريخ الاسلامية وغيرها... وبناء علي ما تقدم فما لنا امام هذه الأمة الباسلة ذات الحكومة الجمهورية العادلة الا الخضوع اليها والتعويل عليها والا فتكون كالباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن انفه بكفه وكيف لا، ونحن بل وغيرنا من المسلمين ذوي الاستقلال الصوري في الدرك الأسفل من الضعف والاعتلال والعجز والقصور والاختلال وإذا كان الأمر كذلك فكيف يجوز في العقل بل في الشرع أيضا ان يحارب الأعزل، الشاكي السلاح أو يصارع الضعيف القوي. فالحرب على هذا الوجه مخالفة للشريعة والسياسية معا... فان قيل هذا تزهيد في الجهاد الذي رغب الله فيه بقوله: «لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر

والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، فضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة» أجيب بأن الجهاد المومأ اليه هو قتال اهل الشرك والطغيان طلب للأمن وابلاغا للدعوة لتكون كلمة الله هي العليا ودفاعا عن الأنفس وكفًّا للعدوان لكن بشرط القوى المكافئة، ومهما اختل ركن أو شرط من أحكام الجهاد المفصلة في مواضعها كان الى الفتنة أقرب. وقد قال عليه الصلاة والسلام «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها»، أو قال تعالى «ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة» والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. وقال تعلى أيضا: «ولا تقتلوا أنفكسم ان الله كان بكم رحيما». وللضرورات أحكام ولا ينكر تغيرها بتغير الأيام.

73 ـ «لا تجوع الذئب، لا تبكي الراعي»[1]

«... اخواني يصبح بكم القوم على قتل البعوض ولا من يزجرهم على قتل النفوس بغير حق، هؤلاء يبيحون أرواحكم ويستحيون أجسامكم وانتم لا تشعرون.

هو فرعون بني اسرائيل يأتي على حاله، سوى أنه أدهى منه يسقيكم السموم في كؤوس الانسانية والتمدن ويبث الخطباء في جميع الانحاء لينوهوا باسمه وليشكروا سعيه... على اني أعوذ برب الناس من ابتغاء الفتن وشب نيرانها في المثل السائر كالباحث عن حتفه بظلفه أعظم رادع وأبلغ منذر اني أريد الا الايقاظ ما استطعت لهذه الأمة العزيزة عليّ، علّتها وبلائها. فلا تهذيب ولا تربية إذا لم تكن النفوس حاسة ومن لم يشعر بمطرقة الاستعباد التي لا تزول ولن تزول، تشج رأسه فلا يشعر بوخز قلم الكاتب.

محمد بربزن

(1) المصدر: جريدة الهلال العدد 3 ــ 11 نوفمبر 1906.

74 ـ حب الوطن واجب[2]

الحمد لله الذي أطلع (كذا) رجال الصحافة الى أشرف المراتب ورقي معلوماتهم الى قمة هذا العصر المتمدن وجعل صناعة القلم أشرف الصنايع في حاله لسان الأمة وبهم ينال المرام....

قد يعلم كل انسان له شعور لزيب (كذا) وعقل كامل من أول وهلة انه من الواجب عليه أن يدافع عن حقوق وطنه. وبعبارة أخرى أفصح وأوضح أن يقوم في مقام الند للند الذي ينبغي[2]... ان تلقمه لقمات (كذا) سائغة ممزوجة بدماء أبناء الوطن وأرزاقهم وحقوقهم. انه من الواجب على كل فرد من أفراد الأمة ان يقوم بحقوق وطنه وبلاده ويتفانى في حبها ويؤدي الفروض المقدسة المحتمة عليه ازائها فماله عليها من ناص الا من ختم الله على سمعه وجعل على بصيرته غشاوة والعياذ بالله.

دون توقيع[3]

---

(1) جريدة الهلال العدد 4 نوفمبر 1906 العنوان من وضعنا.

(2) كلمة لم نتبين معناها.

(3) الأسلوب وروح المقال يدلان على أنه لمحمد بريزن.

75 ـ «الرق أمس واليوم»[1]

... لو لم يتم منع تجارة الرقيق لوقع اليوم ما لم يقع الأمس وبديهيا ما يقع من الاستعباد والاستنزف الذي شمل الحر والعبد وكل الشعوب والأمم فبعد أن كنا نسمع سوق الجمعة الذي كان محل بيع الرقيق أمس في الجزائر فاننا نرى الآن استعباد الشعوب.

في بطحاء سولت بيرج التي يساق إليها الأحرار وتحط فيها الأقدار ويسام فيها الشريف سوم الحشف فان كانت رحمة أو روية شملت الاستعباد القديم فان تعسّفها احاط بالحرية الجديدة فهذه بتلك والزمان لا يبقى على حال .

عمر بن قدور الجزائري

(1) المصدر: الهلال العدد 9 ـــ 11 جانفي 1907.

76 ـ عريضة سكان مدينة المدية[1]
(1911)

الحمد لله وحده.

الى السادة النواب المشرفين، أعضاء الهيئة التشريعية بباريس المحروسة السلام عليكم سلاما تاما.

نحن سكان مدينة المدية، من عماله الجزائر، الموقعين أسفله، يشرفنا أن نوجه اليكم هذه الشكوى آملين ان تستقبل من طرفكم بعطف وتفهم للأنكم عادلون ومنصفون.

إن الغرض من رفع هذه الشكوى هو أن نحصل منكم على الحق والعطف والانصاف ولنتأكد بأنه لم يكن دافعها التعصب ولا من أجل الضغط والتأثير عليكم. ونطلب منكم أن تكونوا رحمين ومشفين عند اطلاعكم عليها، كما نرجو أن تعذرونا باستعمالها لبعض العبارات التي قد تصدم في مظهرها ولكن هدفها في الواقع هو دعم الأدلة التي نعرضها عليكم، والتي تتعلق بالدين وبالعقيدة لأنه «لاحياء في الدين».

وهذه هي الوقائع:

في عام 1908 صدر أمرا من حكومة الجمهورية الفرنسية، يقضي بفرض الخدمة العسكرية على الشبان المسلين الجزائريين ولقد أعلن المسلمون

(1) المصدر: A.N.P/S.O.M - AFF. POl. C . 903

سكان المدية كلهم رفضهم لذلك. لقد انتابتهم الدهشة من جراء هذا القرار الذي أقلق خواطرهم كما بلغ الى علمنا الرفض الذي عبر عنه مسلمو مدن: البليدة، الجزائر، مليانة وتلمسان.

ان عدم قبول الخدمة العسكرية الاجبارية المفروضة على المسلمين، من طرفنا ليس مبعثه التعصب ولا العصيان لأوامر الحكومة، ولكن للأنه يمسى يديننا للأسباب التي لا تجهلونها وفي عقد منها: أن ديننا يمنعنا من قبول الخدمة العسكرية، لأن كل واحد يجند سيقوم ببعض الأعمال التي تحرمها الشريعة مثل تكرار اهمال واجباته الدينية اضطرارا. يضاف الى هذا أنه أثناء الخدمة العسكرية يكون الشباب بعيدا عن والديه مما يجعل من المستحيل عليهما منعه من القيام بأعمال قد تكون مضرة بعقيدته وبشخصه. ثم إن الخدمة العسكرية قد تؤدي بنا، في بعض الأحيا، الى محاربه اخواننا في الدين. كيف يمكن السماح لمسلم بمحاربة أخيه في الدين، وما هو المبرر الذي يخول له إراقة دمه؟! ومن هو الرجل العاقل الذي يستطيع تحمل هذه الوضعية المستحيلة؟ فليس هناك انسان بقبل الخضوع لتنفيذ أمر يهدف الى مقاتلة مواطنيه وأبناء دينه.

فليتأمل كل إمرإ عاقل لهاته المأساة التي ستصيبه في مثل هاته الحالة، فإذا وجد أن ذلك مضرا بشخصه وفوق ما يستطيع تحمله فاننا نقول معه بأنه من العدل ومن الرحمة أن لا يجهل بها الأشخاص الذين هم دونه وتحت حكمه.

إننا ندرك غاية الادراك لسماعنا ذلك كثيرا، بأن الحكومة الفرنسية تحترم الديانة الاسلامية وتحترم تعلق المسلمين بعقيدتهم واننا نقول لكم انطلاقا من هذه المبادىء، بأن الخدمة العسكرية الاجبارية هي ضرر خطير من الناحية الدينية، ونضيف الى هذا، أنه في 9 سبتمبر 1908 وجهنا الى الحكومة التماسا ترجيناها فيه إعفائنا من الخدمة العسكرية وعدم إجْبارنا

عليها. ولكن، في 2 من شهر ديسمبر الجاري، ولشدة دهشتنا قرأنا على الملصقات المثبته على باب البلدية في مدينتنا أسماء أطفالنا المسلمين الذين بلغوا 18 سنة والمدعويين لأداء الخدمة العسكرية.

اننا نقوم بكل خضوع بتجديد شكاوانا السابقة مترجين بكل احترام، السادة النواب اعضاء الجمعية التشريعية الفرنسية، المعروفين بعد لهم وشفقتهم، إعفائنا من الخدمة العسكرية وعدم اجبارنا عليها تاركين الحرية لكل من يرغب القيام بها طواعية من أبناء ديننا، دون أية معارضة من طرفنا. واننا نضيف، بأنه بقطع النظر عن الوقائع المرتبطة بالخدمة العسكرية المبينة أعلاه فاننا نعاني من مظالم كثيرة جدا وبعضها مرتبطة بالدين وهي:

1 ـــ منع القضاة من الفصل في المنازعات التي تحدث بين المسلمين في كثير من الأمور وهو شيء ضد تقاليدنا وعوائدنا.

2 ـــ التضييقات المفروضة علينا بخصوص المدارس المكلفة بتعليم القرآن مما جعل من الصعب القيام بهذا التعليم في ظروف مقبولة وبمستوى لائق. وهذا خلافا لما كان عليه الأمر في الماضي. وقد أدت هذه التضييقات الى اغلاق هذه المدارس في بعض الأحيان، في عدد من المدن وحرمان لسكان من تعلم القرآن. ويتطلب اعادة فتحها، القيام بمساعي والحاحات كثيرة.

3 ـــ تخفيض الاعتمادات المخصصة لصيانة المساجد وتغطية مصاريف القائمين على شئونها.

4 ـــ الأمور التي تتعلق بالأموال وبالأشخاص مثل:

1 ـــ الضرائب الخاصة المفروضة علينا والتي هي أعلى من تلك المفروضة على الممولين الآخرين.

2 ــ منعنا من قطع الحطب واعداد الفحم في الغابات التي هي من أملاكنا الخاصة وكذلك الحضر المفروض على المسلمين وعلى حيواناتهم من الدخول الى غابات الدولة وإذا ما حدث أن اقترفت إحدى هاتين المخالفتين من طرف مسلم، فأنه يعاقب أشد العقوبات وبدون شفقة.

3 ــ انتزاع الحكومة وبالقوة لأحسن الأراض التي هي بين أيدي المسلمين لتأسيس مراكز استعمارية عليها.

4 ــ القوانين الخاصة بالمسلمين: قانون الأهالي، المحاكم القمعية ومحاكم الجنايات. يوجد بيننا أشرار، ولكن هؤلاء المجرمين يقترفون جرائم ضد أبناء ملتهم ونادرا جدا ما يتعرضون للاوروبيين.

5 ــ مع كل هذه المظالم التي نعاني منها دائما، تقوم الحكومة بفرض الخدمة العسكرية علينا والتي لن نقبلها لأنها ستضاعف من الآمنا.

وهذه المظالم، ما هي الا جزء من تلك التي لا نستطيع شرحها هنا. وأخيرا عدم توفر الرخصة التي لا نستطيع طلبها، من أجل مغادرة الجزائر والذهاب الى أي مكان يحلو لنا العيش فيه وفي اطمئنان حسب ديننا وحسب تقاليدنا.

عند احتلال الجزائر من طرف فرنسا حرصت الحكومة على احترام ديننا وتقاليدنا جعلنا نعتقد أن هذا المسلك الحسن نحونا سيكون دائما أكثر تسامحاً وسخاءا نحونا، ولكننا نلاحظ اليوم عكس ما كنا نأمله. ومع الأسف فإن حالتنا تزداد سوءا باستمرار على الرغم من كوننا تعودنا على معاملة الحكومة الحسنة لنا.

فلتكن لديكم شفقة من حالتنا التي تستحق اهتمامكم العطوف المنصف. إننا نعاني من الحياة القاسية ومن الاحتقار، وإذا لم تأخذوا بعين الاعتبار شكاوانا المتعلقة بعقيدتنا فعاملونا على الأقل معاملة انسانية لأننا بشرا مثلكم.

وباختصار فاننا لن نيأس في أن نرى حالتنا تتحسن بوجود على رأس الحكومة رجال حريصين على العدل، الذين سيقدمون العلاج المطلوب ويتقبلون شكاوانا بالرضى.

وقبل اختتام هذا الملتمس المتواضع، نترجاكم أيها السادة ا لنواب ان تعذرونا عن التطويل في عرض الوقائع إذ أن الضرورة أجبرتنا على ذلك، ونحن مرتكزين على الحق الممنُوح لنا ــ نحن خدام الحكومة الطيعين ــ في إسماع شكاوانا للأولئك الذين يمسكون بزمام مصيرنا بين أيديهم.

تقبلوا حظرات السادة النواب، عبارات ملئها الاحترام والاخلاص.

حرر بالمدية في 14 ديسمبر 1911[1]

(1) تحمل العريضة توقيع 340 شخصا بالعربية.

77 ـ «مذكرة حول، المطالب التي تقدم بها المسلمون الفرنسيون بالجزائر مقابل قيامهم بالخدمة العسكرية الاجبارية»(1)

ان الظروف التي صدر فيها مرسوم 3 فبراير 1912، والذي يقضي بفرض الخدمة العسكرية الاحبارية على الأهالي الجزائريين قد أثارت استياءا شديد في كل مناطق الجزائر وهو استياء قد يستمر إذا لم يتم تبديد سوء التفاهم الذي تولد عنه في أقرب الآجال.

وأمام هذه الوضعية فان الأعيان الموقعين أسفله والذين هم لسان حال عدد كبير من مواطنيهم رأوا من المصلحة التوجه الى الحكومة بالعاصمة باريس للانارتها حول هاته الظروف من جهة، وتقديم مطالب المسلمين الذين يرون أن هذا العبء الجديد مضاف الى أعباء أخرى، ليست بالهينة تستوجب أن يكون لها مقابل لتحسين حالهم.

فهؤلاء النواب، قد استرشدو بعدد كبير من العرائض التي قدمت في العمالات الثلاثة ومقتنعين في نفس الوقت بكونه يتحتم على أبناء فرنسا الاستجابة لندائها، يعلنون بأن كل الأهالي بالجزائر هم على استعداد للقيام بكل واجبات المواطن نحو الوطنن الأم، ولكنهم من جهة أخرى يعتقدون أنه من الضروري:

(1) المصدر: عن الشريف بن أحبيلص في : «L'Algérie française vue par un indigène» Paris, 1914 p, 117-121.

أ ــ تخفيض مدة الخدمة العسكرية الى سنتين أسوة بالفرنسيين الآخرين.

ب ــ الدعوة الى التجنيد في 21 سنة بدل 18 سنة. فالمجندون المدعون للخدمة في هذه السن الأخيرة لم يكتمل نموهم الجسمي بعد.

ج ــ إلغاء المنحة المقدمة مقابل التجنيد، لأن العائلات ستكون سعيدة برؤية أبنائها يعملون في صفوف الجيش الفرنسي بدون مقابل مادي.

ومن جهة أخرى فهم يطلبون مقابلا ملموسا في الأمور التالية:

1 ــ اصلاح النظام القمعي.
2 ــ تمثيل جاد وكاف في المجالس في الجزائر وفي باريس.
3 ــ توزيع الضرائب توزيعا عادلا.
4 ــ رصد اعتمادات الميزانية وتوزيعها بكيفية عادلة بين مختلف عناصر سكان الجزائر.

النظام القمعي:

ان الأهالي الجزائريين يخضعون لقوانين استثنائية التي تبتعد بشكل محسوس عن دائرة اختصاص القانون العام، ومن هنا، فان النظام المسمى بالأنديجاتة (الأهالي) قد فصل من أجلهم خصيصا، مخالفات من نوع خاص والتي يتم البت فيها ليس عن طريق القضاء العادي وانما من طرف الأعوان الاداريين، وهو ما يشكل خرقا لمبدأ فصل السلطات.

ومن جهة أخرى فهم يخضعون لسلطات قضائية تدعى المحاكم الزجرية ومحاكم الجرائم، حيث أن الاجراءات المعمول بها فيهما لا توفر الضمانات المطلوبة في التحقيق القانوني.

ونلاحظ أن هذه القوانين وهذه المحاكم، لا يعود تاريخها الى فترة الاحتلال وانما أنشئت فقط في عامي 1881 و 1903. والى جانب هذا توجد عقوبة أخرى مفروضة خصيصا على الأهالي وهي عقوبة الحجز الاداري، التي لم ينص عليها أي قانون كما أن تنفيذها لا يخضع الى أي نوع من الاجراءات.

وبالفعل، فانه يكفي صدور قرار من الوالي العام لافتكاك رجل، حتى ولو كان من كبار الأعياذ ، من بين أيدي عائلته وانتزاعه من مشاغله، دون أن يسمح له بشرح قضيته والدفاع عن نفسه، لارساله ولأجل غير محدود، الى سجن خاص أو نفيه أو فرض اقامة جبرية عليه، في مكان بعيد عن مسكنه وعن شئونه.

فأهالي الجزائر يطالبون بتغيير هذه الحالة تغييرًا كاملا.

2 ـــ تمثيل الأهالي:

يوجد في الجزائر مؤسسات تمثيلية قائمة، حيث من المفروض ان يكون للأهالي تمثيلا فيها. وهكذا ففي المجالس البلدية يستطيعون الحصول على ربع المقاعد بدون السماح لهم بأن يزيد عددهم فيها عن ستة أعضاء، وفي مجالس العمالات فان عدد ممثلي الأهالي قد حدد بكيفية ثابتة بستة أعضاء. وفي المندوبيات المالية التي تضم 69 عضوا وضع على ذمتهم 21 مقعدا: 15 منها للمندوبين العرب والقبائل المنتخبين و 6 مقاعد للأعوان المعينين من طرف الوالي العام مندوبين عن مناطق الحكم العسكري. وفي المجلس الأعلى الذي يضم 59 عضوا منتخبا أو معينا، لا يوجد به سوى ستة أعضاء من الأهالي من بينهم أربعة ينتمون الى المندوبيات المالية ومنتخبين من طرفها وثلاثة معينين من طرف الوالي العام ممثلين لمناطق الحكم العسكري.

فكما نرى، فان الأهالي ليس لهم تمثيل فعلى ومفيد في المجالس المحلية وبعددهم الضئيل، فان المنتخبين المسلمين يشكلون في كل مكان اقلية ضئيلة

لا يمكن لها التأثير جديا في الاقتراع. وبالاضافة الى هذا، فهم لا يشاركون في اختيار شيوخ البلدية ونوابهم، ولا يستطيعون ممارسة أي تأثير في توجيه الادارة البلدية. اما فيما يتعلق باختيارهم، فهذا يتم بواسطة هيئة انتخابية محدودة العدد جدا لكي تستطيع توفير ضمانات جادة بخصوص استقلاليتها. وبالفعل، فهي تتشكل كالآتي:

1 ــ بالنسبة للمجالس البلدية من: الموظفين، المتقاعدين، الملاك العقاريين وأصحاب الأراضي والحاملين نيشان الافتخار أو لأخذ النياشين التذكارية. ومبعدين عنها: التجار وأصحاب الصناعات وأصحاب المهن الحرة كالمحامي والطبيب والتاجر الكبير، فهؤلاء ليسوا بناخبين.

2 ــ بالنسبة لمجالس العمالات، فالهيئة الانتخابية تتكون كالاتي: أعضاء المجالس البلدية من الأهالي ونواب شيوخ البلدية الأهليين. وبما أن هؤلاء الأخيرين هم كلهم موظفون تابعون مباشرة لعامل العمالة ويشكلون الأغلبية في كل الدواير الانتخابية الجزائرية، فان مرشح الادارة يكون هو وحده المضمون نجاحة. وهذا ما يفسر في الواقع كون تسعة أعشار من أعضاء مجالس العمالات وأعضاء المندوبيات المالية من الأهالي هم من الموظفين وبالتالي فهم في وضعية التبعية الكاملة للادارة. وفي الحقيقة، فان أعضاء مجالس العمالات من الأهالي هم، كما كان شأنهم في الحاضر ممثلون معينون من طرف السلطة الادارية.

هذه هي بنية التمثيل الأهلية القائمة، وعلى ذلك فالسكان المسلمون يطلبون:

1 ــ توسيع الهيئة الانتخابية لضمان فعالية وجدية الاقتزاع.

2 ــ رفع عدد المندوبين من الأهالي في المجالس الجزائرية الى خمس اعضائها.

3 ــ تشكيل الهيئة الانتخابية بكيفية واحدة في كل الاقتراعات التي تجري بالنسبة لجميع المجالس الجزائرية. وفي حالة ما إذا دعت الضرورة للاجراء اقتراع جزئي لتعيين مندوبين في مجالس العمالات وفي المندوبات المالية، فان الاقتراع يجب أن يكون وقفا فقط على أعضاء المجالس البلدّية المنتخبين بدون مشاركة نواب شيوخ البلديات من الأهالي.

4 ــ منح حق المشاركة في انتخاب شيوخ البلدية ونوابهم للأعضاء المجالس البلدية من الأهالي.

5 ــ الاعلان بكون التفويضات العامة (التمثيل) تتعارض مع وظيفتي القايد ونواب شيوخ البلدية الأهليين.

6 ــ حق التمثيل للأهالي في البرلمان الفرنسي أو انشاء مجلس في باريس حيث يكون مسلموا الجزائر ممثلين فيه بواسطة مندوبين منتخبين من طرفهم.

7 ــ يعطي الحق لكل من أدى الخدمة العسكرية سواء عن طريق الاستدعاء أو عن طريق التطوع، في الحصول على المواطنة الفرنسية بمجرد تقديم طلبا عادي وبدون الخضوع للاجراءات المعمول بها حاليا.

3 ــ توزيع الضرائب:

مراجعة النظام الجبائي انطلاقا من مبدأ المساواة في توزيع الأعباء.

4 ــ تصريف موارد الميزانيات:

انٍ الجالية الفرنسية حاليا، هي وحدها لها تمثيل جاد وفعلي في المجالس المحلية وفي البرلمان وهي وحدها التي تنصرف في الاعتمادات، وكذا فان الجزء الأكبر من موارد الميزانيات تصرف لفائدة العنصر الأوروبي وحده

تقريبا. فحاجات الأهالي الأكثر إلحاحا تواجه صعوبات كبيرة لتلبيتها ففي كثير من البلديات ترصد مبالغ هامة للصرف على الكماليات، في الوقت الذي يُهمل القيام بانجاز أعمال ذات ضرورة حيوية بالنسبة للسكان المسلمين.

فهذه الوضعية غريبة جدا وغير طبيعية فتمويل الميزانية العامة وميزانيات البلديات والعمالات يتم في معظمه عن طريق الضرائب التي يدفعها الأهالي. فوجود تمثيل أهلي جاد، سيمكن من اقامة توازن في توزيع موارد الميزانية.

هذه هي المطالب التي يتقدم بها المندوبون المسلمون الموقعين أسفله واثقين في روح العدل والكرم لدى حكومة الجمهورية لضمان تحقيق ذلك من أجل عظمة وخير فرنسا والجزائر.

باريس، جوان 1912

78 ـ «معضلات اليوم والغد»(1)

«الذين تؤلمهم الحوادث تشفيهم حقائقها»

«... مهما تغيرت أخلاق الأمم ذات القومية الصحيحة فان نعرتها لا تتغير بل تكون قابلة للنمو إن لم ترهقها قوة همجية أو قوة دينية كما قلت آنفا... ان القوة التي بسطت سلطتها علينا ليست بقوة همجية ولا بقوة دينية، بل هي قوة استعمارية محضة من صلاحياتها ان يكون عددنا ناميا ونعرتنا مضمحلة واخلاقنا في فوضى وقوميتنا في تضعضع ليستفيد من وراء ذلك القائدة التي يطلبها وهي التمتع بتمكين القوة. هنا محل الصعوبة التي يتذمر منها السياسيون في كل حين... ان القومية التي خلفها لنا أسلافنا الكرام هي القومية الكامنة في قلوبنا الا أنها كالمرأة إذا صبغ وجهها بلون يمنع جمالها من البروز. ويمكن القول بأنها نكبت بنوع من الضعف ولكن لا يمكن القول بأنها اضمحلت البتة.

وإذا قدر لها الظهور يوما فانها تظهر في هيأة هي غير تلك الهيأة التي ظهرت بها قومية أسلافنا من قبل... لقد قلت أن القومية التي خلفها لنا اسلافنا الكرام هي القومية الكامنة الآن في فلوبنا وأعني بها القومية الاسلامية المحضة؛ لا العربية ولا التركية ولا البربرية لأن تلك القوميات وان كانت محررة على نوع من الاستقلال الا انها لا تلبث ان تمتزج بالقومية الروحية ان لم تتعرض لها موانع أجنبية. اجتماعية وأعني بها القومية الروحية الاخلاقية لا الحربية ولا الاستعمارية لأن المسلمين لا يهمهم في هذا العصر الا اصلاح حالتهم الروحية وتنظيم هيأتهم

---

(1) المصدر: افتتاحية العدد 3 من جريدة الفاروق 14 مارس 1913.

الاخلاقية... إذا تمكنوا منها تشرق عليهم لتمكن القومية الاسلامية التي جاء بها المرسلون وبشر بها النبيون وهي لا تتوقف الا على اصلاحات اعتقادية وعملية، تبرز بعد اجرائها الى عالم الظهور. بظهورها وتأثيرات وجودها... يستأنف التاريخ في تدوين دور جديد للقومية الاسلامية، ولكن في هيأة غير تلك التي ظهر بها للأسلاف من قبل، وان كان التاريخ يعيد نفسه.

عمر بن قدور الجزائري

79 ـ «سنة الله في الأمم وتطبيقها على المسلمين»[1]

«ان الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»[2]

هي آية محكمة لا يرتاب فيها الا القوم الضالون ثم آية أخرى «ولقد كتبنا في الزابور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون»[3] هذا ما وعد آلله في محكم كتابه مما لا يقبل تأويلا. ولا ينال هذه الآيات بالتأويل، إلا من ظل عن السبيل ورام تحريف الكلم عن مواضعه. هذا عهده الى تلك الأمة المرحومة ولن يخلف آلله عهده... هذه الأمة يبلغ عددها اليوم زهاء مائتي مليون أو يزيدون... يتغلب الأجانب على شعوبها شعبا شعيا ويتقاسمون أراضيها قطعة بعد قطعة ولم تبق لها كلمة تسمع ولا أمر يطاع، حتى أن الباقين من ملوكها يصبحون كل يوم في ملمة... بالمصيبة بالرزية، هل نسيء الظن بالعهود الالهية؟ معاذ الله هل نستيأس من رحمة الله ونظن أن قد كذب علينا؟ نعود بالله. هل نرتاب في وعده بنصرنا بعدما أكده لنا؟ حاشاه سبحانه لا كان شيء من ذلك ولن يكون. فعلينا أن ننظر لأنفسنا ولا لوم لنا الا علينا إن الله تعلى برحمته قد وضع لتسيير الأمم، سننا متبعة ثم قال «ولن تجد لسنة الله تبديلا»[4].

وليمتحن كل واحد قلبه قبل ان يأتي يوم لا تنفع فيه خلة ولا شفاعة وليطبق بين صفاته وبين ما وصف الله به المؤمنين وما جعله الله من خصائص المؤمنين، فلو فعل كل منا ذلك لرأينا عدل الله فينا واهتدينا.

---

(1) المصدر: جريدة الفاروق العدد 7 ـ 11 أفريل 1913.

(2) سورة الرعد آية 11.

(3) سورة الأنبياء آية 105.

(4) سورة الفتح آية 22.

ألا يا أهل القرآن لستم على شيء حتى تقيمو القرآن وتعملوا بما فيه من الأوامر والنواهي وتتخذوه إمامكم في جميع أعمالكم مع مراعاة الحكم في العمل كما كان سلفكم الصالح. الا يا أهل القرآن ان هذا كتابكم فأقرأوا منه «فإذا انزلت منه سورة محكمة» الآية.. فيمن نزلت هذه الآية؟ نزلت في وصف من لا إيمان لهم مع هذا كله نقول ان الخير في هذه الأمة الى يوم القيامة كما جاءنا به نبأ النبوة وهذا الاغراق الذي نراه اليوم نرجو أن يكون عارضا يزول... وأن الحركة التي نحسها في نفوس المسلمين في أغلب الأقطار، هذه الأيام تبشرنا أن الله تعالى قد هيأ النفوس لصيحة حق تجمع بها كلمة المسلمين ويوحّد بها بين جميع الموحّدين. ونرجو أن يكون العمل قريب. فان انتبه المسلمون وأجمعوا أمرهم للقيام بما أوجب الله عليهم صحّتْ لهم الأوبة ونصحت لهم التّوبة وعفا الله عنهم والله ذو الفضل على المؤمنين. فعلى العلماء أن يسرعوا إلى هذا الخير وهو الخير كله لجمع كلمة المسلمين والفضل كل الفضل لمن يبدأ منهم بالعمل والله ولي المصلحين.

أحمد التركي

80 ـ «مقاصد الجريدة»[1]

لما سمعنا الاسلام يئن من طعنات اعدائه والوطن ينادي بالويل والحسرة على أبنائه، أنشأنا هذه الجريدة لمحاربة أعداء الدين وكشف أسرار المنافقين واظهار مكايد اليهود والمشركين للناس أجمعين، وانتقاد أعمال المفسدين ومراقبتهم في جميع حركاتهم وسكناتهم.

«ذو الفقار» أسس لنصرة السنة المحمدية ومقاومة البدع الشيطانية أوقعت المسلمين والمسلمات في المهالك «ذو الفقار» يبارز الأغنياء المقتصرين الذين يريدون أن يجعلوا مخلوقات الله ونظامات الكون الآت. يستجلبون بها منافع لهم. «ذو الفقار» يأمر وينهي وينذر ويحذر فمن تاب ورجع عن غيه وعمل صالحا لفه الجزاء والشكر ومن لم يجتنب الفحشاء والمنكر والعمل بهما فلنذيقنه مرارة الحياة ولنجزينه أسوأ الذي عمل ولنأتينه بجنود من الحقائق لا قبل له بها ولنخرجنه من دائرة الانسانية والاسلامية وهو أحقر الخلق.

ونحن لا تكرثنا (تخيفنا) ولا تهزنا الوشايات اننا عاملون على اقتحام كل عقبة كئود تقف في وجوهنا وباذلون قصارى جهودنا على التضامن الوثيق الذي يربط المسلمين ببعظهم البعض.

(1) المصدر: جريدة ذو الفقار افتتاحية العدد 1 ـــ 15 أكتوبر 1913.

81 ـ «صيحة اجتماعية»[1]

لا يختلف اثنان أن المسألة التي تميد (تهز) الآن العالم المتمدن وتقلق بال المجتمع الأوروبي ان هي الا المسألة الاشتراكية. فالاشتراكية في الاجتماع (كذا) هو اليوم الأمر الأكبر الأعظم الذي تهتز منه فرائس ذوي الثروة في أوربا وهو لغز التمدن الذي ألقاه الله معجزة للأمم بعد استكمالها أسباب الحضارة في نظرها. فعجزت عن شرحه الفلاسفة والعلماء الأعلام وفنيت فيه أدمغة الرجال السياسية واستنفذت فيه مخاخ (كذا) الفلاسفة الاقتصاديين.

أما الآن فمن يقف أمامنا بأسرع الخواطر (يشاهد) انتشار هذه الحركةالمباركة يوما فيوما في الأفاق. فبعد أن كانت ألمانيا مبعث الاشتراك أثبت مبادئه في سائر الممالك واقتطفت أثاره الحلوة أكثر الطبقات العاملة وساد في المدن الصناعية المأهولة بالفعلة الذين اتخذوه مذهبا.

مذهب الاشتراك هو الآن حليف الفقراء والعمال وعقلاء الأمم الاحرار الذين يريدون تسوية الأمم والعمل بقول النبي العربي «الافضل لعجمي على عربي ولا عربي على عجمي الا بالتقوى» وان اختلفوا معه في معنى التقوى اتفقوا في العمل الصالح النافع للجمهور لا بالمال والثروة. ومما يؤيد هذا المذهب عدم توازن الثروة التي هي كفة في السماء وكفة في الأرض، وشح بعض الأغنياء. وكانت المبادىء الديمقراطية تؤيد وتوطد له الطرق وتربيه في جميع الطبقات على طريقة المساواة والحرية والأخوة.

---

(1) المصدر: جريدة ذو الفقار العدد 1.

82 ـ «خطر الصهيونية»[1]

ان اتفاق زعماء العرب أبناء الفاتحين وأهل البلاد مع زعماء اليهود مستحيل لأنه اعتراف بزعامة اليهود ورضاء مشاركة هؤلاء الأجانب في بلاد اشترتها آباؤهم بدمائهم الطاهرة. فلا يحق لغير العرب وهم أبناء ابراهيم الأصفياء الأزكياء الموعودون بتلك البقعة المطهرة ان يملك تلك الأرض ولا غير راية الاسلام ان تخفق عليها ما دام في عرق العرب دم وفي أجسام المسلمين روح.

ان انقسام الدولة العثمانية وانفصال بولغاريا وصربيا واليونان وطرابلس وتنازعها الداخلي، كله مقدمة للاستقلال فلسطين ونتيجة أعمال اليهود بواسطة أوروبا تهم (كذا) من جهة، ومن دسائسهم الداخلية من جهة أخرى، وان استمر الحال على ما هو عليه وبقيت دولة الخلافة تحت سلطة كارسو وجاويد وحقى بائعي طرابلس، فلا شك أن تقع الدولة في مخالب اليهود يوما ما ولا يكفيها لنجاتها لا سنة مدرعات ولا عشرين. فيجب عليها الانتباه وعلى ابناء العرب الانتباه.

(1) المصدر: ذو الفقار العدد 28/4 جوان 1914. العنوان من وضعنا. هذا النص جاء تعليقا على مقال نشر في مجلية المنار التي تصدر بالقاهرة، تحت عنوان «المسألة الصهيونية» جاء فيه «يجب على زعماء العرب أهل البلاد أحد أمرين: اما عقد اتفاق مع زعماء الصهيونيين على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد ان أمكن، واما جمع قواهم لمقاومة الصهيونيين بكل طرق المقاومة وأولها تأسيس الجمعيات والشركات واخرها العصابات المسلحة التي تقاومهم بالقوة وانما هو الكر والكر آخر العلاج» عن ذي الفقار العدد 4.

توضيح المختصرات

ـ مخطوط المكتبة الوطنية الجزائر	م . م . ج
ـ المحفوظات الوطنبة باريس	A.N.P
ـ المحفوظات الوطنية باريس؛ فرع ما وراء البحار	A.N.P./S.O.M
ـ المحفوظات الوطنية بإيكس آن بروفانس (فرانسا)	A.N. AIX
ـ المجموعة الفرعية ف 80.	A.N./ AIX. F. 80
ـ محفوظات الولاية العامة، الجزائر بايكس آن بروفانس	A.G.G.AL/Aix
ـ محفوظات الخارجية الفرنسية، باريس مجموعة مذكرات ووثائق	A.E.P./M.D
ـ محفوظات الحربية قصر فانسان باريس المجموعة	A.G.V./H
هـ أو المجموعة الفرعية 1 هـ	A.G.V /1.H

فهرس المحتوى

القسم الأول

1830 ــ 1871

القسم الثاني

1872 ــ 1914

أنجز طبعه على مطابع

ديوان المطبوعات الجامعية

الساحة المركزية . بن عكنون

الجـزائـر